جامعة آكلي محند أولحاج
-البويرة-

مجلة علمية محكمة تصدرها جامعة آكلي محند أو لحاج بالبويرة
قسم خاص بالعلوم الاجتماعية والإنسانية

معارف

* التواصل بين المشرق والمغرب البويرة نموذجا
* حملة اللورد إكسموث على مدينة الجزائر سنة 1816
* العلاقات التركية الجزائرية من الاحتلال الفرنسي الى ثورة التحرير 1962-1830م
* دعم الصليب الأحمر النرويجي للسجينات الجزائريات لدى اللجنة الدولية للصليب الأحمر 1958/1957،
* فقه الواقع وأهميته في عملية التغيير عند الإمام عبد الحميد بن باديس.
* التحاليل الجينية في قضايا تنازع النسب و اللعان : هل تقوم البصمة الوراثية مقام اللعان
* دور الإعلام في نشر الثقافة البيئية دارسة في المعوقات والآفاق،
* التنمية في ظل المتغيرات العالمية (من التنمية الاقتصادية إلى التنمية المستدامة):
* الأغنية الشعبية القبائلية دراسة سوسيولوجية لمحتوى أغاني الشاعر سليمان عازم،
* بنية العائلة الجزائرية، أ.د. نصر الدين جابر (جامعة بسكرة)،
* الدافعية : أهميتها ودورها في عملية التعلم،
* دور البيئة الاجتماعية في توجيه الفعل العمالي،

الإيداع القانوني Depot 136 9 - 2006
ر.د.م.ك ISSN 1112 - 7007

العدد 17/ ديسمبر 2014 (السنة التاسعة)

مجلة علمية محكمة تصدرها جامعة آكلي محند أو لحاج بالبويرة العدد 17/ ديسمبر 2014 (السنة التاسعة)

Université Akli Mohand Oulhadj
-BOUIRA-
Université de Bouira

Revue académique editée par l'Université Akli Mohand Oulhadj -BOUIRA
Partie des Sciences Sociales et Humaines

MÂAREF
Revue académique

* Etre frère ou sœur d'un enfant autiste Nini Mohamed Nadjib Et Lounés LALLEM,

معارف

مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة آكلي محند أو الحاج بالبويرة

قسم خاص بالعلوم الإجتماعية والإنسانية

العدد 17/ ديسمبر 2014 (السنة التاسعة)

معارف

مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة آكلي محند أو الحاج بالبويرة
قسم خاص بالعلوم الإجتماعية والإنسانية
العدد 17/ ديسمبر 2014 (السنة التاسعة)

المدير الشرفي: أ.د. موسى زيرق
مدير النشر: د.وهيبة بلعالية
- رئيس هيئة التحرير:
-مصطفى سعداوي
- أعضاء هيئة التحرير:

- زوينة حلوان
- سامية فرفار
- ياسين بودريعة
- عفيفة جديدي
- صابر راشدي
- أحمد سليماني
- علجية دوداح

Tele:+21326936968 **مكتب** Fax : :+21326936968

موقع الجامعة على الانترنت http://www.univ-bouira.dz/ar/

البريد الإليكتروني لرئيس التحرير salisada@gmail.com

صفحة المجلة على الفيس بوك facebook.com/revue.maaref

الإيداع القانوني : **Depot 1369 _ 2006**

ر.د.م.ك: **ISSN 1112 – 7007**

جامعة آكلي محند أو الحاج بالبويرة

البويرة – الجزائر

الهيئة الاستشارية (الدولية والوطنية)

الهيئة الاستشارية الدولية:

أ.د. عبد الله بلحاج (تونس)

أ.د احمد بوحسن (المغرب)

أ.د. محمد ايت المكي (المغرب)

أ.د عبد الرحمان عزي (الامارات)

أ.د. محمد الحيدروسي (الاردن)

أ.د. إبراهيم حمداوي (المغرب)

أ.د كمال شاشوة (فرنسا)

أ.د. محمد الزحيلي (سوريا)

أ.د. فريد الماسيوي (فرنسا)

أ.د. أحمد بن ناعوم (فرنسا)

الهيئة الاستشارية الوطنية:

أ.د. موسى زيرق (البويرة)

ا.د . علي عزوز (الجزائر)

د.كريم مكيري (البويره)

ا.د.عمار بن اخروف (البويرة)

ا.د. علي براجل (باتنة)

د..صليحة بوماجن (البويرة)

أ.د. محمود بوسنة (الجزائر)

أ.د محمد بومخلوف (الجزائر)

أ.د كمال بوزيدي (الجزائر)

أ.د. زوبيدة بلعربي (البليدة)

أ.د. عمر بوساحة (الجزائر)

أ.د. ارزقي شويتام (الجزائر)

أ.د. محمد الأمين بلغيث (الجزائر)

د. عبد الباقي بدوي (البويرة)

أ.د. الطيب بلعربي (الجزائر)

د. كمال الدين قاري (البويرة)

ا.د.احمد دوقة (الجزائر)

د محمد برو (المسيلة)

د. عبد النور ارزقي (البويرة)

لجنـة قراءة العــدد

أ.د كمال بوزيدي (جامعة الجزائر1)

أ.د نور الدين بوحمزة (جامعة الجزائر1)

أ.د. عبد القادر بن عزوز (جامعة الجزائر1)

أ.د. ابراهيم حمداوي (جامعة القنيطرة، المغرب)

أ.د (ة) فلة موساوي القشاعي (جامعة الجزائر2)

أ.د كمال شاشوة (جامعة إكس-مارسيليا، CNRS)

أ.د عبد الكريم عزوق(جامعة الجزائر2)

د. أحمد فلاق ((جامعة الجزائر3)

د سعيدة لونيس (جامعة الجزائر2)

د. عمارة بوجمعة (جامعة البرج بوعريرج)

د. عائشة حسيني (جامعة البويرة)،

د. محمد الشريف حسين (جامعة المسيلة)

د. سليم مختاركتاش (جامعة البويرة)

د. فاطمة مساني (جامعة البويرة)

د. طيب جاب الله (جامعة البويرة)

د. ليلى خيراني (جامعة الجزائر2)

قواعد النشر في المجلة:

يشترط في البحوث والمقالات التي تنشر في مجلة معارف ما يأتي:

1- أن يكون البحث مبتكرا أو أصيلا، ويشكل إضافة نوعية في اختصاصه.
2- أن تتوفر فيه الأصالة والعمق وصحة الأسلوب.
3- ألا يكون قد سبق نشره.
4- أن يلتزم بالقيم الإنسانية وبمعايير البحث العلمي وبخاصة ما يلي:
أ- الابتعاد عن التجريح والإسفاف في القول، والتعريض بالآخرين.
ب- مراعاة البنية المنهجية.
ج- ترقيم الهوامش والإحالات تكون إما أسفل النص في نفس الصفحة، أو في آخر المقال، مستقلة عن قائمة المصادر والمراجع.
د- وضع قائمة بمصادر البحث ومراجعه.
5- أن تكون مكملات البحث من خرائط أو جداول في صورتها الأصلية.
6- أن يكون البحث المترجم مصحوباً بأصله المترجم عنه.
7- أن يقدم لإدارة المجلة مطبوعاً على الورق ومخزناً في قرص مدمج **CD** أو في وسيلة من وسائل استقباله في جهاز الحاسوب.
8- أن تقدم سيرة ذاتية للباحث في ورقة مستقلة عن البحث.
9- عدد كلمات البحوث النظرية بين 3000 و5000 كلمة حسب المقاييس الدولية، أي (بين10-20 صفحة بمعدل300 كلمة /صفحة) والكتابة تكون بخط:**traditionnel arabic-14**للغة العربية، وبخط: **times new roman**-12 بالنسبة للغة الاجنبية.
10- ترفق بالبحث ملخصات باللغات الثلاث (العربية والفرنسية والانجليزية) بما لا يتجاوز الصفحة الواحدة لكل لغة.

مع ملاحظة أن البحوث والمقالات:

. تخضع للتقويم العلمي واللغوي ويعلم الباحث بالنتيجة، كما أنها تخزن في أرشيف المجلة، ولا ترجع لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
. وهي تعبر عن آراء كتابها وحدهم ، فهم المسؤولون عن صحة المعلومات وأصالتها، ولا تتحمل الإدارة أي مسؤولية في ذلك.

كلمة تحرير العدد 17

ها هي مجلة معارف ترفل في حلة قشيبة، وحق لها أن تفعل ذلك وهي تدشن عامها التاسع عبر طريق يُستوحش فيها لقلة سالِكها، ويُنفر منها لوعورة مسالكها، بيد أنه لا بديل عنها سوى القبوع في الحضيض، والتردي أسفل فأسفل، وصدق القائل:

ومن يكره صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر

وانطلاقا من هكذا قناعة ما برحت تترسخ عددا تلو عدد، سعت مجلتنا في هذا الاصدار الجديد الى مزيد من الارتقاء على سلم البحث العلمي الرصين، وذلك بتطعيم طواقم هيئاتها المختلفة بعناصر من داخل الوطن وخارجه، متميزة بتألقها الأكاديمي، واشعاعها المعرفي. وكذا إضفاء صرامة أكبر على معايير النشر والتحكيم، ولا خفاء بما في ذلك من سباحة ضد التيار، في زمن استأسد فيه الشكل واستنوق الجوهر، وطغت المطامع الاجتماعية على المطامح العلمية. هذا مع الاستمرار في مسعانا الحثيث الى مد جسور التواصل مع أكبر عدد ممكن من الباحثين الجادين، وهو ما تعكسه الانتماءات الأكاديمية المتنوعة للمساهمين في هذا العدد والموزعة على ما يقارب 10 جامعات ومؤسسات علمية جزائرية وغير جزائرية. وجديرٌ بالتنويه أن المساهمة المتميزة للباحث المدقق والإعلامي الفذ أستاذنا سهيل الخالدي تبين بأن هذا السعي من قبل جامعة البويرة الى التواصل الاكاديمي ليس بالأمر الطارئ، بل هو امتداد لتاريخ بعيد الغور، ولا فضّ فا من قال:

فهل ينبت الخطي إلا وشيجه وهل تُغرس إلا في منابتها النخل

وختاما، لا مناص من البوح بأن هذا العدد بمعية العددين 18 و19 بقيت حبيسة ظلام الأدراج حتى كادت تفقد الأمل في رؤية النور، لولا فضل من الله عزّ وجلّ، ثم دعم من الادارة الجديدة للكلية. وعليه، فإن شكرَنا لجزيلٌ للسيدة العميدة على الأمل الذي أبقته، والرمق الذي حالت بين التلف وبينه.

مصطفى سعداوي

فهرس المقالات	الصفحة
1- التواصل بين المشرق والمغرب البويرة نموذجا ا. سهيل الخالدي -جامعة البويرة-	18 | 08
2- حملة اللورد إكسموث على مدينة الجزائر سنة 1816 في عيون رحّالة محلي وقنصل أجنبي - دراسة مقارنة -ا. بلعمري فاتح - جامعة المسيلة —	42 | 19
3- العلاقات التركية الجزائرية من الاحتلال الفرنسي الى ثورة التحرير 1962-1830 م د. ياسين يلماز(Doç. Dr. Yasin Yılmaz) جامعة يلدرم بايزيد، أنقرة -تركيا	65 | 43
4- دعم الصليب الأحمر النرويجي للسجينات الجزائريات لدى اللجنة الدولية للصليب الأحمر 1958/1957، د. محفوظ عاشور قسم التاريخ -جامعة الشلف-	80 | 66
5- فقه الواقع وأهميته في عملية التغيير عند الإمام عبد الحميد بن باديس.أ. أنيسة زغدود -جامعة البويرة -.	101 | 81
6- التحاليل الجينية في قضايا تنازع النسب و اللعان : هل تقوم البصمة الوراثية مقام اللعان ؟ ،أ.عوادي زبير، -جامعة الجزائر-.	130 | 102
7- دور الإعلام في نشر الثقافة البيئية دارسة في المعوقات والآفاق، أ. أوشـــن جميلة، - جامعة البويرة-.	151 | 131
8- التنمية في ظل المتغيرات العالمية (من التنمية الاقتصادية إلى التنمية المستدامة) د: رحالي حجيلة -جامعة تيبازة-	176 | 152
9- الأغنية الشعبية القبائلية دراسة سوسيولوجية لمحتوى أغاني الشاعر سليمان عازم، أ.شاشوة زهية - جامعة البويرة-	189 | 177
10- بنية العائلة الجزائرية، أ.د. نصر الدين جابر و أ. عمارة خيذر -جامعة بسكرة-	212 | 190
11- الدافعية : أهميتها ودورها في عملية التعلم، د. جديدي عفيفة -بجامعة البويرة-	239 | 213
12- دور البيئة الاجتماعية في توجيه الفعل العمالي،أ. عائشة مخلوفي — جامعة البويرة-	272 | 240
13 Etre frère ou sœur d'un enfant autiste : Effets et enjeux psychiques à l'adolescence ,Nini Mohamed Nadjib Et Lounés LALLEM, - université Constantine 2 -.	285 | 273

التواصل بين المشرق والمغرب البويرة نموذجا

الأستاذ سهيل الخالدي

الملخص:

يتناول هذا المقال الدور الذي لعبته ناحية البويرة في التواصل بين المشرق والمغرب. وهو يبدأ بالتعريف بجغرافية المنطقة المتميزة، ودورها التاريخي في مقارعة الاحتلال الفرنسي، ليتطرق الى ما ترتب عن ذلك من هجرة أعراش وعائلات البويرة الى المشرق. وقد بدأت هذه الحركة سنة 1847، ومن أبرز الأعراش والعائلات التي مستها عرش أولاد سيدي خالد (واد البردي) وعرش أولاد سيدي عيسي وعرش أولاد سيدي عمر "العميرات"، وعائلة بن سالم وعلى رأسها أحمد بن سالم خليفة الأمير عبد القادر على حمزة، وعائلة الخالدي، وعائلة الشريف، ألخ..

ولعب هؤلاء المهاجرون دورا محوريا في مواجهة الفتن والمؤامرات التي واجهت بلاد الشام، بدءً من فتنة 1860 ووصولا الى مشاريع الحركة الصهيونية في القرن الـ 20، وهذا دون أن يغفلوا عن المحافظة على روابط متينة ومد جسور تواصل وثيق بين بلادهم الأصلية في المغرب وموطنهم الجديد في المشرق. وكل هذا إنما يعكس الطابع الانفتاحي للتاريخ "البويرة" المنبثق من موقعها الجغرافي المتميز.

Abstract:

Communication between the Maghreb and the Machrek : Bouira-city as a model

This article relies on the role played by Bouira-city on communicating between the East and the West. It begins with the definition of distinct region geography, and its historical role in fighting the French occupation, and mentioning on what the consequential migration of different tribes and families from Bouira to the Orient. This movement began in 1847, and the most prominent tribes and families composed Ouled Sidi Khaled tribe (Oued-El-Berdi), Ouled Sidi -Aissa and Ouled Sidi Omar or « Al-Amirat » tribe, and also the Ben Salem family, led by Ahmed Ben Salem the successor of Emir Abdelkader Ali Hamza, and the Al-Khalidi family and the Chérif family too etc...

These immigrants played a pivotal role in facing different strifes and conspiracies that have been faced by the Levant .Starting of sedition happened in 1860 and ending with the Zionist movement projects in the 20th century. This happened without their overlooking for maintaining strong ties and build close contacts between their countries of origin in Maghreb and their new one in the Orient. All these facts reflects the opened character of Bouira history emanating from its geographical positio

مقدمة:

كانت البويرة تسمى سهل حمزة وأورد التسمية العمري بتاريخه، وقاعدة السهل كله مدينة صور الغزلان والبويرة لغة هي مصغر بور وهو اسم يطلق على الأرض المتروكة دون استزراع إذ كان سهل حمزة وامتداده سهل عريب ولايزال مشهورا بزراعة القمح مما يعني ان الفلاحين كان يزرعون الآرض عاما ويريحونها عاما آخر ومن هنا نرجح ظهور التسمية.

ومع ذلك فإن البويرة بسهلها وجبلها منطقة جد خصيبة بأنواع الاشجار. وفي الجزائر أكثر من بلدة تسمى البويرة مثل بويرة الاحدب في ولاية المسيلة وهي ايضا منطقة تجمع بين السهل والجبل وفيها مياه وخصب.

وفي البلدان العربية خاصة في فلسطين التي هاجرت إليها قبائل وعائلات من البويرة بلدات تحمل نفس التسمية البويرة:

1- فهناك قرية البويرة في شرق مدينة الخليل التي هي مدينة النبي ابراهيم الخليل عليه السلام ويحاصر الصهاينة هذه القرية من عدة جهات ويحيطونها بالمستوطنات ويشنون عليها حتى اللحظة اعتداءات شبه يومية ولكن لازال اهلها الذين يبلغ عددهم اليوم حوالي 2000 شخص صامدون رغم انه لم يعد يربطهم في مدينة الخليل سوى شارع ترابي غربي القرية وهي ذات ارض خصبة تزرع الكرمة وغيرها من الاشجار المثمرة

2- وهناك قرية قديمة تسمى خربة البويرة تقع على بعد 15 كم شرق مدينة الرملة في الاراضي الفلسطينية المحتلة عام1948 تعيش على زراعة الزيتون والحبوب والخضار والفواكه ترتفع عن سطح البحر 250مترا ، ويطلق عليها تسمية خربة كعادة الفلسطينيين بتسمية القرى الاثرية التي طالها الخراب فتركت ويوجد في القرية أثار ابنية مستطيلة وصهاريج مياه وفيها أبار وقد طرد اهلها البالغ عددهم 190 شخص عام 1948 وتستعمل اراضيها كميدان تدريب على الرماية من طرف جيش الاحتلال الصهيوني

البويرة ومقاومة الاحتلال الفرنسي

عرفت البويرة بمقاومة شديدة لجيش الاحتلال الفرنسي فقد كان فيها اقوى واخلص خلفاء الأمير عبد القادر الجزائري احمد الطيب بن سالم وكانت تعرف في ذلك الوقت باسم برج حمزة وقد سيطر بن سالم سيطرة قوية على منطقة جبال جرجرة من البيبان حتى سهل متيجة وبذلك منع الفرنسيين من الوصول برا إلى قسنطينة وكان الفرنسيون يسعون لاستكشاف هذه المنطقة

وفي ديسمبر عام 1837 أرسلوا وفدا بقيادة ادريان بير بروجير سكرتير المارشال كلوزيل لمقابلة الامير عبد القادر بقصد مساومته على ما تعنيه كلمة من وادي يسر وقدادرة لقدام التي وردت في معاهدة التافنة حيث فسرها الفرنسيون ان لا حق للأمير بمنطقة بودواو.

وقد نشر بير بروجير في 1939 كتيبا عن هذه الرحلة باسم رحلة إلى معسكر الامير عبد القادر في حمزة وترجمه المرحوم الدكتور ابو القاسم سعد الله بعنوان مع الامير عبد القادر –رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة ونشره في 2006 في الجزائر.

وترد في هذا الكتيب اسماء كثير من الاماكن والاعراش التي تقع في ولاية البويرة كما نعرفها اليوم او في الولايات المجاورة فبرج حمزة وجبل عمال وسوق الجمعة وسور الغزلان وعريب وبني عامر وبني هني والزواتنة والغرابة وغيرها هي كثيرة الورود في هذا الكتيب الفرنسي .

ونستشف من هذا الكتيب سببا من اسباب قوة احمد بن سالم خليفة الامير في المنطقة فقد كان الرجل يحظى بتأييد قوي من كافة اعراش ولاية البويرة في مختلف جهاتها، لذلك سعت فرنسا بعد هجرة احمد بن سالم إلى المشرق العربي ان تسيطر سيطرة تامة على المنطقة بقوة السلاح من جهة كما حدث في 1871 وبتفريغ المنطقة من السكان وسياسة التهجير ومصادرة ألاراضي

- **هجرة أعراش سهل حمزة (البويرة) 1860م**

لما أحسّ الأمير عبد القادر بأّن الدول الأوروبية تستعد لاحتلال بلاد الشام وأن مبررها لذلك هو اختراع فتنة بين المسلمين والنصارى تدبرها وتديرها القناصل وبعض

المسؤولين في الحكومة الطورانية وأتباعهم من بعض الوجهاء ورجال الدّين من مسلمين ونصارى، رأى أن من واجبه التصدى لهذه الفتنة بالقوة فقام بإجرائين:

أولهما: علني وهو الطلب من والي الشام أحمد عزة . يكتبها البعض بالتاء المفتوحة . باشا الذي كان من تلاميذ الشيخ المهدي السكلاوي في دمشق( ) بالسماح له بالتصدي لهذه الفتنة إن وقعت.

وثانيهما: سري إذ أنفذ على الفور ثلاثة من رجاله لإقناع القبائل التي تضررت وأذاقها المستعمرون صنوف العذاب وصادروا أراضيها خاصة خلال وبعد ثورة لالة فاطمة نسومر 1853.

أولاد خالد:

وبالفعل انطلق مبعوثوه في رحلتهم السريعة، حيث بقي إثنان منهما في تونس للقيام بدعوة القبائل وترتيب تنقلها عبر تونس إلى بيروت مع صديق الأمير باي تونس، وأما الثالث فهو الشيخ محمد بن عبدالله الخالدي جد والدتي المعروف بشدّة تكتمه والذي كان مدرّسا لبعض أولاد وإخوان الأمير فتمكّن من النفاذ إلى قبيلته في سيدي خالد في وادي البردي والقبائل المحيطة بمنطقة سهل حمزة وعين بسام وسور الغزلان وجبل أمتنان"ولاية البويرة اليوم" وكان نتيجة هذه الجهود أن تقدمت عدّة قبائل بطلبات الهجرة الجماعية للسلطة الفرنسية التي رفضت الكثير منها وقبلت بعضها.

«وحين تقدم الناس جماعيا للهجرة بناحية سور الغزلان رفضت السلطات أغلب المطالب وقبلت فقط طلب قبيلة أولاد خالد التي كانت تقطن على ضفة وادي البردي. وذهبت القبيلة فعلا إلى سورية جماعيا وتخلت عن 2600 هكتار من الأرض. وتقول المصادر الفرنسية أن السلطات عوضت بهذه الأرض قبيلة عريب التي كانت مخزنية قبل الاحتلال والتي استولت الإدارة الفرنسية على أراضيها لاستعمارها أي أعطتها للكولون. وقد شعر الفرنسيون أن الهجرة الجماعية تدلّ على تذمر سياسي وعدم الثقة في المستقبل تحت إدارتهم. ولذلك رفضت المطالب المذكورة. وتتهم بعض المراجع المرابين اليهود الذين استغلوا سوء المحصول الزراعي للسكان، أخذوا يربحون منهم أموالا طائلة عن طريق القروض»( )، وتقول نادية طرشون في أطروحتها الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام 1847 . 1911م:

«وكان من نتائج هذه الحملة الدعائية أن كثرت طلبات الهجرة على مكاتب السلطات الفرنسية، وسمحت هذه السلطات في شهر ماي من عام 1860 بهجرة أولاد سيدي خالد وبني عمر وهم فرع من وادي بردي، وهاجر هؤلاء إلى بلاد الشام تاركين وراءهم 2600 هكتار من الأراضي الصالحة للزراعة ووصل العدد الحقيقي الأهالي الراغبين في الهجرة منها النوع إلى547 شخص أي بنسبة 72 بالمائة من مجموع سكان المنطقة»()

ويقول تقرير اللجنة الإدارية لسور الغزلان المناط بها تنفيذ قرار التقسيم الصادر في 22 أبريل1863 عن قبائل عرش وادي البردي أن عدّة اعتراضات على استيلاء السلطات الفرنسية على أراضي «محيط أولاد سيدي خالد "الدومين" وضع اليد عليها في عام 1860 من جراء هجرة السكان إلى سوريا وتنازلهم أمام القاضي على كل الحقوق الملكية للعقار...»

كما يبيّن التقرير المذكور إن 30 معارضة تم تقديمها من طرف سبع عائلات من أولاد سيدي خالد والذين لم يقدموا على الهجرة وكذلك يبين 57 معارضة أخرى تم تقديمها من طرف السكان الأصليين من أولاد سيدي خالد والذين دخلوا من الهجرة 1861 م.

والطريف الذي يظهر من التقرير أن أراضي قبيلة أولاد سيدي خالد وزعت على عدة جهات بعضها أعطي لقبيلة أولاد عريب على سبيل التعويض وبعضها لإنشاء أماكن للحراسة وثكنة ومحتشدات ومعتقلات. كما يبيّن التقرير أن عائلة بن شناف اعترضت على هذه الاعتراضات لأن بعض أراضي أولاد خالد منحت له من طرف السلطات الفرنسية «لتعويضه عن أعماله الجليلة التي قدّمها وحمايته للطريق الواصل إلى بني منصور...»()

ويستولي التقرير على كامل أراضي بني عمر بما فيها الغابات ولا يترك للقبيلة سوى «حق الاستغلال والانتفاع، نفس الحق كان لسكان بني أدو، ومن زمن طويل وكذلك قبيلتي سيدي خليفة وعين تيزرت».

وبالفعل، فإن عدة عائلات من فرق قبيلة سيدي خالد في عرش وادي البردي ومن قبيلة بني عمر وقبيلة أولاد عيسى وقبيلة عريب قد هاجرت، ولكن ليس عن طريق

تونس، بل عن طريق ميناء العاصمة، حيث نصبت خيامها في منطقة باب عزون، وفي وقت لاحق، خاصة بعد ثورة المقراني 1871 م وما تلاها من تدمير وتفكيك للأعراش التي شاركت في هذه الثورة هاجرت عائلات أخرى من ذات الأعراش التي هاجرت في1860 وعائلات جديدة من أعراش أخرى ولا يزال نسل هذه العائلات موجودا في بلاد الشام . وسأتحدث عنهم في بحث آخر من بحوث هذا الكتاب . عائلات قبيلة أولاد خالد ومعها عائلات قبيلة العميرات "بني عمر" وعائلات قبيلة أولاد عيسى فظهرت في دمشق في ماي 1860 وشاركت في حماية المسيحيين في تموز/يوليو 1860 فقد حدث الذي توقعه الأمير عبد القادر. وبعد أشهر قليلة جرى إسكانها، فأسكنت عائلات قبيلة أولاد خالد وعائلات من قبيلة العميرات في عدة قرى في منطقة صفد ثم جمعت في قرية معذر في منطقة طبرية، وأما عائلات قبيلة أولاد عيسى فأسكنت في حوران وفي قرية كفر سبت بمنطقة طبرية، ويجدر أن أذكر هنا أن بعض الأسر من هذه العائلات لم يعجبها المقام في المشرق العربي فرجعت إلى وادي البردي لتجد أن أراضيها قد صودرت بطرق احتيالية برعت فيها السلطة الاستعمارية ووزعت على المستوطنين فبدأت معاناة جديدة.

أولاد عيسى:

تعتبر قبيلة أولاد عيسى أكبر القبائل الجزائرية المهاجرة إلى الشام في القرن التاسع عشر الميلادي..وقد تمّت هجرتها على مراحل فقد هاجر جدها المؤسس لها في الشام مع هجرة العلماء بقيادة ابن سالم والمبارك والسكلاوي عام 1847 ولأن مضارب هذه القبيلة الكبيرة تمتد مابين عين بسام وسور الغزلان في سهل حمزة إلى الشلف مرورا بالمدية وحتى بسكرة وبرج بوعريريج.. فقد كانت ذات تأثير إقتصادي وديني كبير فهي منطقة الوصل بين غرب الجزائر وشرقها من جهة، وبين منطقة القبائل خاصة في البويرة وتيزي وزو وبرج بوعريريج وسطيف وبين المناطق الصحراوية خاصة في بوسعادة والمسيلة وكذا منطقة التيطري "المدية" والجلفة، وبالإضافة إلى هذا الدور لعبت دورا دينيا صوفيا متداخلا، حيث تتشارك هذه القبيلة مع قبائل أخرى مثل سيدي خالد في البويرة وقبيلة الجعدي في منطقة الأخضرية بالانتساب إلى سيدي بودربالة أوسيدي بوقبرين. وبوقبرين اسم يتكرر في منطقة بجاية وغيرها، ولست أدري إذا ماكان ذلك يعني

أن الولي الدفين قد نقل رفاته من قبر إلى قبر وهي مسالة قد لا يوافق عليها بعض رجال الدين..

لكننا وجدنا في عام 1966 أن الدولة الجزائرية قد نقلت رفات الأمير عبد القادر من دمشق إلى مقبرة العالية في العاصمة الجزائرية وهو ما سأتحدث عنه في بحث آخر من هذا الكتاب. ولا اعتقد أن الحكومتان الجزائرية والسورية قد فعلتا ذلك دون موافقة رجال الدين في الدولتين. ولا علاقة لهذه القبيلة التي مركزها الأساسي بلدة سيدي عيسى . التي زرتها عدة مرات . بالطريقة الصوفية المعروفة العيساوية والتي تضم قبائل كثيرة في المغرب والمشرق و التي تأسست في مكناس بالمغرب فهناك خلط بين الناس وقد أشار إلى هذا الخلط الدكتور أبو القاسم سعد الله حين قال:

«... وربما يختلط الأمر على البعض فيظن أن سيدي محمد بن عيسى المسماة عليه بلدة سيدي عيسى بين السور وبوسعادة، هو من العيساوية. ونحن لا ندري الحقيقة ولكن الذين بحثوا قالوا إنه لا علاقة بين الاسمين ويذهب رين الذي له كتاب في تاريخ القبائل والأعراش بالجزائر حسب أقاليمها ومناطقها، إلى أن أولاد سيدي عيسى من الأشراف المرابطين وليسوا فرعا من الطريقة العيساوية. وكان الرئيس الديني لقبيلة أولاد سيدي عيسى عندئذ 1884 م هو سي الأطرش بن محمد بن عذيبة، وكان عمره 88 سنة، وكان قيّما على ضريح حفيد سيدي عيسى، وليس له زاوية ولا مدرسة، وهو شيخ كان يعيش بعيدا عن الفرنسيين، وينسب إليه الناس رؤى منامية عجيبة، وله أولاد كان يمكنهم في نظر الفرنسيين أن يلعبوا دورا سيّاسيا إذا أرادوا نظرا لشهرة والدهم بهذه الكرامات، ويقصد رين أنه في إمكان الفرنسيين توظيف أمثال هذه الكرامات والسمعة لصالحهم بإسناد وظائف لأولاد الشيخ المذكور. وكان للشيخ الأطرش ولد يدعي الحسين مرشحا لخلافته وقد نعته رين بأنه رجل عاقل ويحصل على الغفارة من القبائل المجاورة والبعيدة من بسكرة إلى المدية وإلى البرج»().

وتتبع سيدي عيسى حسب التقسيم الإداري الحالي"2013" في الجزائر إلى ولاية المسيلة المجاورة لولاية البويرة وهي أقرب مدن هذه الولاية إليها تقريبا ولا يزال الناس في مدن سور الغزلان وعين بسام وحتى من مدينة البويرة يذهبون إلى أسواق مدينة سيدي عيسى يتبضّعون كما أن أهالي سيدي عيسى يأتون هذه المدينة لنفس السبب كما

يذهبون إلى مدينة تابلاط وغيرها من مدن ولاية المدية وولاية البليدة ولعل ذلك يعود إلى انتشار هذه القبيلة منذ قرون في هذه المنطقة.

وقد أسس مدينة أو بلدة سيدي عيسى حسب بعض المصادر الولي الصالح عيسى بن أمحمد بن ناصر بن عبد الرحمن بن العمال بن طاعة الله بن الجبار بن ناصر الذي ينحدر من سلالة الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقد زوّج ابنته إلى تلميذه "أبو الليث محمد النايل" فتوثقت عرى القبيلة مع واحدة من أكبر قبائل الجزائر حتى الآن وهي قبيلة أولاد نايل في الجلفة وعلى ذلك ظلت بلدة سيدي عيسى ملتقى القبائل العربية والأمازيغية حتى في العهد الاستعماري الفرنسي، وكانت التجارة الرائجة في بلدة سيدي عيسى وتزوّد بها أبناء المنطقة هي تجارة الخيول.

ونحن نجد اسم شخص محمد بن عيسى مع المهاجرين الذين وقّعوا مع بن سالم معروض طلب الأراضي الذي قدّموه إلى السلطات العثمانية وأكثر أولاد سيدي عيسى الموجودين في المشرق هم من فرقة الوهيبى وفرقة الموافيق ومرد ذلك إلى أن هذه الفرقة هاجرت على دفعتين الأولى عام 1847 حين طلب الحاكم العسكري في سور الغزلان من زعيم فرقة الوهيبى المعروف بأحمد بن عمر الوهيبى الدخول تحت الطاعة الفرنسية فرفض وابلغ جماعته أنه مهاجر إلى الشام فالتحق به من التحق والثانية في عام 1860 حين أرسل الأمير عبد القادر رجل مهماته السرّية محمد بن عبد الله الخالدي إلى هذه المنطقة ليطلب من بعض القبائل الالتحاق به، حيث كان يهيئ للتصدي للفتنة التي حدثت في الشام، فوصلت قبائل سيدي عيسى وسيدي خالد وسيدي عمر"العميرات" دمشق في مايو/ أيار1860 واندلعت الفتنة فعلا، كما هو معلوم في تموز/يوليو1860 وشارك هؤلاء بحماية النصارى.

وحين نتبع فرق وعائلات هذه القبيلة وأعلامها في الجزائر نجد أسماء الوهيبي والموافيق ودحمان والأسود وقويدر تتكرر أيضا حين نستعرض أسماء عائلات هذه القبيلة في سورية وفلسطين.

ويبدو أن كلام الدكتور أبو القاسم سعد الله على أن قبيلة أولاد سيدي عيسى لا علاقة لها بالطريقة العيساوية صحيحا، حيث لم أعثر لهذه القبيلة في فلسطين وسورية على أية مرجعية دينية وكان مرجعهم في فلسطين حتى عام 1948 خالي الشيخ أحمد بن

محمد الخالدي الذي كان يسكن في قرية معذر قرب طبرية مع قبيلته أولاد سيدي خالد حتى أنّهم طلبوا إليه الانتقال إلى قريتهم المجاورة كفر سبت وهذا يدل على عمق العلاقة بين القبيلتين، وكان أولاد سيدي عيسى في فلسطين وسورية إلى عهد الستينيات في القرن العشرين لا يتزاوجون من خارج قبيلتهم، ولعل من المرات النادرة التي حدث فيها ذلك كان زواج أحدهم من إحدى عماتي كإشارة واضحة إلى العلاقة الطيبة بين القبيلتين الجارتين سواء في المغرب أوفي المشرق.

وفي عام 1871 شاركت هذه القبيلة في ثورة المقراني فطالها التدمير والتشريد الذي قامت به السلطات الاستعمارية ضد كل المشاركين في هذه الثورة التي امتدت إلى بجاية وبعض مناطق المدية. فكان أن هاجرت عائلات أخرى من عائلاتها والتحقت بمن سبقوها إلى الشام.

أسكنت هذه القبيلة بعد 1860 في الشام في منطقة جد إستراتيجية فقد أسكنت في وسط منطقة حوران ملاصقة لنهر اليرموك الذي يصب في نهر الأردن، وهي في الجانب السوري اليوم وكانت منطقة حوران هذه منطقة مضطربة تسودها القلاقل ضد الحكم العثماني في القرن التاسع عشر، وفي بدايته كان الحكم الوهابي في الجزيرة قد وصلها، وأما في فلسطين فقد أسكنت في بلدتي كفر سبت وشعارة اللتان تشرفان على سهل بيسان ومصب نهر اليرموك في الأردن إثر خروجه من بحيرة طبرية وتتصلان بطبرية وسهل الناصرة وفي الحديث عن الإرث النضالي لهذه القبيلة في الشام، نجد لها دورا واضحا في أحداث القرن العشرين سواء في مقاومة الحركة الصهيونية أوفي الثورة العربية ضد الأتراك أوفي الثورة السورية ضد الفرنسيين. وسأتحدث عن ذلك في بحث آخر.

وأما على صعيد العائلات فقد برزت عائلة بن سالم في منطقة صفد حيث اعطي راس العائلة احمد الطيب بن سالم اراضي في قرية بيريا واحمد الطيب بن سالم هو مؤسس الجالية الجزائرية في بلاد الشام فهو قائد الهجرة من دلس عام1847 وهو الذي طلب من الحكومة العثمانية امداد الجزائريين بالاراضي وتشكيل القرى حتى لا يكونوا عالة على المجتمع ولكن بن سالم لم يمكث طويلا حيث التحق بالأمير عبد القادر لدى وصوله إلى بروسة اثر الافراج عنه وتوفي احمد الطيب بن سالم بين يدي

أميره هناك قبل ان يصل هذا إلى دمشق عام 1856 وظلت العائلة تحمل جواز سفرها الجزائري منذ الاحتلال الفرنسي وحتى الان

وقد قامت عائلة بن سالم التي عرفت في المشرق باسم الدلسي- نسبة إلى دلس التي انطلقت الهجرة من مينائها - بدور كبير في النضال الفلسطيني فقد اشرفت على تهريب السلاح من لبنان وسورية إلى المجاهدين الفلسطينيين خاصة خلال ثورة 1936-1939 وثورة 1947-1948 وشكل الحفيد رشيد الدلسي جمعية المقاصد الخيرية المغربية في صفد التي كانت تمول السلاح و تنقله وقد توفي رشيد بن سالم في دمشق عن ولدين ذكرين هما مؤيد اول خبير انواء جوية في العالم العربي تخرج من بريطانيا خمسينيات القرن الماضي وعمل خبيرا في الأمم المتحدة وعمل هو واخوه المهندس الزراعي عصام في الجزائر عدة سنوات في الجزائر ثم في العراق، وعائلة بن سالم لا تزال موجودة في عين بسام والبويرة ذاتها.

واما عائلة الخالدي فمؤسسها في المشرق العربي هو محمد بن عبد الله الخالدي احد رجالات الامير وموفده في المهمات الصعبة ومدرس اولاده واخوته وقاضيه على المهاجرين الجزائريين ومحرر كتبه خاصة كتاب المقراض الحاد .

وقدتوفي محمد عبد الله الخالدي قبيل وفاة الامير الذي عين ولده امحمد بن محمد بن عبد الله الخالدي في منصب قاضي المهاجرين وقلدته الدولة العثمانية منصب مفتي المالكية في الشام وترك امحمد ولدا هو احمد الخالدي وهو خالي شقيق والدتي وقد كان رحمه الله علامة في انساب الجزائريين في المشرق والمغرب وظل على اتصال ومكاتبات مع الاهل في سيدي خالد خاصة شيوخ القبة لخضر يونسي وابراهيم ملوك

ونالت عائلات البويرة اهمية في المشرق العربي عائلة الشريف ولدي بعض الوثائق التي تحمل اسم شريف المنور الذي ذكره ابو يعلي الزواوي في كتابه تاريخ الزواوة حين عدد رجالات الزواوة في الشام

استنتاج

نستنتج مما سبق ان اعراش البويرة قامت بدور كبير في حكاية التواصل بين المشرق والمغرب العربيين كما يقومون بدور في التواصل بين ولايات الجزائر الغربية والشرقية والجنوبية

وهذا يعني أن على الباحثين الأكاديميين المحليين الانتباه لهذا التاريخ الانفتاحي الكبير المنبثق من موقع جغرافي منفتح

س خ 2016/4/25 البويرة

حملة اللورد إكسموث على مدينة الجزائر سنة 1816 في عيون رحّالة محلي وقنصل أجنبي

بلعمري فاتح جامعة المسيلة

الملخص:

يتناول هذا المقال حملة اللورد إكسموث على مدينة الجزائر سنة 1816 من خلال كتابات رحّالة محلي، وهو أحد شيوخ الزوايا ويدعى عبد الرحمان بن ادريس الأكبر، القنصل الامريكي في الجزائر، وهما شاهدا عيان على الحملة. ولطالما اتهم الغربيون الكتاب المحليين بعدم الموضوعية ونقص الدقة في رواية الأحداث، بيد أن ما كتبه الرحالة المحلي يثبت عكس ذلك تماما. إذ قدم هذا الأخير رواية لأحداث الحملة أكثر دقة وتفصيلا، وتتجاوز بكثير من حيث موضوعيتها وحيادية كاتبها رواية القنصل الأمريكي وليام شالر.

Résumé :

Ce article parle d'une invasion de Lord Exmouth sur la ville d'Alger en 1816 à travers les écrits de voyageurs local qui était un savant et du « cheikh » de la Zaouïa : ABD-EL-RAHMANE BEN IDRISS-EL AKBAR et un consul étranger, il représente L'U.S.A en Algérie comme deux témoins oculaires sur cet évènement.

Les occidentaux avaient suffisamment accusé nos écrivains et historiens du non objectivité et de la non netteté de leurs écrits. Mais ce qu'avait affirmé ce voyageur indigène était le contraire.

Il avait dépassé les explications du consul américain WILLIAM SHALLER et ceci à travers les arguments qu'il a présenté.

Abstract:

The campaign of Lord Exmouth on the city of Algiers in 1816 – according to local travelers and a foreign consul - comparative study-

This topic told about Lord Exmouth invasion on the city of Algiers in 1816 through local traveler's writings, who was a scientist and Abderrahmane Ben Idriss El Akbar "sheikh" of Zaouia and by a foreign consul, who represents the USA in Algeria .These two persons were two eyewitnesses to this event. Westerners had enough accused our writers and historians about non objectivity and non sharpness of their writings. But what was said by this indigenous traveler was the opposite. He had overtaken the explanations of the American consul "William Shaller" through his different arguments.

مقدمة:

كثيرة هي الحملات الأوروبية التي تعرضت لها مدينة الجزائر أثناء العهد العثماني (1519-1830)(1)، ولهذا الأمر مبررات عدّة، في مقدمتها سيطرتها على البحر الأبيض المتوسط، خصوصا حوضه الغربي بفضل رجال بحريتها حينذاك، وفرضها العديد من الشروط والقوانين والتي بموجبها يتم المرور في هذه الرقعة البحرية بسلامة أو التعرض للأسر والحجز لكل من لا يراعي تلك البنود.

وبقدر ما شنت الدول الأوربية هجمات فردية أو جماعية على دار الجهاد(2)، كانت هذه الأخيرة في نظرهم مدينة الرعب وعش العفاريت(3)، بقدر ما دافعت المحروسة(4)، عن نفسها طيلة ثلاثة قرون وأزيد.

ولعلّ من أهم هذه الحملات الأوربية على "مدينة الجزائر"، حملة اللورد إكسموث(5) (LORD EXMOUTH) في نهاية أوت سنة 1816م، والتي هي محور هذا الموضوع. فمن محاسن الصدف التاريخية أن تزامنت هذه الحملة مع وجود شخصين مهمين في مدينة الجزائر، قدما وصفا لهذه الحملة، إنهما رحّالة محلي (أي جزائري)، وآخر رجل دبلوماسي أجنبي، وكل واحد منهما دوّن أخبار هذه الحملة من عدة زوايا. وهنا تكمن الإشكالية، فمن يكون هذان الشخصان؟ اللذان حضرا وشاهدا حملة اللورد إكسموث وكتبا عنها؟وما مدى صدق كل واحد منهما في سرد الحقائق ونقل الأخبار؟ فأين اختلفا وأين اتفقا في ذكر أنباء الحملة ؟وكيف كان سيرها ونتائجها؟ وما هي العوامل والأسباب التي تحكمت فيهما وفي إبداء آرائهما؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه، حتى نستطيع الوصول إلى التصور الحقيقي للحدث من حيث أسبابه، سيره ونتائجه.

وفي هذا المقام نحمد الله تعالى أن وجدنا من أسلافنا من يسّر الله له طريق الكتابة والتدوين حتى نقف على نتائج المقارنة بما كتبوه هم مع ما كتبه الغير، وأملنا في ذلك خدمة الحقيقة التاريخية لا غير.

I- التعريف بالشخصين "الرحّالة المحلي والقنصل الأجنبي":

أ- **الرحّالة المحلي**: عبد الرحمن بن إدريس بن عمر الأكبر التنلاني التواتي:

هو عبد الرحمن بن إدريس بن عمر الأكبر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلاني ينتهي نسبه إلى سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وكنيته أبو زيد، كان عالما ماهرا في أصول الفقه والتفسير وكان حافظا للمسائل، ولد بتوات(6) 1181هـ، وتتلمذ على يد شيوخ فطاحل منهم: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، محمد بن أحميد الزجلاوي وعبد القادر بن شقرون.(7)

لم يكتف "عبد الرحمن بن إدريس" بالعلم المقدم له بتوات فرحل إلى فاس، وترك مجموعة من الفتوى، ومن أهم مؤلفاته: الرحلة أي رحلة عبد الرحمن بن إدريس التنلاني التواتي الجزائري إلى الجزائر العاصمة. لقد كان عبد الرحمن كاتبا ومدرّسا تخرج على يديه مجموعة من العلماء، سواء أتعلق الأمر بمنطقة تمنطيت، جرارة أو تيديكلت....أو غيرها من مناطق ولاية أدرار حاليا، كما كان له تأثير خارج هذه المنطقة وخاصة فيما كان يعرف بالسودان الغربي، أو غرب إفريقيا حاليا.(8)

تعتبر رحلة عبد الرحمن بن إدريس وثيقة ذات درجة كبيرة من الأهمية، ليس فقط في سرده حادثة حملة اللورد إكسموث على مدينة الجزائر سنة 1816 م، بل تتعدى هذا إلى ذكر بعض الحقائق عن المدن والقرى التي مر بها هذا الرحالة منذ انطلاقه في رحلته من قصر تنلان بأدرار إلى غاية وصوله إلى مدينة الجزائر العاصمة وهي: (قصر ملوكة، أدرار، تيميمون، المنيعة، متليلي، وادي ميزاب (مليكة)، الأغواط، الجلفة، المدية، والجزائر العاصمة)(9).

لقد توفي "عبد الرحمن بن إدريس" في جمادى الثانية من عام 1233هـ، الموافق لسنة 1817 بمدينة سوى(10)، وهو في طريق العودة من الحرمين الشريفين(11)، فرحمه الله تعالى على هذا العالم الجليل والرحالة النبيل الذي ترك لنا ما دّونه يراعه عن حملة اللورد إكسموث. ولا يفوتني في هذا المقام أن أقر باتهام المؤرخين الغربيين في كثير من الأحيان لكتابنا المحليين ومؤرخينا بعدم الدقة والموضوعية في نقل الأخبار و

المبالغة في العديد من الأوقات، فهل هذه حقيقة أم بهتان؟ هذا ما أودّ أن أعرف خباياه واقف على أصله بمقارنة نص "عبد الرحمن بن إدريس "بما كتب وليم شالر" القنصل الأجنبي. فمن يكون هذا الأخير؟

ب- القنصل الأجنبي: وليام شالر: "WILLIAM SHALLER"

لقد كان "وليام شالر" قنصلا للولايات المتحدة الأمريكية في الجزائر ما بين سنوات 1816-1824م وألّف عن عمله الدبلوماسي هذا كتابا، هو بمثابة تقرير شاهد عيان على هجوم إكسموث ويوميات قنصلية احتفظ بها(12)، وقد اقترح في كتابه: مختصر الجزائر "Sketches of Algiers" المطبوع عام 1826م في بوسطن استعمار الجزائر من طرف أوروبا، وبالتحديد بريطانيا حيث قال: »...إن بريطانيا يجب أن تعتزم على استعمار واحتلال هذا القسم من إفريقيا... «، وأوضح بأن أية مصاريف ستكلفها الحملة على الجزائر ستعوضها الخزينة الجزائرية، والتي قال بأنها تحتوي على مبلغ خمسين مليون دولار.(13)

ومما زاد من خطورة الأمر وأهميته، أن كتاب شالر ترجم في الحين إلى الفرنسية بعنوان هو: "Aperçu Historique sur l'état d'Alger"، ثم وضع في متناول وزارة الحربية الفرنسية، وبعد عام واحد فقط من صدوره، أعلنت فرنسا الحصار على الجزائر (1827)(14)، وإنّي أعتقد أن السلطات الفرنسية ترجمت ما جاء في كتاب شالر إلى عمل ميداني لا يقل أهمية عما كتبه آخرون من أبنائها وفي مقدمتهم الجاسوس بوتان(15)، من هذه الزاوية بالذات برهن "شالر" على أنه ملاحظ ومدوّن من الطراز العالي، ترك مادة تاريخية عالية القيمة عن الجزائر وعن حملة إكسموث البحرية عام 1816م(16).

وبما أن محور الحديث لهذا الموضوع هو "حملة اللورد إكسموث" كما دونها كل من "عبد الرحمن بن إدريس التنلاني التواتي ، ووليم شالر"، فإني اهتديت إلى وضع عناصر حتى تسهل عملية المقارنة من حيث ما ذكر الرحّالة المحلي بما كتب القنصل الأجنبي.

II- ذكر أخبار الحملة:

1- نزول سفن الإنجليز مع وصفها:

يذكر الرحالة المحلي "عبد الرحمن بن إدريس" نزول سفن الإنجليز بمياه الجزائر ويقول:"...يوم الأحد من شهر تاريخه عند العصر نزلت سفن عدو الله بدر لنكليز قرب الجزائر في البحر، وهي أربعون سفينة، وكل سفينة فيها مائة مدفع كبير، كل مدفع عمارته قنطار بارود، ونزلوا بعيدا عن المدينة، بحيث لا تصلهم الرمية من الجزائر، وأقاموا يومهم ذاك وغدهم كذلك"(17)، في حين القنصل الأمريكي لم يصف الأسطول وقوته بقدر ما ذكره دون تفاصل فقال: "...وصل الأسطول المشترك إلى الجزائر في صباح يوم 17 أغسطس (18).

وفي هذا الشأن بقدر ما اختلف الرحّالة المحلي في ذكر عدّة وعتاد الأسطول صمت القنصل الأمريكي عن هذا،ويمكننا أن نسجل دقة وموضوعية عبد الرحمن بن إدريس بما كتب، لأنه ذكر ذلك وقال: "...إن ما قلته بعضه مشاهدة، وبعضه بطريق الخبر من الثقاة..."(19)، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن القنصل الأمريكي قلل من شأن قوة هذه الحملة ، وعدم قدرتها على احتلال البلد فذكر: "...نوع القوة ليس من شأنه احتلال البلد..."(20)، ونجده متناقضا فيما بعد في شأن هذا الخبر.

لكن ما غاب عن الرحّالة المحلي بأن الأسطول كان مشتركا (بين الإنجليز والهولنديين) و يواصل ذكره القنصل الأمريكي، الذي حمّل مسؤولية نشر خبر الحملة للصحف الفرنسية، وهذا ما خالفه تماما الرحالة المحلي.

2- تبديل الأعلام السوداء بالبيضاء :

يقول عبد الرحمن بن إدريس الرحّالة المحلي في هذا الإطار: "...في صبيحة ضحى الثلاثاء، بدلوا جميع أعلام سفنهم، وجعلوها بعد أن كانت سوداء من الأعلام البيض، وهي أعلام صلح وعافية، بخلاف السود فهي أعلام الحرب..."(21)، غير أن القنصل شالر يفنّد هذه الحادثة ويذكر: "...إن الجزائريين يتظاهرون بالاعتقاد بأنهم

فوجئوا بالأسطول البريطاني الهولندي الذي كان يحمل عالم الصلح وغدر بهم..."(22)، ولعلّ الرحّالة المحلي في هذا الأمر كان صادقا، وهذا ما يدحض قول القنصل الأمريكي شالر لأن في مكاتبة إكسموث لداي الجزائر بعد انتهاء الحملة ما يثبت المكر والحيلة والخديعة حيث يقول: "...إن ملاقاة الأقران ومحاربتهم يكون بالقوة، ويكون بالشجاعة، ويكون بالمكيدة والحيلة، كما قيل الحرب خداع..."(23)، ولعل لإخفاء القنصل الأجنبي أمر خديعة تبديل الأعلام السوداء بالبيضاء اعترافا منه بقوة بني جلدته وإظهاره لحسن تنظيمهم وتفوقهم. والمتتبع لرسالة القائد إكسموث يقف على حقيقة استعمال الأسطول للحيل والخديعة حيث يعترف فيقول: "...وكما ينبغي لأمثالك أن يكون فيهم فضل جماعة، فكذلك ينبغي لهم أن يكونوا أهل مكر وخديعة، بل هذا أولى بهم وأكد في حقهم، ولو كنت متصفا بذلك ما توصلت أن لما فعلته بك وبمدينتك..."(24)، فمن الراجح أن قنصل أمريكا "وليام شالر" أخفى أمر تبديل الأعلام، وإلا كيف نفسر دخول الأسطول إلى ميناء الجزائر دون تعرضه لأذى؟.

3- ذكر مكاتبة الانجليز لداي الجزائر:

لقد قدّم الرحّالة المحلي كل الكتاب (الرسالة) الذي بعث به قائد الأسطول إلى داي الجزائر وفيه يقول: "...إعلم أني جئتك ناصحا ومصلحا...عندي ألفين قلاع جئتك منها بأربعين...وإن أبيت عن الصلح فنعم...وشاور على هذا نفسك وكبراء دولتك وأجّلتك ساعتين..."(25)، في حين لمح القنصل الأجنبي إلى هذه المكاتبة دون ذكر التفاصيل حيث قال: "...لما وصل الأميرال إكسموث إلى الجزائر، بعث بإنذار حكومته وطالب بردٍ في ظرف مدة محددة..."(26)، ولعله في هذه المسألة بالذات بانت دقة وموضوعية الرحّالة المحلي عن القنصل الأجنبي في ذكر كل تفاصيل الإنذار مع تحديد المدة الزمنية (ساعتين) والتي بقيت مبهمة عند القنصل الأجنبي.

4- بلوغ الكتاب صاحب الجزائر والسبب في عدم الجواب عليه:

يتحدث الرحّالة المحلي، رجل الدين وشيخ الزاوية عن هذا الأمر ويوضح السبب فيه فيقول: "...بلغ الكتاب صاحب الجزائر ووجد أكابر البلد ورؤساء الجند مفترقين في الجنانات لأن هذه الواقعة وقعت في فصل الخريف، وعادة البلد أن كل من عنده جنان

يكون سكناه فيه ذلك الوقت، فتعطل الجواب على النصراني..."(27)، وبالمقابل فإن القنصل شالر يتهم داي الجزائر بالتصرف غير السليم وبقلة التصميم والحزم، وأن هذا لا يليق بشخصه، كما أنه أعاد رسول الأميرال البريطاني دون جواب على إنذاره..."(28)، ودون تحيز ولا مبالغة فإن عبد الرحمن بن إدريس كان محقا في نقل الخبر وقدم مبرراته المنطقية والواقعية والتي أثبتتها المصادر والقرائن، غير أن القنصل الأمريكي يبدوا جليا أنه كان متحاملا ومتعصبا في حكمه أيضا، دون إدراكه لمبرّرات عودة رسول الأميرال إلى سيده دون جواب، ولعل لهذا الأمر قراءة أخرى وتساؤل جدير بالطرح، لماذا كان اختيار هذا الزمان بالذات من طرف بريطانيا للهجوم على مدينة الجزائر؟ لو لم تكن مطلعة على الأوضاع داخل المدينة وعلى الحياة الخاصة بأكابر جندها و رؤسائها أيام فصل الخريف، وهذا ما يفتح مجال شك المؤرخ والباحث معا؟.

5- دخول سفن العدو مرسى الجزائر وعدم تعرضها لأذى:

يتمادى القنصل الأجنبي في تحميل مسؤولية هزيمة الجزائريين إلى الباشا أولا حيث يقول: "...سمح الباشا أيضا في نفس الوقت للأسطول المشترك بأن يختار المواقع الملائمة لقصف المدينة...دون أن تخطر في باله مقاومة..."(29)، ثم يبدي رأيه في دفاع المدينة ويقول: "...لو سدّد الجزائريين نيران مدافعهم بإحكام في بداية المعركة إلى بوارج عدّوهم التي يستطيعون إصابتها بسهولة لكان من المرجّح أن تنزل بها خسائر كبيرة..."(30)، غير أن الحقيقة التاريخية عكس ذلك تماما، وهذا ما أدلى به الرحّالة المحلي " عبد الرحمن بن إدريس" الذي يقّر بدخول سفن الأسطول إلى مرسى الجزائر، والمدافعين هناك أرادوا أن يضربوه بالمدافع فحلف عليهم القايد سمي "علي" وهو قايد المرسى الذي قال: "...لا مدّ أحدكم يده للضرب إلاّ قطعتها له..."(31)، ويذكر بأن في الأمر وقوع رشوة من طرف الانجليز لهذا القايد بحوالي 50 قنطارا، أو "25" أو "15" دون أن يؤكدها.

إن المتتبع لنهاية قايد المرسى، كيف أزهقت روحه من طرف الباشا عمر (32)، يتأكد بأن هذا الأخير لم يكن على علم بدخول سفن الأسطول ميناء الجزائر، والشيء الوحيد الذي اتفقا عليه كل من الرحّالة المحلي والقنصل الأجنبي، هو أن الأسطول رسى

في الميناء دون أية مقاومة تذكر. غير أن الرأي الذي ينفرد به " عبد الرحمن بن إدريس" ولم يذكره "وليام شالر" هو ضرب الأسطول لمصدر الماء الذي يزود المدينة للشرب والتطهر بثلاثة مدافع وقعت على الساقية"(33)، وكان ذلك منذ بداية استقراره بالميناء، وفي هذا الأمر أعتقد أن الباحث والمؤرخ يستطيع أن يتخذ رأيه فيما كتب الرّحالة المحلي.

6- قصف المدينة:

لقد كان الرّحالة المحلي " عبد الرحمن بن إدريس" أكثر دقة من نظيره القنصل الأمريكي وليام شالر، لأنه حدّد بداية المعركة إلى غاية نهايتها، ثم ذكر المدة التي استغرقتها حيث يقول: "...ثم والى على المدينة بالبارود، وذلك بعد العصر، وقبل العصر، فلم يواليه عليها حتى قرب نصف الليل، ومدة ذلك على التحقيق إحدى عشر ساعة غير سدس..."(34)، بينما وليام شالر يذكر بأن المعركة كانت في صالح الانجليز منذ البداية لأنهم أكثر تنظيما وشجاعة وخبرة عكس الأتراك المتصفين بالجرأة والجهل والغرور (35)، وإني أعتقد في هذا الشأن أن هذا القنصل أبدى تحاملا وكرها للعثمانيين بسبب حكمه المسبق، ومن زاوية أخرى قلّص مدّة المعركة إلى تسع ساعات راحت الجزائر بعدها تطلب الصلح(36).

وإن كانت مدة المعركة في رأيي قد تفوق التسع ساعات، لأن بدايتها كانت قبل العصر، وكلمة قبل تعني طول المدة "بساعة أو ساعتين" إلى غاية منتصف الليل، وعلى هذا الأساس فلعلها تكون من الثانية زوالا إلى قرابة منتصف الليل إلاّ عشر دقائق.

ومما زاد تميز الرحّالة المحلي وانفراده بالموضوعية والدقة هو ذكره لعدد الكور التي سقطت على المدينة (إحدى وأربعين ألف كورة)(37)، دون أن يذكرها هذا القنصل وليام شالر ولو بمجرد إشارة، أمّا فيما يخص حرق جميع سفن أسطول الجزائر التي لم يتعرض لها القنصل شالر، فإن عبد الرحمن بن إدريس يؤكد هذه الحادثة ويذكر عدد السفن المحرقة وهي 14 سفينة كبار جدا، 13 أحرقت حتى لم يبقى لها أثر والرابعة عشر بقي شيء منها(38)، ومن هذه الواقعة أيضا تأكد لنا بأن الرحّالة المحلي كان

يتحرى الأمانة في نقل خبره والدقة في وصفه لما حدث، والتي اكتفى القنصل شالر فيها بقوله: "...الأسطول دمّر..."(39)، دون توضيح وتدقيق.

مما زاد في تأثير نفسية الرحالة المحلي عبد الرحمن بن إدريس هو حالة السكان في تلك الليلة والتي يصفها بعدة أوصاف تنمّ عن صدقه ونبل إحساسه فهي عنده ليلة شابت فيها الولدان، أسقطت فيها الحوامل، إشتدّ فيها البكاء والعويل، عظم فيها الكرب والهم والغم (40)،...وبالموازاة فهذا ما لم نجد له أثرا على الإطلاق عند الدبلوماسي شالر، بل بالعكس من ذلك تماما يصرح بأن تخريب وكر القرصنة لم يكن ضمن مخطط الحكومة البريطانية (41)، ولعل الصفة التي نعت بها مدينة الجزائر أظهرت عدائه الشديد ومقته الدفين لها.

7- شروط الصلح:

بحكم أن القنصل الأمريكي شالر كان قريبا من الداي "عمر باشا(42) "، فقد أكد على امتعاض الداي من شروط الصلح، إلاّ أنه ذكر ثلاثة شروط تخص هذا الصلح، فيها ما اختلف مع الرحّالة المحلي وفيها ما اتفق معه، وهذه الشروط عند شالر هي: (43)

أ- إطلاق سراح جميع العبيد المسيحيين.

ب- إعادة مبلغ 350.000 دولار كان ملك نابولي وسردانيا قد دفعاه فدية لرعاياهم الذين أطلق سراحهم في شهر أفريل الماضي.

ت- تنازل الإيالة عن استرقاق رعايا الدول المسيحية في المستقبل، غير أن نظيره عبد الرحمن بن إدريس يحدد عدد الأسرى بـ 1332 أسير، ويذكر مبلغ الفداء بعدد الأسرى (1100 أسير في شهر أفريل الماضي)، كل أسير بألف ريال (دورو الكبير)، والشرط الثالث الذي يذكره هذا الشيخ التنلاني هو أن يطلق صاحب الجزائر للإنجليز وهران وعنابة يكيلون منها الزرع، ولا يدخل الأتراك بين النصارى وأرباب الزرع.(44)

ومن هذا فمحور الاتفاق بين الرحالة المحلي والقنصل الأمريكي هو إطلاق سراح الأسرى وإرجاع مبلغ الفداء، ونقطة الاختلاف بينهما هي في الشرط الثالث الذي لم نجد له ذكرا في نص المعاهدة، غير أنّ السؤال الذي يطرح نفسه، ما الداعي الذي جعل الرحالة المحلي يذكر هذا الشرط، وما السرّ في سكوت القنصل الأمريكي عنه؟ والجواب هو أنه من المرجح أن يكون هذا شرطا سريا، إذا ما علمنا أن إنجلترا كانت دائما المنافس الأول والغريم اللدود لفرنسا، هذه الأخيرة التي استأثرت بتجارة الحبوب خصوصا في الناحية الشرقية ببايلك قسنطينة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد دلنا القنصل الأمريكي شالر ببعض قرارات مؤتمر فينا (1815) والتي تقضي بتحريم استرقاق رعايا الدول المسيحية، وإجبار الجزائر على تطبيق ذلك.

8- عقد الصلح:

اتفق كل من الرحالة المحلي والقنصل الأجنبي على أن الصلح وقع والجزائر قبلت بكل الشروط، غير أنّ الرحّالة المحلي ينفرد بتحديد مدة هذا الصلح، بين خمس أشهر وسنة وخمس سنين، لكنه أكدّ أنّ القاضي المالكي في تلك الفترة هو الذي أخبره بوقوعه سنة، وعلى هذا الأساس فمصدر معلومات هذا الرحّالة المحلي في الغالب كانت من صديقه القاضي (سيدي الحسن بن سيدي الحاج مصطفى) (45)، حتى أنّ المتتبع لذكر معلومات هذا الرّحالة يقف على عبارات عدة تدّل على تدوين ما قيل له عن ثقة أو عكس ذلك، إذ يقول: "...ما بلغني تحقيق ذلك عن ثقة..."(46)، في حين القنصل الأمريكي شالر يضيف في هذا الشأن أنّ هولندا عقدت مع الجزائر شروط صلح هي نفسها مع انجلترا بقيادة البارون فاندر كابيلان، ويصف أيضا فرح الانجليز بهذا الانتصار، وتوزيعهم للنياشين وزيادتهم لمعاشات وأجور رجال بحريتهم...(47)، لكن من أين للقنصل شالر بهذه الأخبار؟ وعلى غالب الظن أنّ أنباء انتصار الانجليز على الجزائريين كانت متداولة، ولعلّ من بين أهم المصادر التي استقى منها شالر معلوماته هي من موظفي قنصلية بريطانيا في الجزائر حينها، ومن المؤكد أنها معلومات صحيحة دلت على سعادة الانجليز بهذا الانجاز دولة وشعبا.

أمّا في ما يخص خروج سفن الأسطول من مرسى الجزائر وانتظار وفود الأسرى، فقد أوردها الرحّالة المحلي وزاد على هذا تأكيد أخذهم لمبلغ الفداء، وهذا ما لم يطلعن عليه القنصل الأمريكي شالر إطلاقا. وأني أرى موضوعية الرحالة المحلي وتتبعه للحدث بدقة أكثر من نظيره القنصل الأجنبي وليام شالر.

9- نتائج المعركة:

إنّ ما يذكره الرحّالة المحلي عن خراب مدينة الجزائر دلّ على أنه أكثر دقة وتوضيحا من القنصل الأجنبي وليام شالر، فهو يقدم الواقعة بأرقامها(48)، إذ يقول في بعض منها: (...500 دار خربت، برج الفنار خرب، وفاة 341 رجلا من المسلمين، 47 أكلهم البارود والكور، مات من النصارى 300 رامي...وفيما يخص إعادة بناء ما تهدم وترميم المنشآت فهو يصف هذه العملية وصفا ينّم على أنه عاش الحدث إذ يقول: "...يحمل الحطب الأخضر لطبخ الجير 500 جمل، جميع القبائل التي حول الجزائر يعطون ثلاثة أيام، وضع ألف بغلة لحمل الحجر والجير، 70 معلما للبناء، 1400 خديم، ولكل خديم 7 مزنات، وللمعلم 12 مزنات، وأول عمل قاموا به هو إصلاح سور المرسى، والاهتمام بإعادة بناء المسجد الكبير المنسوب للمالكية وهذا ما لم يصفه بوضوح شالر بتاتا.

دون مبالغة ولا تحيز، فقد أظهر " عبد الرحمن بن إدريس" التنلاني التواتي على أنّه ناقل للخبر من الصنف العالي، بذكره المنشآت المتضررة بأمكنتها وسرده للواقعة بتفاصيلها مع تأكيده على مصدر الخبر، بعضه مشاهدة وبعضه الآخر من الثقاة وعلى رأسهم شيخ القرّاء "سيدي عبد السلام الجبلي المغربي"(49)، وكذا القاضي المالكي السالف الذكر. وما زاد يقيني الكبير بصدق معلوماته ودقته فيها هو ذكره لتحطم روضة سيدي عبد الرحمن الثعالبي بالإضافة إلى هدم قبة مسجد الحنفية الذي عند سوق الحوت وقال:"...حسبت فيه أربعة عشر فرمة..."(50)، وهذا إنّ دلّ على شيء فإنما يدلّ على وقوفه على آثار الحملة وتأثره بها وبمخلّفاتها.

رغم بقاء الرحّالة المحلي في مدينة الجزائر 37 يوما فقط، إلاّ أنه أثبت خبر سير الحادثة ونتائجها بدقة متناهية فاقت وصف وليام شالر الذي لم يتأثر للحدث كثيرا إذ

ما قورن برحالتنا المحلي، وفي اعتقادي هذا راجع إلى عامل الروح الوطنية العالية وكذا الصدق والأمانة في نقل الخبر اللتان اتصفا بهما عبد الرحمن بن إدريس.

وللحقيقة التاريخية يسرد عبد الرحمن بن إدريس كيفية موت قايد (51)، المرسى على يد الباشا عمر، ثم يصف حالة الخوف والرعب والهم والغم التي كان عليها سكان المدينة وقتها، وتوقف البيع والشراء فيها وانعدام الأمن في جميع الطرق المؤدية لها وشيوع خبر خرابها واستيلاء النصارى عليها، غير أنّ الله تعالى هو الذي حال بينهم وبين أخذهم المدينة على حد ذكره، كما يزودنا ببعض المعارف التي تخص دفاع المدينة ناحية البحر بواسطة المدافع المركبة على سور المرسى، وعلى برج الفنار، وعلى ساحل البحر جهة عين الرباط، واستعمال الأسطول الانجليزي لخديعة ومكيدة حراس المدينة حتى وصوله إلى سور المرسى(52).

وللتأكيد على أنّ الرحّالة المحلي كان حاضرا في مواقع عدة تخص حملة اللورد إكسموث على مدينة الجزائر سنة 1816، هو ذكره بأنّ دار الباشا عمر ضربت بكورة وزنها 151 رطلا، أي 75.5 كلغ تقريبا، وقد حضر هو وزن هذه الكورة ويذكر تأثيرها بوفاة 11 نفسا من حشم الباشا، وتخريب مقدار دويرة من داره (قصر الداي)(53).

بقدر ما اختلف الرحّالة المحلي عن نظيره القنصل الأجنبي في عناصر مهمة تخص نتائج المعركة، والتي تبين من خلالها، أنّ عبد الرحمن بن إدريس ملاحظا دقيقا وواصفا أمينا بقدر ما اتفق معه على أنّه لو استأنف قصف المدينة لجلى عنها الأتراك ولأصبح من الممكن احتلالها، وهنا نسجل تناقض وليام شالر مع نفسه بخصوص نوع القوة الذي ليس من شأنه احتلال المدينة كما قال في البداية.

لقد اشترك كل من الرحالة المحلي والقنصل الأمريكي في ذكر عمليات الترميم وإعادة بناء المنشآت المتضررة التي عقبت نهاية المعركة، لكن ينفرد الرحالة المحلي بذكر التفاصيل أكثر من القنصل الأجنبي شالر، والذي يوجه أصابع الاتهام لفرنسا بنشر وإذاعة خبر الحملة، غير أنّ الرحالة المحلي يزودنا بذكر مكاتبة كل من مللك المغرب (مولاي سليمان) (54) ويهود مدينة ليفورنة "Levourne" لداي الجزائر يعلمانه بشأن

حملة اللورد إكسموث على مدينة الجزائر (55)، وعلى غالب الظن أن كلا الخبرين يكون صحيحين.

10- وصف عمر الباشا:

لقد قدم القنصل الأمريكي شالر وصفا دقيقا (56)، لشخص داي الجزائر حينها (عمر باشا) ينّم عن ملازمته له وكثرة ملاقاته، كما قدم نبذة عن حياته وكيفية وصوله إلى الجزائر، ومن ثم إلى سدّة الحكم فيها، وهو في هذا يفوق الرحالة المحلي الذي اكتفى بتقديم شجاعته وقت المعركة بالذات، وهو يستقبل الكور بصدره ووجهه مناديا: ياعباد الله، الجنة مفتوحة لكم أبوابها(57)...،وإني أعتقد أنّ ملازمة القنصل شالر لداي الجزائر في عدة مرات ولقائه به في مناسبات كثيرة بحكم منصبه كقنصل ورجل دبلوماسي جعله يقدم على وصفه وصفا يتضح من خلاله معرفته الدقيقة به، مع استعانته بمصادر أخرى ساعدته على تتبع مراحل الحياة لهذا الشخص، وفي نفس هذا الإطار نقول أنه لو كان الرحالة المحلي قريبا من داي الجزائر، أو أتيحت له الفرصة لملاقاته مرات عدة لكان وصفه له أدق من وصف شالر، وإن كان هذا التخمين لا يغير من حقيقة الأمر شيء، ولقد برهن القنصل الأمريكي على أنه ملاحظ متميز في شخص داي الجزائر وجامع لأخباره وحياته أكثر من الرحالة المحلي، الذي اكتفى بالثناء عليه، ولهذا مبرراته المنطقية والواقعية، غير أنّ دقة وموضوعية الرحّالة المحلي ظهرت جلية في عدة مصادر ومراجع وإحالات(58).

III- استنتاجات:

ومن خلال ما تقدم عن الشخصين الرحّالة المحلي والقنصل الأجنبي في كتابتهما عن حملة اللورد إكسموث على مدينة الجزائر سنة 1816 نخلص إلى النتائج التالية:

- لقد اتضح أنّ الرحّالة المحلي " عبد الرحمن بن إدريس" كان صادقا في سرد أخبار الحملة من حيث أسبابها، سيرها ونتائجها بالتفصيل والتوضيح دون اهتمام القنصل الأجنبي بسرد التفاصيل.

- لقد اتفقا كل من الرحّالة المحلي والقنصل الأمريكي في نقاط منها:

أ- ذكر مكاتبة الإنجليز لداي الجزائر وعدم رد هذا الأخير عليهم.

ب- دخول سفن الأسطول لميناء الجزائر دون تعرضها لأذى.

جـ- في بعض شروط الصلح، بعد انتصار الإنجليز (خصوصا الشرط الأول والثاني).

د- في بعض آثار ونتائج المعركة (الحملة)...

- ولقد اختلفا في أمور عدة ولعلّ من أهمها:

أ- قضية تبديل الأعلام السوداء بالبيضاء التي يقرّ بها الرحالة المحلي وينكرها القنصل الأجنبي.

ب- نزول سفن الإنجليز ميناء الجزائر مع وصفها وصفا دقيقا من طرف الرحالة المحلي.

جـ- الاختلاف بينهما في ذكر الشرط الثالث في توقيع الصلح.

د- في ذكر بعض آثار الحملة وصداها المحلي والأوربي.

هـ- في وصف عمر باشا داي الجزائر، والذي أعطى ترجمة حياته وسيرته ووصفه هو القنصل الأمريكي شالر عكس الرحالة المحلي...

خلاصة:

- كلا المصدرين مهمين في حديثهما عن حملة اللورد إكسموث على مدينة الجزائر سنة 1816م ، فيهما من الاتفاق كما فيهما من الاختلاف في ذكر تفاصيل الحملة و آثارها و بعض نتائجها .

- لقد تحكّمت عوامل عديدة و ظروف كثيرة في تدوين أخبارالحملة عند كل من الرحالة المحلي عبد الرحمن بن إدريس التنلاني و كذا القنصل الأمريكي وليام شالر.

- كتابة التقارير الرسمية و الرحلات الدبلوماسية تختلف في صياغتها عن كتابة الرحلات الخاصة و العادية ، و لذلك ظهر هذا الفرق بين كل من وليام شالر كقنصل و عبد الرحمن بن إدريس كرحالة .

- الحقيقة الواجب ذكرها في هذا الشأن أنّ بعض الكتاب و الرحالة العرب لا تنقصهم الموضوعية و الدقة في نقل الأخبار من أمثال عبد الرحمن بن إدريس التنلاني التواتي.

- وجدنا ما ذكره كل من الرحالة المحلي والقنصل الأجنبي فيه من الفائدة التاريخية ما يهم الباحثين والمؤرخين عن حملة اللورد إكسموث على مدينة الجزائر.

هوامش المقال:

(1)- مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 115.

(2)- دار الجهاد: من بين أهم التسميات التي أطلقها العرب والمسلمون عموما على مدينة الجزائر إبان العهد العثماني.

(3)- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 321.

(4)- المحروسة: تعتبر هذه التسمية لصيقة بمدينة الجزائر في العهد العثماني، خصوصا من طرف المؤرخين والكتاب العرب والمسلمين (أحمد أبوراس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج2، تح، م.و.أ.إ.ث. وهران، 2008، ص 25.

(5)- اللورد إكسموث: "Lord Exmouth" إسمه إدوارد بيلاّو "Edward Pellew". ولد يوم 19 أفريل من سنة 1757 بإنجلترا، توفي عام 1833م عن عمر يناهز 76 سنة، قام بحملة على مدينة الجزائر برفقة الهولندي الأميرال فان كبيلان Van Cappelin في نهاية أوت 1816.

انظر: وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1980، ص 160.

(6)- توات: إقليم يقع جنوب غرب الصحراء الجزائرية، ويقع ضمن امتداد أدرار، تيميمون، عين صالح، الأولى (أدرار) كانت تعرف باسم منطقة توات، والثانية (تيميمون) باسم منطقة القورارة والثالثة (عين صالح) باسم منطقة تيديكلت.

انظر: فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، دكتوراه الدور الثالث في التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 1.

(7)- عبد الرحمن بن إدريس التنلاني التواتي، رحلته ضمن كتاب ثلاث رحلات مغاربية ويليه مجموع رحلات جزائرية، تحقيق مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص ص 223-224.

- وعبد الرحمن بن إدريس التنلاني التواتي، الرحلة، تحقيق حساني مختار، حوليات جامعة الجزائر، العدد 16، ج1، 2006، ص 201.

(8)- نفسه ، ص 202.

(9)- "سوى": واحة في غربي الفيوم دون فزان السودان، وهي آخر جنوب مصر.

انظر: إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص ص 128-129.

(10)- عبد الرحمن بن إدريس التنلاني، المصدر السابق، تحقيق حساني مختار، ص 201.

ونفس المؤلف، المصدر السابق، تحقيق مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع، ص 226.

(11)- نفسه ، ص 226.

(12)- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 281.

(13)- نفسه ،ص281.

(14)- احميدة عميراوي، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني، مذكرات تيدنا أنموذجا، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص ص 25-26.

(15)- للجاسوس بوتان كتاب مهم انظر:

-Boutin (y), Reconnaissance de Villes, forts et batteries d'Alger, Pub, par G.Esquer, Lib.Ancienne, H. Champion, Paris, 1927.

(16)- أحميدة عميراوي، المرجع السابق، ص 25.

(17)- عبد الرحمن بن إدريس، المصدر السابق، ص 244.

(18)- وليام شالر، المصدر نفسه، ص 156.

(19)- عبد الرحمن بن إدريس، المصدر السابق، ص 257.

(20)- وليام شالر، المصدر السابق، ص 158.

(21)- عبد الرحمن بن إدريس، المصدر السابق، ص 245.

(22)- وليام شالر، المصدر السابق، ص 169.

(23)- عبد الرحمن بن إدريس، المصدر السابق، ص 256.

(24)- المصدر نفسه، ص 257.

(25)- نفسه، ص 246.

(26)- وليام شالر، المصدر السابق، ص 156.

(27)- عبد الرحمن بن إدريس، المصدر السابق، ص 246.

(28)- وليام شالر، المصدر السابق، ص 156.

(29)- نفسه، ص 156.

(30)- نفسه، ص 158.

(31)- عبد الرحمن بن إدريس، المصدر السابق، ص 247.

(32)- نفسه، ص ص 253-254.

(33)- نفسه، ص 247.

(34)- نفسه، ص 247.

(35)- وليام شالر، المصدر السابق، ص 157.

(36)- نفسه، ص 157.

(37)- عبد الرحمن بن إدريس، المصدر السابق، ص 247.

(38)- نفسه، ص 248.

(39)- وليام شالر، المصدر السابق.

(40)- عبد الرحمن بن إدريس، المصدر السابق، ص 254.

(41)- وليام شالر، المصدر السابق، ص 158.

(42)- الداي عمر باشا:حكم الجزائرمن 7 أفريل 1815م إلى 1817م ، لم يكن يعرف القراءة ولا الكتابة لكن كان يتمتع بصفات الحاكم ، كان في الأربعين من عمره ، قوي البنية موفور الحيوية ، إتّسمت أعماله بالعدل والحلم.انظر: أبو العيد دودو،الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830 – 1855م، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1989م، ص 64 .

(43)- وليام شالر، المصدر السابق، ص 157 .

(44)- عبد الرحمن بن إدريس المصدرالسابق، ص 249.

(45)- سيدي الحسن بن سيدي الحاج مصطفى: لقد عاصر هذا القاضي العديد من العلماء ومنهم محمد بن القاضي و الشيخ محمد بن المصطفى وسيدي السعيد بن محمد ويبدوأن المدة التي قضاها في القضاء كانت قصيرة انظر: نورالدين عبد القادر صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، نشر كلية الآداب الجزائرية، 1965، ص ص 194- 195 .

(46)- عبد الرحمن بن إدريس، المصدر السابق، ص 250.

(47)- وليام شالر، المصدر السابق ص، ص 157-158.

(48)- عبد الرحمن بن إدريس، المصدر السابق، ص ص 253-254.

(49)- سيدي عبد السلام الجبلي المغربي : يبدو من خلال التسمية أنه من المغرب، وقد كان من قراء صحيح البخاري بالجامع الكبير في مدينة الجزائر والتي كانت عادة دأب عليها علماء المدينة طيلة الفترة العثمانية انظر: عبد الرزاق بن حمادوش، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تقديم وتحقيق وتعليق ابوالقاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر، 1983، ص ص216-218.

(50)- عبد الرحمن بن إدريس، المصدر السابق، ص 253.

(51)-نفسه، ص ص253-254.

(52)- نفسه، ص254.

(53)- نفسه، ص 255.

(54)- مولاي سليمان : هو أبوالربيع سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن الشريف، كان سلطانا مغربيا من سلالة العلويين وهو ابن السلطان محمد الثالث، حكم ما بين 1797 - 1822 وقدم مساعدة للجزائر بعد حملة اللورد اكسموث تمثلت في مركبين من نوع كربيط وبلاندرة وأموالا انظر: أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج احمد الشريف نقيب أشراف الجزائر1168-1246 هـ/1754-1830

م، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 127.

(55)-عبد الرحمن بن إدريس، المصدر السابق، ص255.

(56)-وليام شالر، المصدر السابق، ص ص 160-162.

(57)-عبد الرحمن بن إدريس، المصدر السابق، ص 256.

(58)- شونبيرغ ، نظرات على الاحتلال الأخير والتاريخ الحديث للجزائر، ترجمة أبو العيد دودو ضمن كتاب الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1989، ص ص 65-66.

انظر: عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، منشورات مركز الدراسات والبحوث، تونس ،1985، ص ص 144-145 و عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 318.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

1- ابن إدريس عبد الرحمن ، الرحلة (ضمن كتاب: ثلاث رحلات مغاربية ويليه مجموع رحلات جزائرية)، تحقيق مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

2- ابن إدريس عبد الرحمن ، الرحلة، تحقيق مختار حساني، حوليات جامعة الجزائر، ج1، العدد 16، 2006.

3- ابن حمادوش عبد الرزاق ، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال تقديم وتحقيق وتعليق ابوالقاسم سعد الله ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983، ص ص216-218.

4-أبو راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج2، تحقيق المركز الوطني في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2000.

5- التميمي عبد الجليل ، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، منشورات الدراسات والبحوث، تونس،1985.

6- الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994 .

7-الزهار أحمد الشريف، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر1168-1246/1754-1830، تحقيق أحمد توفيق المدني الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر، 1974.

8- العربي إسماعيل ، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

9- بلحميسي مولاي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981 .

10- سبنسر وليم ، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1980 .

10- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007 .

11- شالر وليام ، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

12- شونبيرغ، نظرات على الاحتلال الأخير والتاريخ الحديث للجزائر، ترجمة أبو العيد دودو (ضمن كتاب الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

13- عميراوي احميدة ، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني، مذكرات تيدنا أنموذجا، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003 .

14- فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، دكتوراه الدور الثالث في التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

15- نورالدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، نشر كلية الآداب الجزائرية، 1965 .

16- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

17-Boutin (y), Reconnaissance de Villes, forts et batteries d'Alger, Pub, par G.Esquer, Lib.Ancienne, H. Champion, Paris, 1927.

18-Encyclopédie des gens du monde, Paris, 1838 (T10).

الملخص:

منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر بتاريخ 5 يوليو1830 ،لم يكن للدولة العثمانية لتُدَعِّم الجزائر بسبب قضايا داخلية وخارجيةكانت قد واجهتها الجزائر.وذلك لكونها بعيدة عن مركز الحكومة؛ وتعاملها مع قضية مصر والتطورات السلبية الداخلية في الدولة العثمانية.

ومع ذلك فقد رأت الدولة العثمانية أن الجزائر قوية وفي وسعها أن تحارب وحدها الفرنسيين؛ لذلك لم تُرد أن تحارب فرنسا بطرق مباشرة .وكذلك الجمهورية التركية-فيما بعد-التي كانت عضوا في حلف الشمال الأطلسي في سنوات استقلالها.

لقد فشلت تركيا في اتخاذ موقف واضح؛ حيث عاشت حينئذ عدة مضايقات . ورغم صمت الحكومة التركية فقد أخذ الشعب التركي والرأي العام التركي موقفا ايجابيّا بجانب الشعب الجزائري .ونتساءل هنا : لماذا اتخذت الحكومة التركية آنذاك مثل ذلك الموقف؟ وانطلاقا من أحداث تلك الفترة سنقوم بتقييم تلك المواقف استنادا إلى ما ورد في مجال العلاقات الدولية.

الكلمات المفاتيح :الجزائر، الدولة العثمانية – فرنسا – استقلال الجزائر -الجمهورية التركية.

Résumé :

Depuis le début de l'occupation française de l'Algérie le 5 Juillet 1830.L'empire Ottoman ne pouvait pas soutenir l'Algérie à cause de certains problèmes internes et externes quelle a confronté. Alors que l'Algérie était assez éloignée de son gouvernement, L'intérêt porté a la question Egyptienne et aux problèmes internes ottomans, ont fait que l'Empire ottoman a estimé que l'Algérie était assez puissante pour se défendre contre l'armée française. Ceci dit, l'Empire ottoman ne voulait pas se joindre à l'Algérie et se mettre contre l'armée française, du au fait quelle soit membre alliée de l'OTAN. La Turquie ne pouvait pas ouvertement prendre position à l'égard de l'indépendance de l'Algérie et ceci a provoqué quelques difficultés entre ces deux pays. Cette position officielle a fait qu'en Turquie, les gens et la presse se sont alignés avec l'Algérie. Pourquoi la Turquie avait cette position officielle et floue envers l'Algérie .Situation qui sera étudié en se référant aux situations en cours et les relations internationales de l'époque.

RELATIONSHIPS BETWEEN TURKEY AND ALGERIA DURING THE FRENCH OCCUPTION

ABSTRACT

Since the beginning of the French Occupation of Algeria that began on 5 July 1830, Ottoman Empire couldn't help Algeria because of some internal and external problems that it had faced. Because of the long distance of Algeria from the center, problems in Egypt and internal problems and thinking that Algeria was powerful enough to defend its land against French army, Ottoman Empire did not want to join war with Algerian side against French Army.

Also, being a member of NATO alley, Turkey couldn't take an open position towards Algeria's independency, so it experienced some difficulties with Algeria. As oppose to Turkeys official stance, people and the press in Turkey took stance with Algeria. Why Turkey had that unclear official position towards Algeria will be studied with the consideration of ongoing situations and international relations of that time .

Key Words: Algeria, Ottoman Empire, France, Independency, The Republic of Turkey.

المقدمة:

بعدما كانت الدولة العثمانية تحكم الجزائر _بقيادة الرايس بربروس_منذ العام 1518م، احتلها الفرنسيون في سنة 1830م. وقد حاول العثمانيون دفع هذا الاحتلال بعد الصعوبات التي قابلوها، ولكن لم يتيسر لهم ذلك لعدم توفر الظروف المناسبة(1) على سبيل المثال لا للحصر حملة ابراهيم باشا على بلاد الشام يوم 14 اكتوبر 1831.عكا و القدس الشريف و سائر فلسطين ثم بيروت و طرابلس الغرب و دمشق ان سقطت بيده و قد استمر في زخفه حتى تجاوز بلاد الشام و عندما لم يستجب السلطان العثماني الى طلب منحه الولايات التي استولى عليها اخترق اسيا الصغرى و استولى على اضنة ثم على قونية (2) و كوتاهية على بعد نحو 340كلم من اسطنبول لولا ان فرنسا و انجلترا اجبرتاه على الوقوف هناك.كما ان الروس قبل ذالك قد احتلوا (ادرنة) على بعد نحو 230كلم من اسطنبول و كان ذالك 1829م(3)

ورغم هذا فقد دعموا -في شرق الجزائر- المقاومة التي قادها الحاج أحمد باي، وفي الغرب التي كانت تدور تحت قيادة الأمير عبد القادر. وهذه المعلومات المذكورة غير موثقة في المطبوعات الرسمية السنوية المنشورة في الجزائر.

وتذكر المصادر أن الاحتلال الفرنسي قد أسكن حوالي مليون مستوطن في الجزائر، كما تسبب في تغير مكان المستوطنات وتغير موازنات التهجير. حيث جعل المواطنين الجزائريين _الذين سلبوهم أموالهم وعقاراتهم _كمواطنين من الطبقة الدنيا وكان ذلك عام 1881م الموافق لتاريخ نشر القانون المسمى "القانون الأهلي"coded'indegenat.

وبعد الثورة التحريرية _التي دامت 7 سنوات_، ونيل الجزائر استقلالها عام 1962م كان موقف الدولة التركية آنذاك تجاه استقلال الجزائر موقفا محايدًا. لكن بعد مرور زمن توطدت العلاقات بين كلتا الدولتين الشقيقتين(4).

وفي هذ المقال نريد أن نتلمس بعض أوجه العلاقات غير المتكافئة بين الدولتين. في ضوء الوثائق المخطوطة في زمن العثمانيين والجمهورية التركية الحديثة.

لقد انضمت دولة الجزائر إلى الأراضي الإسلامية في القرن السابع الميلادي/ القرن الأول الهجري. وبسبب بعدها عن مركز الدولتين الأموية والعباسية لم تكن تحت السيطرة، مثلما هو الحال لبعض الدويلات كالرستمية (أول دولة مستقلة أُسِّست في الجزائر المسلمة)، الأغلبية، الإدريسية، والزَّيَّانِيَّة، فقد كان لهذه الدويلات الحكم قبل الحكم العثماني.

وقد أصبحت الجزائر في ظل حكم الرستميين والأغالبة والأدارسة في القرنين التاسع والعاشر معرضا للتطورات الاقتصادية والمجالات الثقافية الكبيرة.

وفي القرن الخامس عشر كانت الجزائر تحت حكم الزيانيين (المغرب الأوسط). إلا أن هؤلاء كانوا دائما في حالة حرب مع من حولهم من المرينيين والحفصيين. وكانت هذه الدويلات قوية في هذه الحروب ؛ بحث كانت تضم تحت سيطرتها الأضعف.

ولا نكاد نجد طوال التاريخ الإسلامي استمرار تأسيس أغلب الدويلات في كل البلاد الإسلامية، بسبب بعض العوامل مثل: الصراعات الداخلية، والنزاعات القبلية والخصومات التي كانت تدور بين العشائر.

هذه الوضعية حالت دون استتباب الأمن ومنع التنمية الاقتصادية والتطور العلمي والثقافي(5).

وقد كان الجزائريون والتونسيون آنذاك_بوجود دولتيهما على هذه الحالة ناهيك عن الغزو الاسباني لسوحلهما و عجزهما عن التصدي له_ يرون ان الدخول تحت الحكم العثماني لا مفر منه_وهي أقوى دولة في ذلك الوقت و أنسب حل لهم. بناء على دعوة أمير منطقة كوكو أحمد بن القاضى في عام 1513م.

وبعد معارك عديدة برا و بحرا بين الاحوة بربروس و على راسهم الرايس عروج(ت.1518 م) و اخيه خضر (خير الدين .ت.1546) و اتباعهم من الجزائريين و التونسيين استطاعوا الانتصار على الاسبان و عملائهم من اهل البلاد ضم الشمال الافريقي (الجزائر و تونس للدولة العثمانية)

وفي النهاية سيطر العثمانيون _ بعد سيطرتهم على سوريا عام 1516م و مصر عام1517م وتونس عام 1574م وطرابلس عام 1551م و الجزائر عام 1518م وقضوا على دولتي الزيانية والحفصية وعلى الدويلات الموجودة في شمال إفريقيا(6).

وقد أخضع الأخوان الرايس عروج والرايس خضر في عام 1514م الجزائر للحكم العثماني، وأخضع قبطان البحر الرايس سنان باشا مع طوركوت تونس للحكم العثماني 1574م.

وفي عام 1514م قام الرايس خيرالدين الذي تولى حكم الجزائر مع أخيه الاكبر عروج باخراج ابن عبدالله وخلفه الحسن من تونس وضمه لسلطته. ومع هذا استمر تنظيف مدينة تونس من الإسبان حتى عام 1574م وتم ضمها لحماية الأتراك.

وهكذا خلص الإخوة بربروس تونس والجزائر مثلما خلصت إسبانيا المسلمة (الأندلس) التي كانت على وشك تحويلها إلى دولة إسبانية كاثوليكية مثلما كانت عليه أمريكا اللاتينية الكاثوليكية(7).

وبعد سيطرة الحكم العثماني على الجزائر رسميا عام 1518م تم تعيين الرايس خضر بربروس خيرالدين آنذاك أميرا للأمراء. وفي عام 962هـ/ 1555م أصبح الرايس طورغت أميرا لأمراء تونس(8).

أ _ الجزائر في العهد العثماني:1518-1830م

مع الأسف الشديد، أننا نرى اليوم في العديد من الدول الإسلامية تواجد وشيوع أحكام قيمية سلبية تستند إلى مصادر غربية حول التاريخ العثماني. بالإضافة إلى ذلك، فإن بعض المؤرخين والباحثين في التاريخ قد تناولوا وقيّموا التاريخ الجزائري في العهد العثماني بطريقة مختلفة جداً لان إجراء دراسات تتعلق بتاريخ دولة ما لا بدّ من الاعتناء بمصادرها الأولية و الرجوع إليها، وذلك من متطلبات النظرة التاريخية الموضوعية التي لا ينبغي التخلى عنها.

ومن جهة أخرى، فعند تناول الأحداث التاريخية، من المفروض أن يأخذ الباحث بعين الاعتبار شروط الفترة التي جرت فيها الأحداث إذ أن ذلك من شروط أصول المنهج التاريخي؛ علماً بأن الأحداث التاريخية تنتج عن ظروف الفترات المدروسة.وفيما يتعلق

بالتاريخ الجزائري فإننا نجد فيه ثلاثة أنواع من المصادر، بما فيها المصادر العثمانية والمصادر الجزائرية-الفرنسية والمصادر الإسبانية.

حيث يقوم المؤرخ أو الباحث بتحليلاته في ضوء المصادر التي تحصل عليها. ومع ذلك فمن الجدير بالذكر أن التاريخ الجزائري في العهد العثماني لا تعرف عناصره الحقيقية. ويرجع سبب ذلك عموما إلى قلة المصادر، وبالخصوص انعدام الوثائق العثمانية والعربية، ومع ذلك فعدم معرفة المصادر المذكورة هو من أهم العوامل لذلك الغموض.

في ظل هذه الظروف، فقد تناول الباحثون تلك الفترات الزمنية الطويلة والمهمة من التاريخ الجزائري عادةً في ضوء المصادر الفرنسية والإسبانية كما أنهم استمروا في هذا المنهج. غير أن هذه المراجع والكتب والمعلومات تشمل خاصةً المجالات التي تخص المصالح الفرنسية الإسبانية الإمبريالية.

إن المعلومات الواردة في تلك المراجع أدّت إلى تشكّل قناعة خاطئة عند كل من الغربيين والشعب الجزائري. ونتيجة لاستخدامهم نفس المصادر الزائفة التي أوردتها الدول الاستعمارية فقد تعلم وتبنّى المثقفون الجزائريون معلومات مغلوطة حول تاريخ بلدهم أي التاريخ الجزائري في العهد العثماني، كما أن الدارسين الشرقيين قد تبنوا بدورهم معلومات خاطئة للغاية عن الدولة العثمانية(9).

وفي هذه الحالة فإن ما يتعين القيام به أولا هو الرجوع إلى المصادر القديمة المكتوبة باللغة العربية والعثمانية، وتناول التاريخ السياسي والثقافي الجزائري الذي ترجع جذوره إلى حوالي أربعة قرون، في ضوء الوثائق الأصلية المتواجدة في الأرشيفات والكتب التي سبق للسكان الأصليين تدوينها.

لقد أكّد الأستاذ "صبري هزمتلي" قائلا: لا بد في بداية الأمر من النظر إلى كل من وثائق الأرشيف العثماني وكتب الرحلات والمراجع المترجمة المتعلقة بتلك الفترة (10). ومن ثَمَّ فإننا سوف نتناول التاريخ الجزائري في العهد العثماني وفقا للمصادر التي ذكرناها أعلاه. ولكن لا نكتفي بالوثائق العثمانية والذي تنشره الكتب والمقالات التي عثرنا عليها.

بفضل الرايس عروج وأخيه خير الدين اللذين اشتركا في استعادة الجزائر من الاسبان، واتخذاها دارا ومركزا للقوات العثمانية، دخل الجزائريون تحت الحكم العثماني اعتبارا من عام 1518م وكان ذلك للحفاظ على أنفسهم من الهجمات الإسبانية.

وبعد وفاة شقيقه الرايس عروج عام 1518م طالب الرايس خضر (خير الدين باشا)، والذي عُرف لدى الأوربيين بـ "بارباروس"بسبب لحيته الحمراء(11)، من السلطان سليم مساعدة عسكرية للمقاومة ضد القوات العدوة.

لقد عُيّن "الرايس خضر" من قبل السلطان سليم الذي لقّبه "خير الدين" أميرا للجزائر وأرسل إليه السلطان وحدات عسكرية تشمل 2000 جنديا من الانكشاريين والمدفعيين، والذخائر والمعدات الحربية والبحرية اللازمة (12). كما منح السلطان امتياز الانكشارية للذين تطوعوا للمشاركة في القتال بالجزائر والسماح لهم بإلحاق عدد من الناس إلى الجيش من الأناضول.

وهكذا دخلت الجزائر تحت الحكم العثماني وبدأت تُلقى الخُطب باسم السلطان العثماني. وبعد وفاة السلطان سليم دعا السلطان سليمان خير الدين إلى إسطنبول وعينه قائدا للأسطول العثماني وبصفته أميرا للجزائر؛ وبذلك أصبحت الجزائر محافظة عثمانية بصورة مباشرة(13).

استمر الحكم العثماني في الجزائر حتى العام 1830م حيث قسم المؤرخون التاريخ الجزائري في العهد العثماني إلى أربع فترات وهي كالتالي:

_ الفترة ما بين (1587-1518م) وسُمّي بعهد الأمراء.

_ والفترة ما بين (1659-1587م) سمي بعهد الباشاوات.

_ والفترة ما بين (1671-1659م) سمي بعهد الأغوات.

_ والفترة ما بين (1830-1671م) سمي بعهد الدايات.

وفي دراستنا سنتطرق فقط إلى الفترة الاستعمارية بعد عام 1830م وسنقيمها وفقا للوثائق العثمانية.

لقد احتل الأسطول البحري الفرنسي الكبير الجزائر في 5 يوليو 1830م بإرسال قوات من 37 ألف جندي تحت قيادة الجنرال بورمونت "Bourmont". وقد اكتفت الدولة العثمانية بالتنديد بهذا الاحتلال. وفي عام 1847م اعترفت الحكومة العثمانية بالاحتلال الفرنسي في الجزائر(14).

ويزعم بعض الباحثين بأن الحكم العثماني كان ينطوي على أطراف خفية كانت ضد التطور الثقافي والاجتماعي والاقتصادي في الأراضي التي كانت تحكمها (15). وهذا الأمر منع تدريسه أو الاطلاع عليه بشكل متعمد. ولهذا لا بد من مطالعتها للمصادر الوثائقية العثمانية (16).

وقد طالبت الدولة العثمانية من فرنسا احترام بنود الاتفاقية التي أبرمتها مع فرنسا قبل إحتلاها للجزائر(17). وقد سلمت الجزائر لفرنسا من طرف العثمانيين بناء على اتفاقية تضم اثنا عشر بندا (18).

ام في الأرشيف العثماني في الوثيقة حول العلاقة مع الفرنسية بتاريخ 13 مايو 1834م 4محرم سنة 1250-1213ه فقد وجدنا من الجرائم التي ارتكبت في الجزائر والتدابير فيما يتعلق بالجزائر وتونس وطرابلس، وفقا لما ذكرته واتحاد جيوش هاته البلدان يسمح بتوفير قوة كبيرة(19).

وقد بذلت الحكومة العثمانية لاسترجاع الجزائر جهدا كبيرا، ولكنها فشلت في اقناع حكومة فرنسا بذلك، التي بذلت هي الأخرى جهدا لإقناع أعضاء البرلمان الفرنسي(20)، ولتجنب الحركات الاحتجاجية وتمرد الشعب قامت الحكومة الفرنسية بنفي أحمد باي قسنطينة الى الجزائر العاصمة (21).

مئات الوثائق في الأرشيف العثماني للسنوات التي احتلت فيها فرنسا الجزائر، تدل على أن الحكومة العثمانية قامت بأنشطة سياسية واجتماعية وثقافية. الباحثون والمؤرخون وخاصة الجزائريون وكذلك المؤرخون العرب والأتراك، بهدف دراسة طبيعة العلاقات بين العثمانيين ومصر والجزائر وطرابلس وهذا لتوثيق العلاقات بين هذه البلدان. اعتمادا على الرجوع إلى الوثائق المصنفة، والحصول على معلومات دقيقة عن تلك الفترة. ويصعب الوصول إلى الحقائق دون الرجوع إلى وثائق المكتبات المتواجدة في الدول الإمبريالية(22).

ب _ العلاقات التركية/الجزائرية في فترة الجمهورية:1924-1962م

بسبب بعض العوامل الداخلية والخارجية، فإن جمهورية تركيا لم تدعم الجزائرَ في كفاحها من أجل الاستقلال الجزائري في القرن العشرين أثناء الفترة الجمهورية كما كان في العهد العثماني.

في النضال الجزائري من أجل الاستقلال في ثلاثينات القرن العشرين ضمن ثلاث فترات، كانت الحملة الوحيدة لتركيا هي الأمر للبعثات الخارجية ألا يشاركوا في الأنشطة بالبعثات الخارجية لفرنسا التي أقيمت بمناسبة الذكرى المئوية لاحتلال فرنسا للجزائر. وفي كثير من الأماكن وعلى رأسها سطيف، البليدة، وهران وقالمة وخاصة خلال ما يسمى أحداث "مجزرة سطيف- قالمة - خراطة" على الرغم من مقتل ألف وخمسمائة شخصا وفق المصادر الفرنسية و خمسة و اربعين الف_وفق المصادر الجزائرية_ لم تُبد الحكومة التركية _التي كانت مشكلة من حزب واحد_ أي رد فعل على المجزرة الشنيعة.

وفي عام 1952م بانضمام تركيا إلى حلف شمال الأطلسي الذي تشكل فرنسا العمود الفقري فيه، حدثت تطورات في العلاقات التركية الفرنسية ضد الجزائر؛ وفي المؤتمرات التي أقيمت لاستقلال الجزائر؛ وفي التصويتات التي أجريت في الأمم المتحدة تركيا امتنعت عن التصويت أو قد صوتت إلى جانب فرنسا ضد الجزائر.

ووفقا للمعلومات التي جمعناها من صحف هذه الفترة، فقد وجدنا خطابات لجون ف. كنيدي _الذي سيتولى رئاسة الولايات المتحدة فيما بعد_تتضمن موقفه حول استقلال الجزائر في يوليو 1957م، الأمر الذي تسبب انتهاج الحكومة التركية مسارا مغايرا.

ومنذ ذلك الحين، بدأت تركيا التنسيق مع أمريكا في الامتناع عن التصويت بخلاف فرنسا. وفي هذا السياق، فقد امتنعت الحكومة التركية عن التصويت لاقتراح المجموعة الآسيوية الإفريقية في اتجاه الاعتراف الفوري باستقلال الجزائر في ديسمبر 1958م بالأمم المتحدة. كمالم تعترف تركيا أيضا بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية التي أقيمت في القاهرة يوم 19 سبتمبر 1958م.

وفي نهاية عام 1959م، اقترحت الدول الأعضاء في الاتحاد العربي للجنة السياسية للأمم المتحدة تشكيل لجنة للتحقيق في الأخبار المتعلقة بأن فرنسا قد قتلت الأسرى الجزائرين في المعتقلات. ويتواجد في مشروع القرار عبارة "رغبة الدول الأعضاء في أن يكون حل هذه المشكلة بيد الجزائر التي لها حق تقرير مصيرها".

وقد قبل ذلك المشروع بـ 35 صوتا مقابل 26 صوتا، وامتنعت 17 دولة عن التصويت من بينهم تركيا (23). ويبدو أن الجمهرية التركية لم تقف مع الجزائر في نضال استقلالها بسبب ظروف تلك الفترة (24).

ويشرح رئيس الوزراء آنذاك عدنان مندريس في لقاء مع رئيس وزراء ليبيا السابق مصطفى بن حليم لماذا اتخذت تركيا هذا الموقف مع الجزائر والعالم الإسلامي كما يلي: "نحن عضو في الأمم المتحدة، ولدينا علاقات قوية مع أمريكا. ليس لأننا نحب الولايات المتحدة بل نخشى من روسيا؛ وذلك يدفعنا إلى التعاون مع أمريكا. اعترفنا باسرائيل يسر أمريكا والأمم المتحدة معا. اعترفنا باسرائيل اضطرارا. وعلى الرغم من اعترافنا بإسرائيل العلاقات بيننا بمستوى القائم بالأعمال..."(25). أنا أتعاطف مع كل الشعوب الإسلامية؛خاصة شعوب شمال إفريقيا بكل مؤسساتها باعتبارهم مسلمين. وأدرك تماما معاناة شعب الجزائر عند حرب التحرير. وفي كل لقاءاتنا مع الحكومة الفرنسية أوصينا بأنه لا يمكن حل مشكلة الجزائر عن طريق القوة الغاشمة، وأن يكون الحل سياسيا بالتفاوض مع ممثلي الشعب الجزائري. وأنا مستعد لنشر هذه الجهود في الدول الأعضاء بالناتو؛ مثل: أمريكا وبريطانيا وإيطاليا بممارسة الضغط الودي(26).

وكان "مندريس" قلقا جدًا على الجزائر وأكد لمصطفى بن حليم قائلاً: "كوني مسلمًا فإنني أتعاطف مع كل مؤسسات الشعوب المسلمة؛ وخاصة شعوب إفريقيا الشمالية. أنا أعرف حق المعرفة ماذا عاناه الشعب الجزائري. ونصحت تركيا لدى حكومة باريس بأن قضية الجزائر لن تنحل بالقوة والاستبداد، بل بالمفاوضات مع ممثلي الشعب الجزائري. كما أنني مستعد لبذل كل جهودي لتوسيع هذه المباحثات بشكل سلمي لبعض دول حلف الشمال الأطلسي مثل: أمريكا وبريطانيا وإيطاليا".

وأفاد مصطفى بن حليم بعد مقابلته مع عدنان مندريس بأن تركيا قد قررت مد الجزائر بالسلاح؛ وقال مندريس عن ذلك بقوله: "سنهديكم أسلحة إن شاء الله. أتمنى

من الله أن يوفقنا لإيصال الأسلحة التي ستحتاجون إليها للدفاع عن دينكم. ونحن نقول في تركيا بأننا أهدينا الأسلحة لإخواننا الليبيين فقط"(27).

وما إن عاد مندريس بعد هذه المباحثات إلى تركيا حتى صرح بأن هناك سفينة مليئة بأسلحة قد أرسلت إلى الجزائر بعد بضعة أسابيع(28).

تغيرت سياسة تركيا للجزائر بعد ثورة 27 مايو 1960م؛ لأن الثوار كانوا يصفون فرنسا وأمريكا كأمبرياليين، وأنفسهم كمناهضين للأمبريالية. وقد صرح جمال غورسل _رئيس لجنة الاتحاد الوطني_ في 31 تموز 1960م بقوله: "أنا منذ زمن بعيد أتابع مفاوضات الجزائريين الأصيلة والعميقة بعلاقات حميمية".

لنحاول _بعد أن نلقي نظرة عامة للعلاقات التركية الجزائرية في سنوات الاستقلال_ أن نقيم ما نشر في صحف هذه الفترة ونتعرف إلى وجهة نظر الشعب التركي تجاه القضية. وسوف نلقي أيضا نظرة على المقالة التي أعدها شيناسي سونمز ضمن إعداده لأطروحة الدكتوراة حول حركة الاستقلال الجزائرية والمؤسسات التركية وكانت بعنوان "انعكاس حركة الاستقلال الجزائرية في الصحافة التركية بين عامي 1954-1962م"(29).

عندما بدأت صحف ومجلات هذه الفترة في تركيا بتناول أخبار الجزائر وحركة التحرير الجزائرية، بدأت التحاليل والتعليقات حول الأحداث فى الصحافة التركية اعتبارا من 1957م. وأثناء أحداث الجزائر كانت تمر فرنسا بأيام مضطربة، فلم يتم التطرق إلى أي معلومات تخص الجزائريين(30).

ويرجع سبب ذلك إلى أن الصحافة التركية كانت تستقي الأخبار المتعلقة بالجزائر من الصحافة الغربية ووكالات الأنباء. لأن الصحافة التركية في ذلك الوقت لم يكن لديها القوة ولا الإمكانات التي تسمح لها بجمع الأخبار بنفسها في كل الاتجاهات وعلى كل الأصعدة. إلا أن الصحفيين الأتراك قد استطاعوا في نهاية أحداث الاستقلال أن يذهبوا إلى لجزائر ويطلعوا على الأمر بأنفسهم.

والسبب الآخر يعود إلى أن فرنسا التي مثلما منعت دخول المراسلين الأجانب إلى الجزائر فقد كانت الصحف في تركيا تكاد تعاني من المشكلات المادية التي تعيشها في النشر بسبب فرنسا.

ومن جهة أخرى فقد دفعت فرنسا جبهة التحرير الوطني الجزائرية إلى أن تنقل أنشطتها إلى القاهرة؛ بسبب عدم استطاعتها الحصول على الأخبارٍ. لأن جمال عبد الناصر كانت له مواقف معادية لتركيا. وكما تأثرت العلاقات المصرية/التركية فقد تأثر القوميون الجزائريون هناك في القاهرة بمنع الأخبار من الوصول إليهم.

وبسبب انتقاد السياسة الخارجية التركية والتوازي بين الحكومة والمعارضة حتى عام 1957م في تركيا فقد تم التركيز على نفس الآراء عن الجزائر. ويجب أن لا ننسى المواقف الغريبة التي صدرت عن فئة من المثقفين في تلك الفترة، لدرجة أننا يمكن نقد آراء هؤلاء المثقفين وجمعها وتصنيفها في كتابٍ(31).

وبينما كانت هناك بعض الصحف تساند الحكومة التركية في ما تفعله بعد عام 1957مظهرة هناك بعض الانتقادات من بعض الصحف آنذاك. ولذلك فقد قسم سونمز ما كتبته الصحافة إلى سبعة أجزاء، ونحن قسمناها إلى أربعة أجزاء.

حيث ظهر لنا أن الصحافة المقربة من الحكومة كانت تنشر الأخبار المتعلقة بالجزائر في جريدة النصر(32)(Zafer). فقد كانت الصحف تفضل أن تنشر الأخبار لقارئيها بدون أي تعليق من هنا أوهناك(33).

وهناك عدة منشورات على رأسها جريدة "الأمة"(34) (Ulus) ومجلة "العكس" (Akis) (35) وهذه الجرائد هي لسان حال الأحزاب المعارضة للحكومة التركية، وكانت دوما تنتقد الحكومة، وكأنها بمثابة حزب معارض للجزائر(36).

والجزء الثالث تتشكل من مجلة سبيل الرشاد (Sebilurreşâd) والشرق الكبير(Büyük Doğu)(37)، وهذه المنشورات تأتي على رأس من يدافع على القيم الإسلامية، وهذه الجرائد كانت تدعم استقلال الجزائر لأنه يمثل استقلال المسلمين. باعتبار أن الأتراك مسلمين، ومن هذا المنطلق كان يجب على الشعب التركي دعم استقلال الجزائر. يقول جواد رفعت آتيلهان في مقال له: "على الرغم من كون قلوب

الأتراك مع الجزائريين إلا أنهم لم يستطيعوا مساعدة الجزائر؛ بسبب تعدد الأسباب السياسية. ولو كانت الظروف مناسبة كان المئات من الشباب المحارب إلى جانب الجزائريين ضد المحتل الفرنسي. ويجب أن نجد وسيلة لمساعدة الجزائريين، وهذا أمر واجب على الشعب التركي"(38).

لقد أثنى على حرب تحرير الجزائر في مجلة "التراب" (Toprak) التي تمثِّلُ القومية التركية في مقال كتبه محمود أونال بعنوان "إلى أي وقت تستمر الإبادة؟"(39).

وقد أكد بأن فرنسا _كرد فعل لهذه المقاومة المباركة- قد قتلت شعب الجزائر قتلا فظيعا دون أن ترحم الأطفال والنساء، وأن جرائمها كانت مناقضة لاتفاقية الأمم المتحدة، وضد إعلان حقوق الإنسان الذي أعلن في العام 1789م.

وزعم أنه لا هيئة الأمم المتحدة ولا أي دولة أخرى قد أيدت هذا التوجه الذي انتهجته فرنسا. ونتيجة لهذا فقد أكد أن الرجوع للشعب الجزائري بات ضروري لتحرير بلادهم من ظلم فرنسا وتخليصهم من الوضع السيء للغاية (40).

وقد ظهر جليا أنه في اواخر سنوات حرب التحرير أصبحت الصحافة التركية متفقة مع المجاهدين الجزائريين، مما لفت انتباههم إلى هذا الموقف أيضا.

كما هو مبين في أواخر السنوات الأخيرة للمقاومة التحريرية الجزائرية ،فان الصحافة التركية أصبحت متفقة مع المجاهدين الجزائرين، اذ وجهت تنتباهها إلى هذه المهمة على هذا الشكل أيضا.

رغم تباين آراء الصحافيين في مجالهم فقد تابعوا حرب التحرير في الجزائر منذ بدايتها وقد نددوا بمعاملات الحكومة التركية على مستوى الساحة الدولية ضد الجزائر اذ لم يوافقوا على امتناع الحكومة عن الجزائرو بذللك أصبحت في وضع صعب أمام المجتمع الدولي.

ولذلك فقد لوحظ أن الصحافة التركية _ في تنظيمها ذي الطبيعة الحرة_ بقيت مؤيدة للشعب الجزائري الذي عانى من ويلات الاضطهاد الفرنسي.

خاتمة :

إنَّ الجزائر التي بقيت تحت حكم الدّولة العثمانية مدة طويلة وهي جزء منها قد خرجت من حكمها بدخول الاحتلال الفرنسي.لم يستطع الأتراك مساعدة الشعب الجزائري في حربه من أجل التحرر من الاحتلال الفرنسي الذي دام إلى النصف الثاني من القرن العشرين بسبب المشاكل والضغوط الداخلية والخارجية التي تعرضت لها الدولة في العهد العثماني والجمهورية الحديثة.

لقد كان العثمانيون مضطرين إلى ترك الجزائر لتقرير مصيرها؛ والسبب في ذالك يعود إلى تركيزهم على التمردات الداخلية،بضغط مدفوع من طرف الدول الغربية _خصوصا الاتحاد السوفياتي_ التي اتفقت جميعها على هدم الدولة العلية (العثمانية) عند سنوات احتلال فرنسا الجزائر أيضا.اما في عهد الجمهورية، فان الدولة التي أنشئت حديثا قد فضلت الصمت تجاه الحوادث الخارجية؛ لأنها قبل وبعد الحرب العالمية وفي سنوات الخمسينيات دخلت تركيا في حلف شمال الأطلسي من أجل التصدي لمطالب روسيا غير المبررة للأراضي التركية، ومع ذلك اضطرت إلى التعامل مع الدول الأعضاء.

لقد استطاع المفكر عدنان مندريس رئيس الوزراء أن يمنع ضغط روسيا بحنكته السياسية قدر المستطاع ، كما تصرف ضد مصالح فرنسا في موضوع خلاف فرنسا والجزائر، رغم أنه كان في وضع صعب على مستوى الساحة الدولية، فلم يمنعه ذلك أن يرسل أسلحة إلى مجاهدي الجزائر سرا. فالرغم من عدم كفاءة الحكومة التركية في معالجة مشكلة الجزائر، الا ان شعب تركيا وصحافته كانا مؤيدين للشعب الجزائري تأييدا دائما.

كل الصحف والمجلات التركية تقريبا أيدت بمنشوراتها حرب التحرير الجزائرية رغم أن أفكارها و ارائها كانت مختلفة عن بعضها في الجرائد المنتشرة في مكتبات العالم،حيث عظمت حرب التحرير المباركة التي قام بها الشعب الجزائرى، ونددت بالإبادة التي قامت بها فرنسا المحتلة.

المصادر والمراجع

- **الكتب المطبوعة:**

-أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1978م.

-_____، تاريخ الجزائر الثقافي،الجزء 1 المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985م.

-

-ارجمند كوران-السياية العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر(1847-1827) نقله عن التركية عبد الجليل التميمي-ط2-الشركة التونسية لفنون الرسم-تونس 1974م

-ابراهيم عبد الله و اخرون-تاريخ العرب الحديث و المعاصر-المؤسسة العامة للمطبوعات-دمشق-سورية1985م/1405هـ-

-بسام العسلي، خير الدين بربروس، اطبعة الثالثة،دار النفائس، بيروت ،لبنان 1986م

-مصطفى مراد الدباغ الموجز في تاريخ الدول الاسلامية و عهودها في بلادنا فلسطين-ج2-ط1-دار الطليعة،بيروت،لبنان 1982م/1402هـ

-عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1402م/1982هـ.

. علي رضي باشا، مرآة الجزائر، 1293هـ.

-Alleg, Henri, Sorgu, Çeviren, Alaattin Bilgi, Açık Oturum Yayınları, 1959.

-Ataöv, Türkkaya, Afrika Ulusal Kurtuluş Mücadeleleri, Ankara Üniversitesi Siyasal Bilgiler Fakültesi Yayınları, Ankara 1975.

-Bağcı, Hüseyin, Türk Dış Politikasında 1950'li Yıllar, Metu Pres, 2001.

-Çeviker, Avni, Hür Cezayir, Kültür Matbaası, Ankara 1958.

-Emecen, Feridun, "Kanuni Devri", Doğuştan Günümüze Büyük İslam Tarihi, İstanbul 1989.

-Fanon, Frantz, Cezayir Bağımsızlık Savaşının Anatomisi, Çeviren; Kamil Bilgin Çileçöp, Pınar Yayınları, 1983.

-Benamou, Georges-Marc, Bir Fransız Yalanı (Bir Soykırım Soruşturması Cezayir Savaşı ve Gerçekler), Çeviren: Sonat Ece Kaya, Babıâli Kültür Yayınları, 2006.

-Günver, Semih, Fatin Rüştü Zorlu'nun Öyküsü, Bilgi Yayınları, 1985.

-İlter, Aziz S., Şimali Afrika'da Türkler, İstanbul 1956.

-Kuran, Ercüment, Cezayir'in Fransızlar Tarafından 1şgali Karşısında Osmanlı Siyaseti, İstanbul 1975.

-Osmanlı Belgelerinde Cezayir, Devlet Arşivleri Genel Müdürlüğü Yayınları, Ankara 2010

-Öztuna, Yılmaz, Büyük Türkiye Tarihi, İstanbul 1978 .

-Türkkaya, Ataöv, Afrika Ulusal Kurtuluş Mücadeleleri, Ankara Üniversitesi Siyasal Bilgiler Fakültesi Yayınları, Ankara 1975.

• الموسوعات:

-Colombe, M., "Algeria", "İngilizce), C. I.

-Dursun, Davut, "Cezayir (Sömürge Dönemi)" DİA, VII(1993) ،

-Kahraman, Kemal, "Cezayir", DİA, C. VII, s. 483-497.

• الجرائد و المقالات في المجلات والوثائق:

-Ağaoğlu, Abdürrahman Fahri, (1959), "Cezair Faciası ve Politikamız", Büyük Doğu, 3 Temmuz, Sayı 18, s.11.

-Akis (1960), "Cezayir ve Türkiye'nin Arabuluculuğu",Cilt XVI, Sayı 273, 20 Ekim, s. 25.

-Atilhan, Cevat Rıfat (1961), "Cezayir'de Hak ve Hürriyetler İçin Dökülen Kanlar", Sebilürreşad, Sayı 321, s.331.

-BOA, 1250/1834-1835 Hatt-ı Hümayun 46892.

-BOA, Hatt-ı Hümâyûn, 47965-B (24 Rebiülevvel 1252/9Temmuz 1836

-BOA,2 Cemaziye'l-evvel 1249/17 Eylül 1833 DUİT

-Büyük Doğu (1959), "Cezair Mücahitleri", 28 Ağustos, Sayı 26, s. 11.

-Hizmetli, Sabri, "Osmanlı Yönetimi Döneminde Tunus ve Cezayir'in Eğitim ve Kültür Tarihine Genel Bir Bakış", Ankara Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi.

-Nam, Mehmet, "İşgalden İstiklale Cezayir", Tarih Dergisi, Sayı 55 (2012 / 1), İstanbul 2013.

-Sönmez, Şinasi, "Cezayir Bağımsızlık Hareketinin Türk Basınına Yansımaları (1954–1962)", ZKÜ Sosyal Bilimler Dergisi, Zonguldak 2010.

-Ulus,(1956), "Cezayir Milli Kurtuluş Temsilcilerinin Türkiye'den Dilekleri", 28.10, s.1.

-Ünal, Mahmut, "Katliam Daha Ne Kadar Devam Edecek?", Toprak, Sayı 32, 1 Temmuz 1957

-Yavuz, Hulusi, "XVI. Asır İslam Dünyasında Osmanlı-Portekiz 'Mücadelesinin Sebepleri", Marmara Üniversitesi İlahiyat Fak. Dergisi, S. 3, İstanbul 1985.

-Zafer (1957), "Cezayir Meselesi", , 03 Temmuz, ss. 1.

- الأطروحات الجامعية:

-Maksudoğlu, Mehmet, Tunus'ta Osmanlı Hakimiyet", (doktora tezi), A.Ü. İlahiyat Fak., Ankara 1966.

-Sönmez Şinasi, (2007), Cezayir Bağımsızlık Hareketi ve Türk Kamuoyu 1954–1962,Basılmamış Doktora Tezi, Hacettepe Üniversitesi, Ankara

- المواقع الالكترونية:

imgsrc=http://www.timeturk.com/images_1/news/24052010055322605473 2_3.jpg."

-hurayse@hotmail.com. (29 Ocak 2012 tarihli Taraf Gazetesi).

" -Türkiye Cezayir Siyasi İlişkileri", http.//www.mfa.gov.tr/turkiye-cezayir_siyasi-iliskileri.tr.mfa, (Erişim. 18.10.2012).

التهميشات:

(1) ارجمند كوران-السياية العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر(1847-1827) نقله عن التركية عبد الجليل التميمي-ط2-الشركة التونسية لفنون الرسم-تونس 1974-ص23-47

(2) ابراهيم عبد الله و اخرون-تاريخ العرب الحديث و المعاصر-المؤسسة العامة للمطبوعات-دمشق-سورية1985م/1405هـ-ص74

(3) مصطفى مراد الدباغ الموجز في تاريخ الدول الاسلامية و عهودها في بلادنا فلسطين-ج2-ط1-دار الطليعة،بيروت،لبنان 1982م/1402هـ -ص129

4_ Mehmet Nam, "İşgalden İstiklale Cezayir", Tarih Dergisi, Sayı 55 (2012 / 1), İstanbul 2013, s. 155.

5- أخوان أوروج (924-869/1518-1464) وخير الدين رايس (952-871/1546-1467) ممثلي الوجود التركي في الجزائر كانا داخل علاقة مع كل من المسؤولين المحليين وحاكم دولة الزياني من قبل ويعرفان الشمال الافريقي وشعبه جيداً. ولقد كانا متفقان مع السلطان الحفصي من أجل الكفاح في البحر الأبيض المتوسط الغربي. لأوروج وخير

الدين رايس أخوان هما اسحاق ومحمد إلياس وهم أبناء يعقوب بن يوسف من زوجته الأندليسية. ولقد ساعد الأخوان أوروج وخير الدين رايس المسلمين الأندلسيين والشماليين الافريقيين ضد الجيش الصليبي المسيحي في البحر الأبيض المتوسط الغربي والتحما مع سكان المنطقة تحت شعار"الأخوة في الدين". بعد التدخل المباشر للجزائر وتونس واكمال حركة الفتح وبطلب المسؤولين المحليين والشعب أصبح أوروج وخير الدين رايس حكام لهذه البلاد. لمعلومات شاملة عن هذه المواضيع. انظر: بسام العسلي، خير الدين بربروس، اطبعة الثالثة، بيروت 1986؛ عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العم، الجزائر 1982/1402 (المجلد: 2-3)؛ أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزائر 1978 و تاريخ الجزائر الثقفي، الجزائر 1985 (مجلدان)؛

Aziz S. İlter, Şimali Afrika'da Türkler, İstanbul 1956; Ercüment Kuran, Cezayir'in Fransızlar Tarafından İşgali Karşısında Osmanlı, Siyaseti, İstanbul 1975; Hulusi Yavuz "XVI. Asır İslam Dünyasında Osmanlı-Portekiz 'Mücadelesinin Sebepleri", Marmara Üniversitesi İlahiyat Fak. Dergisi, S. 3, İstanbul 1985, s. 56 vd. Yılmaz Öztuna, "Büyük Türkiye Tarihi", İstanbul 1978 (IX. cilt); Sabri Hizmetli, "Osmanlı Yönetimi Döneminde Tunus ve Cezayir'in Eğitim ve Kültür Tarihine Genel Bir Bakış", Ankara Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi, C. XXXII, s. 1.

6_ انظر:

Ercüment Kuran, Cezayir'in Fransızlar Tarafından İşgali Karşısında Osmanlı Siyaseti; Mehmet Maksudoğlu, Tunus'ta Osmanlı Hakimiyet", (Doktora tezi), A.Ü. İlahiyat Fak., Ankara 1966.

7_ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المجلد 1، ص. 28-29؛ S. Hizmetli, agm., s. 2.

8_ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المجلد 1، ص. 33.

9 Sabri Hizmetli, "Osmanlı Devri'nde Cezayir'de Gelişen Bilim ve Kültürün Genel Bir Değerlendirilmesi", Ankara Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi, C. XXXI, s. 211

10. S. Hizmetli, agm., s. 212.

11 Ali Rıza Paşa, Mir'atü'l-Cezayir, 1293, s. 15.

12 Ercüment Kuran, Cezayir'in Fransızlar Tarafından İşgali Karşısında Osmanlı Siyaseti (1827-1847), Yenilik Matbaası, İstanbul 1957, s. 4; Kemal Kahraman, "Cezayir", DİA, VII, s. 486; Şinasi Sönmez, "Cezayir Bağımsızlık Hareketinin Türk Basınına Yansımaları (1954–1962)", ZKÜ Sosyal Bilimler Dergisi, C. 6, S. 12, Zonguldak 2010, s. 290.

13 Feridun Emecen, "Kanuni Devri", Doğuştan Günümüze Büyük İslam Tarihi, İstanbul 1989, XI, 348-355.

14 Ercüment Kuran, Cezayir'in Fransızlar Tarafından İşgali Karşısında Osmanlı Siyaseti (1827-1847); Kemal Kahraman, agm, s. 489.

15 M. Colombe, "Algeria", El (İngilizce), I, 367-370.

16_ اهتمت الدولة العثمانية بالتربية والتعليم في الجزائر كما كانت تهتم في إسطنبول. وتطورت الحياة العلمية والثقافية في الجزائر بين العصور 16-18 تطوراً موازياً مع النظام التعليمي التربوي في الدولة العثمانية. وحاول الأتراك على تكوين شبه المؤسسات الحكومية للدولة العثمانية في الجزائربشكل ما. وكانت المؤسسات العلمية والثقافية مجتمعة في المراكزالسكنية الممتدة على طول الساحل. الجزائر العاصمة والقسنطينة والتلمسان ووهران والبليدة ومستغانم وبجاية وجيجل ومعسكر كل هذه المدن كانت أهم المراكز العلمية والثقافية آنذاك. وكانت المؤسسات التربوية التعليمية منتشرة في كل أنحاء البلد. الجوامع والمساجد والمدارس والخوانك والعديد من الزوايا كانت أماكن تطور وانتشار العلم والثقافة. كان التعليم منقسم إلى الابتدائي والمتوسط والعالي وكان عادة ما يدرس في المساجد والمدارس. وكان أكثرية الطلاب يحصلون على المنحة الدراسية وكانوا يبقون في سكن الطلاب. الزوايا والأوقاف كانت تسعى لسد حاجات الطلاب من أكل وشرب وملبس والخ... خصوصاً للطلاب القادمين من البراري، وتبحث عن طرق تدريس جيدة لهم. أعطت الإدارة الجزائرية في العهد العثماني حق الكلام في الإدارة لأرباب العلم والدين مثل شيخ البلد وجماعة الخطباء والقاضي والمفتي كما كانت تعطي الأهمية والمنصب للطبقة العلمية في إدارة الدولة. من هذه الجهة لقد تربى العديد من

رجال العلم وحصلوا على خدمات مهمة في تطور العلم والثقافة. حيث يذكر كثير من الكتاب الغربيين أن مستوى العلم والثقافة الجزائرية في العهد العثماني كانت أحسن من مستوى العلم والثقافة الفرنسية في نفس الفترة الزمنية وأيضاً عدد المؤسسات التربوية التعليمية الجزائرية كانت أكثر بكثير منها. في الحقيقة عندما ننظر إلى كتب الرحلات والتراجم المتعلقة بذلك العصر مثل "الثغر الجماني..." و"البستان في ذكر الأولياء..." و "النفحات المسكية..." نرى أن رجال الدولة والسادة والباشاوات والزعماء والدايات يبذلون جهداً كبيراً لنشر العلم والثقافة وأيضاً نرى أنهم يهتمون برجال العلم ويقومون بدعم مادي ومعنوي لهم. السيد رمضان والسيد صالح والسيد عثمان والسيد أحمد مدراء جزائريون من أمثال هؤلاء الرجال. كانت المكتبات أيضاً منتشرة في أنحاء البلد وتحتوي على الكتب المهمة. معرفة المصادر العربية والعثمانية التي ستلقي الضوء على الأمور التي تتعلق بالوضع العلمي والثقافي الجزائري في العهد العثماني مثل الحكم العادل والمعرفة والثقافة والتاريخ والدين والإدارة والسياسة كانت ستتم نتيجة معرفة وتقييم الكتب المكتوبة والمطبوعة في المكاتب الجزائرية العربية والملفات الموجودة في محفوظات الدولتين. ولقد يسرنا أن تكون هناك بحوث من هذا النوع قد أجريت إما في تركيا أو في الجزائر في السنوا ت الأخيرة. انظر؛

Sabri Hizmetli, "Osmanlı Devri'nde Cezayir'de Gelişen Bilim ve Kültürün Genel BirDeğerlendirilmesi", s. 212-213

17 BOA, 2 Cemaziye'l-evvel 1249/17 Eylül 1833 DUİT (İrade Dosya Usulü), 139/25.

18 BOA, 1250/1834-1835 Hatt-ı Hümayun 46892

19 BOA, DUİT (İrade dosya Usulü), 139/24.

20 BOA, İ.DUİT, 140/26 (29 Zilhicce/28 Nisan 1835).

21 BOA, Hatt-ı Hümâyûn, 47965-B (24 Rebiülevvel 1252/9Temmuz 1836).

22 Osmanlı Belgelerinde Cezayir, Devlet Arşivleri Genel Müdürlüğü Yayınları, Ankara 2010.

23 Hüseyin Bağcı, Türk Dış Politikasında 1950'li Yıllar, Metu Pres, 2001; Semih Günver, Fatin Rüştü Zorlu'nun Öyküsü, Bilgi Yayınları, 1985; Henri

Alleg, Sorgu, Çeviren, Alaattin Bilgi, Açık Oturum Yayınları, 1959; Georges-Marc Benamou, Bir Fransız Yalanı (Bir Soykırım Soruşturması Cezayir Savaşı ve Gerçekler), Çeviren: Sonat Ece Kaya, Babıâli Kültür Yayınları, 2006; Frantz Fanon, Cezayir Bağımsızlık Savaşının Anatomisi, Çeviren; Kamil Bilgin Çile çöp, Pınar Yayınları, 1983; Milliyet gazetesinin söz konusu yıllara ait arşivi;

24_في عام 1985 قام رئيس الوزراء التركي تورغوت أوزال بزيارة للجزائر تم خلالها تطبيع العلاقات التركية الجزائرية بعد أن قدم رئيس الوزراء التركي عذره للجزائريين بسبب المواقف التي اتخذتها تركيا في انتخابات الأمم المتحدة خلال فترة الخمسينات. أنظر؛ hurayse@hotmail.com.; (29 Ocak 2012 tarihli Taraf Gazetesi)

25 imgsrc="http://www.timeturk.com/images_1/news/24052010055322605473 2_3.jpg"

26 Imgsrc="http://www.timeturk.com/images_1/news/24052010055322605473 2_3.jpg"

27 imgsrc=http://www.timeturk.com/images_1/news/24052010055322605473 2_3.jpg"

28_ تركت الحكومة التركية في 17 تشرين الأول عام 1957 أسلحة على ميناء طرابلس في ليبيا لكي تصل إلى القوميين الجزائريين. وتم ذلك بصورة مساعدة عسكرية بواسطة سفينة شحن تركية تسمى "أرداهان" تحت مراقبة هيئة تركية بقيادة الجنرال ناجي سوزن. وبعد فترة من الزمن توترت العلاقات بين تركيا وفرنسا نتيجة الاستيلاء على تلك الأسلحة من بيوت الجزائريين. وكان لهذا الحدث أثر في اضطرار حكومة مندريس في مباحثاته مع الأمم المتحدة التصويت لصالح فرنسا. وقامت تركيا عام 1959 بإرسال أسحلة للجزائريين و كأنها تقوم بمساعدة عسكرية لتونس بعد أن امتنعت عن التصويت لصالح الجزائر مرة ثانية في ثصويت آخر عقد من أجل الجزائر. ولهذا السبب توترت العلاقات الفرنسية التركية مرة أخرة. بل وقامت فرنسا بالتدخل في سفينة تركية تحمل أسلحة للجزائريين. أنظر؛

Davut Dursun, "Cezayir (Sömürge Dönemi)" DİA, VII, (1993), 489-494; Türkkaya Ataöv, Afrika Ulusal Kurtuluş Mücadeleleri, Ankara Üniversitesi Siyasal Bilgiler Fakültesi Yayınları, Ankara 1975, s. 144; Mehmet Nam, "İşgalden İstiklale Cezayir", Tarih Dergisi, Sayı 55 (2012 / 1), İstanbul 2013, s. 155-187;

imgsrc=
http://www.timeturk.com/images_1/news/240520100553226054732_3.jpg;
"Türkiye Cezayir Siyasi İlişkileri", http.//www.mfa.gov.tr/turkiye-cezayir_siyasi-iliskileri.tr.mfa, (Erişim. 18.10.2012).

29 Şinasi Sönmez, (2007), Cezayir Bağımsızlık Hareketi ve Türk Kamuoyu 1954–1962,Basılmamış Doktora Tezi, Hacettepe Üniversitesi, Ankara; Şinasi Sönmez, "Cezayir Bağımsızlık Hareketinin Türk Basınına Yansımaları (1954-1962)", ZKÜ Sosyal Bilimler Dergisi, Cilt 6, Sayı 12, 2010, s. 289–318.

30 Şinasi Sönmez, agm, s. 292.

31 Avni Çeviker, Hür Cezayir, Kültür Matbaası, Ankara1958, s. 4;Şinasi Sönmez, agm, s. 293.

32 Zafer (1957), "Cezayir Meselesi", , 03 Temmuz, s. 1.

33 Şinasi Sönmez, agm, s. 293

34 Ulus,(1956), "Cezayir Milli Kurtuluş Temsilcilerinin Türkiye'den Dilekleri", 28.10, s. 1.

35 Akis (1960), "Cezayir ve Türkiye'nin Arabuluculuğu",Cilt XVI, Sayı 273, 20 Ekim, s. 25.

36 Şinasi Sönmez, agm, s. 295.

37 Abdürrahman Fahri Ağaoğlu, (1959), "Cezair Faciası ve Politikamız", Büyük Doğu, 3 Temmuz, Sayı 18, s.11.

38 Atilhan, Cevat Rıfat (1961), "Cezayir'de Hak ve Hürriyetler İçin Dökülen Kanlar", Sebilürreşad, Sayı 321, s. 331; Şinasi Sönmez, agm, s. 304.

39 Mahmut Ünal, (1957), "Katliam Daha Ne Kadar Devam Edecek ?", Toprak, Sayı 32, 1 Temmuz, ss. 5.

40 Mahmut Ünal, "Katliam Daha Ne Kadar Devam Edecek?", Toprak, Sayı 32, 1 Temmuz 1957, s. 5; Şinasi Sönmez, agm, s. 295.

الملخص:

من القضايا التي أثارت حركة تضامنية عالمية إبان الثورة التحريرية1954-1962، قضية السجينات الجزائريات وما تعرضن له من تعذيب وإهانة في السجون الاستعمارية الفرنسية. إنطلاقا من أرشيف اللجنة الدولية للصليب الأحمر، تهدف الدراسة إلى ما يلي:

- التعريف باللجنة الدولية للصليب الأحمر.
- إبراز دعم الصليب الأحمر النرويجي للسجينات الجزائريات والأوروبيات بين سنتي 1957 و 1958 .
- الوقوف على معاناة السجينات الجزائريات من خلال الشهادات الواردة في الكراسة التي بعث بها الصليب الأحمر النرويجي للجنة الدولية للصليب الأحمر سنة 1958
- إبراز دور المحامي جاك فرجاس في قضية جميلة بوحيرد والحركة التضامنية التي عرفتها.

Résumé:

Soutien de la Croix-Rouge Norvégienne aux prisonnières Algériennes par le biais du Comité International de la Croix-Rouge (CICR) 1957/1958

La présente étude est un aperçu sur le soutien de la Croix Rouge Norvégienne aux prisonnières Algériennes pendant la guerre de libération nationale à partir des archives de la Croix Rouge Internationale entre 1957 et 1958.

Les objectifs de l'étude sont comme suit:

- Présentation du Comité International de la Croix Rouge.
- Evocation du soutien de la Croix Rouge Norvégienne aux prisonnières Algériennes et Européennes entre 1957 et 1958.
- Aperçu sur les souffrances des prisonniers Algériennes à travers les témoignages relatés dans la brochure expédiée par la Croix-Rouge Norvégienne au Comité International de la Croix Rouge en 1958.
- Souligner le rôle de l'avocat Jacques Vergés dans l'affaire Djamila Bouhired et l'élan de solidarité exprimé à son égard.

Abstract:

Support of the Norvegian Red Cross to the Algerian women prisoners through the International Committee of the Red Cross (ICRC) in 1957/1958

This study is an overview on the support about the Norwegian Red Cross to Algerian prisoners during the Algerian national liberation war from the International Red Cross archives from 1957 to 1958. The objectives of the study are as follows:

- Introduction of the International Red Cross Committee

-Evocation of the Norwegian Red Cross support to Algerian and European women prisoners between 1957 and 1958

-An overview about the suffering of the Algerian women prisoners through the testimonies recounted in the brochure sent by the Norwegian Red Cross to the International Committee of the Red Cross in 1958.

-Emphasize the role of the lawyer Jacques Verges in Djamila Bouhired case and the spirit of solidarity expressed towards her.

مقدمة :

منذ اندلاع الثورة التحريرية في 1 نوفمبر 1954 والدولة الاستعمارية الفرنسية تحاول إخفاء الواقع بالتأكيد على أن ما تشهده الجزائر عبارة عن حركات تمردية وعصيان مدني ، لذلك طبقت على الجزائريين القانون الجنائي عوض قانون الحرب فكانت المحاكمات في أغلبيتها تنتهي بحكم الإعدام .

من القضايا التي حركت الرأي العام العالمي ودفعت باللجنة الدولية للصليب الأحمر إلى مواكبة الحركة التضامنية العالمية ، قضية المجاهدات السجينات المحكوم عليهن بالإعدام في مقدمتها قضية جميلة بوحيرد وزميلاتها .

اعتمدت في هذا البحث على مراسلة جمعية الصليب الأحمر النرويجي إلى اللجنة الدولية للصليب الأحمر ، التي كانت مرفقة بكراسة فيها شهادات عن جزء بسيط من ما تعرضت له المجاهدات السجينات من الممارسات الشنيعة واللاإنسانية في معتقلات وسجون الاحتلال وعلى هذا تتضمن هذه الدراسة العناصر التالية :

1 / التعريف باللجنة الدولية للصليب الأحمر.

2 / رسالة الصليب الأحمر النرويجي إلى اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

3 / شهادات المجاهدات السجينات.

4 / السجون التي احتجزت فيها المجاهدات .

5 / الحركة التضامنية التي أنتجتها قضية جميلة بوحيرد.

1/ التعريف باللجنة الدولية للصليب الأحمر:

اللجنة الدولية للصليب الأحمر منظمة إنسانية دولية غير حكومية تأسست سنة 1863 من طرف شخصيات سويسرية هي :

- غيوم هنري دوفور Guillaumme- Henri Dufour
- ثيودور مونوار Théodore Maunoir
- لويس آبيا Louis Appia
- غوستاف مونييه Gustave Moynier

- هنري دونان Henry Dunant

تعود فكرة تأسيسها إلى هنري دونان الذي شاهد ويلات الحرب في معركة سولفيرينو Solferino [1]( ) و ألف حولها كتابا بعنوان " تذكار سولفيرينو" وصف فيه الوضع الإنساني الناجم عن المعركة والعدد الهائل من القتلى و الجرحى الذي فاق 40 ألفا من الطرفين الفرنسي و النمساوي ختم كتابه بالسؤال التالي : "... لماذا لا تنشأ في أوقات السلم جمعيات للإغاثة كي توفر الرعاية و العلاج للجرحى في زمن الحرب ..." ([2])

فكان ذلك بمثابة البذرة الأولى لظهور اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

و في 17 فيفري 1863 اجتمعت الشخصيات السابقة الذكر، واتخذت قرار تأسيس منظمة إنسانية تحت اسم ".اللجنة الدولية لإغاثة الجرحى." و اقترحوا وضع شارة([3]) تميز أعضائها في ساحات المعركة أثناء الحروب .

وبعد ذلك تسارعت الأحداث، و تطورت الفكرة وأصبحت تنمو بفضل اقتناع الحكومات الأوربية بأهميتها للبشرية جمعاء فانعقد مؤتمر دولي بجنيف في 26 أكوبر 1863 بحضور 16 حكومة أوروبية و 31 شخصية بارزة و 4 منظمات و بعد ثلاثة أيام أي في 29 أكتوبر 1863 تمت المصادقة على تأسيس الحركة الدولية للصليب الأحمر ، و بالتوقيع على اتفاقية جنيف الأولى يوم 22 أوت 1864 اتضحت معالم القانون الدولي الإنساني الذي تدعم فيما بعد بثلاثة اتفاقيات أخرى لتصبح أربعة بالإضافة إلى بروتوكولات إضافية لسنة 1949. ([4])

---

[1] – مدينة تقع في شمال إيطاليا .

[2] – أنظر : منشورات اللجنة الدولية للصليب الأحمر، **تعرف على اللجنة الدولية للصليب الأحمر** ،جنيف ،أفريل 2005، ص ص 2 . 3

[3] – الشارة التي تم اختيارها هي : صليب أحمر على أرضية بيضاء. تم اعتمادها من طرف المؤتمر الدولي الذي انعقد بجنيف

[4] –(4) الاتفاقيات الأربعة هي :

تتمثل مهمة اللجنة في حماية ضحايا الحروب والنزاعات الداخلية من العسكريين والمدنيين ، و تعتمد في ذلك على تطبيق القانون الدولي الإنساني الذي يسمى كذلك بقانون الحرب . ([5])

وفي حالة النزاعات الداخلية لا يمكن للجنة الدولية للصليب الأحمر التدخل دون الحصول على موافقة الدولة المعنية وهذا ما حدث عند اندلاع الثورة التحريرية حيث رفضت فرنسا السماح للجنة الدولية للتدخل باعتبار القضية داخلية. ومع تصاعد العمليات العسكرية وتعدد القضايا التي تستوجب تدخل اللجنة مثل القصف العشوائي للقرى والمد اشر، الاعتقال العشوائي، التعذيب، جددت اللجنة الدولية طلبها في فيفري 1955 و تحصلت على الموافقة لزيارة السجون والمعتقلات بالتعاون مع السلطات العسكرية الفرنسية و جمعية الصليب الأحمر الفرنسي لكن هذا التعاون لم يكن إلا من أجل إخفاء الحقيقة. كما تم اختيار السجون والمعتقلات التي تزورها اللجنة الدولية للصليب الأحمر قصد التأثير على تقاريرها النهائية . ([6])

بالرغم من انشغالها بما كان يحدث في الجزائر من تجاوزات لحقوق الإنسان لم تقف اللجنة على ظروف المجاهدات المعتقلات والسجينات بالرغم من المراسلات التي تلقتها والتي من بينها موضوع هذه المداخلة .

2 / رسالة الصليب الأحمر النرويجي إلى اللجنة الدولية للصليب الأحمر:

الأولى : لتحسين حال الجرحى و المرضى من القوات المسلحة في الميدان و هي تطوير لاتفاقية جنيف لسنة 1864 ثم جاءت اتفاقية جنيف لسنة 1949 كامتداد لها .

الثانية : 12 أوت 1949 تخص تحسين حال الجرحى و المرضى و الغرقى من القوات المسلحة في البحار.

الثالثة : 12 أوت 1949 خاصة بأسرى الحرب و بمعاملتهم .

الرابعة : 12 أوت 1949 خاصة بحماية المدنيين .

[5] – منشورات اللجنة الدولية للصليب الاحمر ، **الحماية في زمن الحرب** ، الطبعة الثالثة، جنيف ،2005 . ص 28

[6] – أنظر: محفوظ عاشور،دور اللجنة الدولية للصليب الأحمر و الهلال الأحمر الجزائري أثناء الثورة التحريرية 1962/1954 ، رسالة ماجستير تحت إشراف أ.د مسعودة يحياوي ، جامعة الجزائر ،أفريل 2010 .ص 84.

من الجمعيات الإنسانية التي كانت تتضامن مع قضية المجاهدات السجينات المحكوم عليهن بالإعدام ، جمعة الصليب الأحمر النرويجي التي بعثت برسالة - مرفقة بكراسة حول ما كانت تعاني منه المجاهدات في سجون الاستعمار- ،إلى اللجنة الدولية للصليب الأحمر بجنيف يوم 31 أكتوبر 1958 قصد دفعها إلى التدخل لتطبيق القانون الدولي الإنساني و إنقاذهن من الموت المؤكد .لكن اللجنة الدولية رفضت التدخل بحجة أن المجاهدات السجينات حكم عليهن بالإعدام من طرف القضاء الفرنسي وفق القانون المدني و مما جاء في الرسالة التي بعثت بها اللجنة الدولية لرئيس جمعية الصليب الأحمر النرويجي و المؤرخة في 6 أكتوبر 1958 " ...إن قضية الآنسة جميلة بوحيرد لا تدخل ضمن القانون الدولي الإنساني ، لأنها قضية مدنية تتعلق بالمشاركة في أعمال إرهابية يطبق عليها القانون الجنائي... " (7) هذا الموقف تغير فيما بعد نتيجة الحركة التضامنية العالمية التي عرفتها قضية المجاهدة جميلة بوحيرد وزميلاتها .

3 / شهادات المجاهدات السجينات:

يحتوي الكتيب الذي أرسله الصليب الأحمر النرويجي على شهادات المحكوم عليهن بالإعدام من طرف المحكمة العسكرية الفرنسية سنة 1958 ، تلك الشهادات في نفس الوقت عبارة عن نداء للجنة الدولية للصليب الأحمر و للحكومة الفرنسية لأنها تضمنت شكاوى إلى وزير العدل الفرنسي السيد(Acker) والمندوب القضائي لدى مصلحة السجون بالحكومة العامة ، و لوكيل الجمهورية و جاء فيها مايلي "... سيدي ... يشرفنا أن نلفت انتباهكم إلى قساوة ظروف الإعتقال و المعاملة السيئة التي نعاني منها و نحن ننتظر تنفيذ حكم الإعدام ، منعت عنا الزيارات ، الطعام الذي يقدم لنا رديء جدا ، الزنزانات التي نحن فيها ضيقة و نسبة الرطوبة فيها عالية جدا ، زميلتنا جملة بوحيرد لا زالت تعاني من

7 – رسالة المدير التنفيذي للجنة الدولية للصليب الأحمرGallopin للأمين العام للصليب الأحمر النرويجي بتاريخ 6 نوفمبر 1958.

الجروح التي تعرضت لها عند اعتقالها لم تتلقى العلاج الضروري و حالتها تتدهور يوما بعد يوم و مع ذلك رفضت إدارة السجن نقلها إلى المستشفى..."[8]

و في شهادة للسيدة (Denise Walbrt) المؤيدة و الداعمة لكفاح الشعب الجزائري و المؤرخة في 16 ماي 1957 عبرت فيها عن ما تعرضن له من تعذيب و معاناة "...كنت في المعتقل مع عدد من المجاهدات تعرضت معهن إلى التعذيب بالكهرباء والماء إلى جانب الضرب المبرح... " [9]

و في 19 نوفمبر 1957 ، أصدرت جريدة الاستقلال المغربية تصريحا جاء فيه: :"... من شهر مارس إلى نهاية أفريل كل السجينات تعرضن للتعذيب بشتى أنواعه كالتعذيب بالكهرباء و الماء ،الاعتداءات الجنسية ، الضرب المبرح ، الذي امتد لأيام عديدة..."[10]

و قد أكدن عند وقوفهن أمام المحكمة العسكرية على دورهن في الثورة بكل شجاعة وأكدن على أن كفاحهن سياسي و ليس إرهابي ،هدفه ليس القتل والإجرام، وإنما الدفاع عن الوطن و نصرته . و من التصريحات التي تضمنتها الكراسة التي تحصلت عليها اللجنة الدولية للصليب الأحمر تصريح جميلة بوحيرد و صفية بازي وفضيلة مسلي.

*** تصريح المجاهدة جميلة بوحيرد :**

من ما جاء فيه : " ...سادتي ...أعلم جيدا بأنكم ستحكمون علي بالإعدام بالرغم من براءتي اعتمدتم في حكمكم على تقرير الشرطة و المظليين الذي أخفيتم نسخته الأصلية إلى غاية يوم المحاكمة .. الحقيقة أنني أحب وطني و أريد أن أراه حرا لذلك دعمت كفاح جبهة التحرير الوطني ، و لهذا السبب تعرضت للتعذيب و حكمتم علي بالإعدام مثلما قتلتم أشقائي بن مهيدي ، بومنجل و زدور ، و لكن لا تنسوا بأنكم تقتلون قيم بلادكم وترهنون

8- ibid

9- ibidem

10- ACICR BAG 202 008 – 009 (12) : Protestation du Croissant Rouge Algérien

شرفه و تضعون مستقبلها في خطر . لن تتمكنوا من منع الجزائر من الحصول على استقلالها..."[11]

* **تصريح فضيلة مسلي** :"... سئمت العيش في الذل و الهوان ، فقررت بمحض إرادتي و بعد تفكير عميق الالتحاق بجبهة التحرير الوطني لأنني لم أعد أقبل رؤية الشعب الجزائري يضطهد ... قمت بتقديم العلاج للمناضلين وللجرحى من المجاهدين و عالجت كذلك مختلف شرائح الشعب الجزائري المعرض للفقر والأمراض .. قمت بدوري كممرضة فقط ..."[12]

* **تصريح صفية بازي :**

"... جريمتي الوحيدة هي أنني أردت رؤية بلادي حرة ...جريمتي الوحيدة أنني عالجت رجال تعبوا من الظلم و الاضطهاد الذي سلط عليهم منذ 1830 ...ليسوا مجرمين كما تسمونهم ،هم رجال الذين تجهلون قيمتهم التحقت بهم لإسعافهم فقط...[13] "

4/السجون التي إحتجزت فيها المجاهدات :

في السجن المدني للجزائر (سركاجي)وجد عدد كبير من المجاهدات منهن:

سليمة الحفاف (قابلة) ، فافة صادوك شريف ، (Elyette Loupطالبة) ، Madleine Chaumat ، فطومة مزيان ، يمينة قبلي ، Lucie Coscas ، (Colletteطالبة) ، Claudine Lacascade (معلمة) ، فاطيمة بن سالم (معلمة) ، زاهية أوريف ، Nelly Porot ، Blanche Moine ، و و يشير التقرير إلى وجود عدد لايحصى من السجينات .[14]

في سجن الحراش تكدس عدد كبير من النساء المجاهدات منهن:

11-010.02 .ACICR BAG 225 008Condamnation de Djamila Bouhired.op.cit

12- ibid. -

13- ibid.

14- (14)Comité International de la Croix Rouge, Le CICR et le conflit Algérien, Genève, 1962.p2 4

جميلة بوحيرد ، (Jacqueline Gerroudjمعلمة) ، جميلة بوعزة ، Evelyne (Lavaletteطالبة) ، زهرة ظريف (طالبة) ، زهية خلف الله ، نفيسة حمود (طبيبة) ، Rose Tabone ، (Jane-Marie Francesطالبة) ، فطيمة قوريش ،Gilberte Algara .([15])

كما وجد عدد لا بأس من المجاهدات في سجن قسنطينة منهن :

فضيلة سعدان (طالبة) ، زهية غريب هذا إي جانب وجود عدد كبير من النساء في السجون التالية : تلمسان ، وهران ، البليدة ، بجاية ، الأصنام (شلف حاليا) ، لكن المعلومات نادرة عن هويتهن و ظروفهن داخل زنزانات الاستعمار.([16])

و منها معتقلات بني مسوس ، زرالدة ، تافشون ونظرا لتزايد عددهن تقرر إنشاء معتقل خاص بالنساء في (LODIذراع السمار) بالمدية.

ومنهن من تقرر نقلهن من الجزائر إلى السجون الفرنسية من بينهن فضيلة مسيلي 21 سنة و صوفيا بازي 22 سنة و مريم بلمهوب 24 سنة . معظم المجاهدات أوقفن بسبب ملفات مزورة من قبل الشرطة و مصالح الجيش الفرنسي.([17])

5 / الحركة التضامنية التي أنتجتها قضية جميلة بوحيرد :

منذ توقيع فرنسا على اتفاقيات جنيف سنة 1951 لم تتوقف عن ارتكاب جرائم في حق الجزائريين، خاصة أثناء الثورة التحريرية، و مع ذلك لم تتدخل اللجنة الدولية للصليب الأحمر إلا بعد 1955 .حيث اقتصرت مهمتها على زيارة السجون والمعتقلات ضمن إطار قانوني لا يسمح لها بالمطالبة بتطبيق مجمل اتفاقيات جنيف، فكان لزاما عليها تقديم

---

[15]- ibid

[16] -(16)أنظر: محفوظ عاشور،دور اللجنة الدولية للصليب الأحمر و الهلال الأحمر الجزائري أثناء الثورة التحريرية 1962/1954 ، رسالة ماجستير تحت إشراف أ.د مسعودة يحياوي ، جامعة الجزائر ،أفريل 2010 .ص 84-85.

[17] - ACICR:225 008-009.09 Plaintes concernant les camps Tefeschoun, Bossuet Djorf 28/04/1958-03/12/1958

طلب للحكومات الفرنسية كلما رغبت في زيارة السجون والمعتقلات ومن القضايا التي مكنت من إحداث تضامن دولي إصدار حكم الإعدام في حق جميلة بوحيرد و زميلاتها. [18]

وبالرغم من الموجة التضامنية ، بقي موقف اللجنة الدولية للصليب الأحمر يؤكد على أن القضية تدخل في إطار القانون العام و أن اعتقال ومحاكمة جميلة بوحيرد كان بتهمة تنفيذ عمليات إرهابية ضد المواطنين.

في 03 مارس 1958 وجه الأستاذ جاك فرجاس (Jacques Verges) رسالة إلى اللجنة الدولية للصليب الأحمر طلب منها تدخلها لتحسين ظروف اعتقال جميلة بوحيرد و زميلاتها و أرفقها بصك يمثل مبلغ حقوق التأليف لكتاب " جميلة بوحيرد "الذي ألفه مع صديقه (George Arnaud) مطالبا من اللجنة تخصيصه لشراء كل ما هو ضروري لتحسين ظروف السجينات .

وفي 10 مارس 1958 تلقى الأستاذ فرجاس (Verges) ردا من اللجنة الدولية للصليب الأحمر ، عبرت فيها عن استعدادها للقيام بكل ما في لتحسين ظروف اعتقال جميلة بوحيرد و زميلاتها و كل الأسرى و المعتقلين الجزائريين [19]

وتوجت موجة التضامن مع قضية جميلة بوحيرد بإنشاء صندوق خاص لمساعدة السجناء و المعتقلين تحت اسم " صندوق جميلة بوحيرد و زميلاتها ". و في رد اللجنة الدولية على رسائل المحامي جاك فرجاس المؤرخة في 5 ماي 1958 اقترحت صب المبالغ المالية في صندوق خاص لإغاثة الجزائريين، وكانت الموافقة على ذلك تعبيرا على توسيع العمليات التضامنية لكل الجزائريين، ونتيجة للتدويل الذي عرفته القضية، قررت

18-010.02 .ACICR: BAG 225 008Condamnation de Djamila Bouhired .op.cit.

19-ibid.

السلطات الفرنسية إلغاء حكم الإعدام و تعويضه بالسجن المؤبد الذي اعتبره الهلال الأحمر الجزائري موتا بطيئا ([20]).

في 13 مارس 1958 تلقى مندوب اللجنة الدولية للصليب الأحمر في تونس السيد (De Preux) رسالة شكر من مصلحة الصحافة والإعلام لجبهة وجيش التحرير الوطني جاء فيها " ...علمنا بقرار العفو الصادر في حق جميلة بوحيرد ، وعلى هذا لن نتجاهل الجهود التي قدمتها اللجنة الدولية للصليب الأحمر و عليه نوجه لها شكرنا الخالص... " [21]( )

إن الحديث عن المعتقلين والأسرى و كل الجزائريين الذين كدستهم السلطات الاستعمارية الفرنسية في مختلف المراكز و السجون ، لا يكون دون التطرق إلى كل المعاناة الناجمة عن مختلف أنواع التعذيب التي تفنن فيها الجيش و الشرطة بفضل دعم السلطات الاستعمارية و صمتها ، تلك السلطات التي يقول عنها بنجامين سطورا (Benjamin Stora) بأنها مارست التعذيب بشكل واسع أثناء "معركة الجزائر" منذ جانفي 1957 و بغرض تحقيق الأمن و الاستقرار.

تنص المادة الرابعة على ضرورة قيام كل دولة طرف فيها على اعتبار " جميع أعمال التعذيب جرائم بموجب القانون الجنائي ". أما في المادة 31 من اتفاقية جنيف الرابعة نقرأ " ...تحضر ممارسة أي إكراه بدني أو معنوي إزاء الأشخاص المحميين خصوصا ، بهدف الحصول على المعلومات منهم أو من غيرهم... ".([22])

لقد شكل تقرير المهمة السابعة للجنة الدولية للصليب الأحمر ، بعد أن نشرت جريدة لموند تفاصيله سنة 1960 و حصول الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية على نسخة منه ، إطارا ملائما لخوض المعركة القانونية و لتدويل جرائم الاستعمار الفرنسي

---

[20]- (20)ACICR: BAG 251-008-007 Sixièmes missions de détention du 4 dècembre au 23 décembre 1958.

[21]-ibid.

[22]- Benjamin Stora , La gangrène et l'oublie (la mémoire de la guerre d'Algérie),éd la Découverte, Paris,2007 ,p.26

فكان للهلال الأحمر الجزائري الدور الريادي في القضية بفضل ممثله في جنيف الدكتور بنتامي.

لم يفوّت الهلال الأحمر الجزائري أية فرصة لنقل ما جمعه من شهادات حول ممارسة التعذيب في مختلف مراكز الاعتقال و الحجز و في السجون طالبا من اللجنة الدولية للصليب الأحمر العمل على تحسين ظروف الاعتقال و حماية الأسرى في الجزائر و في الأراضي الفرنسية .) [23](

في 04 جويلية 1958، تلقت اللجنة الدولية للصليب الأحمر شكوى ممضاة من طرف محتجزي مركز إيواء C H تيفيشون (خميستي حاليا بولاية تيبازة)، يشكون فيها صعوبة ظروفهم وتعرضهم لشتى أنواع التعذيب)[24](.

[23]-ACICR:225 008-009.09 Plaintes concernant les camps Tefeschoun.op.cit.

[24]- ibid.

الخاتمة

بالرغم من دورها في التخفيف من معاناة الجزائريين في السجون والمعتقلات ومخيمات اللاجئين الجزائريين في تونس والمغرب الأقصى ، اصطدمت اللجنة الدولية للصليب الأحمر بتعنت الاستعمار الفرنسي لتصنيف الثورة التحريرية في خانة الاضطرابات الداخلية ، لكن تطور العمليات العسكرية والتنظيم المتزايد للثورة على الصعيدين السياسي والعسكري والإنساني بتأسيس الهلال الأحمر الجزائري من جهة و القمع العسكري الفرنسي الوحشي من جهة أخرى حولت القضية الجزائرية إلى حرب تطبق فيها مجمل اتفاقيات جنيف وبذلك تمكن التضامن الدولي من إرغام الاستعمار على تغيير حكم الإعدام الصادر في حق جميلة بوحيرد و زميلاتها إلى السجن المؤبد ومع ذلك تواصل النضال من أجل إلغائه و تواصل معه كفاح الشعب الجزائري من أجل تحقيق الحرية والإستقلال.

بيبليوغرافيا

أرشيف اللجنة الدولية للصليب الأحمر بجنيف (سويسرا) :

- ACICR,Bag225 008-010.01,Divers cas particuliers , notamment le cas du Dr Reda Zmerli 14 Mars 1958-22 Décembre 1958

- ACICR,Bag225 008-010.02, Lettre de Gallopin . condamnation de Djamila Bouhired et co-inculpées.13 Mars

-ACICR, Bag225 008-005,Mission de détention de Pierre Gaillard et du docteur L/A gailland, 15 Mai au 06 juillet 1957.

- ACICR, Bag225 008-008.011, Historique de l'activité du CICR en Algérie de 1955 à fin 1959.

-Le CICR et le conflit Algérien, Genéve 1962.

-Rapports d'activités du CICR, entre 1957-1961.

-ACICR BAG 202 008 – 009 (12) : Protestation du Croissant Rouge Algérien

- ACICR:225 008-009.09 Plaintes concernant les camps Tefeschoun, Bossuet Djorf 28/04/1958-03/12/1958

- ACICR: BAG 251-008-007 Sixièmes missions de détention du 4 dècembre au 23 décembre 1958

- ACICR, Rapport d'Activité 1959 , Genève 1960

- ACICR BAG 225 008 – 009.04 : Plaintes concernant les camps Tefeschoun, Bossuet, Djorf.

- Comité International de la Croix Rouge, Le CICR et le conflit Algérien, Genève, 1962.

المراجع:

أ/ بالعربية:

- منشورات اللجنة الدولية للصليب الاحمر ، **الحماية في زمن الحرب** ، الطبعة الثالثة، جنيف ،2005 .

- محفوظ عاشور،دور اللجنة الدولية للصليب الأحمر و الهلال الأحمر الجزائري أثناء الثورة التحريرية 1962/1954 ، رسالة ماجستير تحت إشراف أ.د مسعودة يحياوي ، جامعة الجزائر ،أفريل 2010 .

- منشورات اللجنة الدولية للصليب الأحمر، **تعرف على اللجنة الدولية للصليب الأحمر** ،جنيف ،أفريل 2005.

ب/بالفرنسية:

-Benjamin Stora , La Gangrène et l'Oubli ,Ed La Découverte,Paris,1998.

-Branche (Raphaelle),Entre droit humanitaire et intérêts politiques, Les missions algériennes du C.I.C.R,la revue historique ,1995.

الملخص:

المقال دراسة تتناول المحاور الكبرى لمنهج الإمام عبد الحميد بن باديس في الإصلاح والتجديد في الجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي، وقد أبانت عن فقه واسع ودقيق بالواقع الجزائري والإسلامي، حيث أبرز ظاهرتين هما: التخلف والاستعمار. وكانت أهداف الإصلاح والتجديد عنده تتمثل في ا- العودة إلى الأصول المرجعية للأمة. ب – المحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية. ويهدف البحث إلى بيان إمكانية الاستفادة من تجربة ابن باديس في الإصلاح والتجديد في حياتنا المعاصرة.

Résumé :

La jurisprudence de la réalité et son importance dans le processus de changement d'après l'Imam Abdelhamid Ben Badis.

L'article traite de l'étude des grands axes de l'approche de l'Imam Abdelhamid Ben Badis dans la réforme et le renouvellement effectués en Algérie durant la période coloniale française. Ceux- ci ont bénéficié d'une large jurisprudence relative à la réalité exacte de l'Algérie et du vécu des musulmans, à coté de deux importants phénomènes à savoir : le sous-développement et le colonialisme. Les objectifs de la réforme et de renouvellement est de revenir à la référence A- qui est l'actif de la nation. B - en conservant les éléments personnels de l'Algérie. La recherche vise à libérer la possibilité de tirer profit de l'expérience d'Ibn Badis dans la réforme et le renouvellement de notre vie contemporaine.

Abstract :

This article deals with the major axes of Imam Abdelhamid Ben Badis approach in the reform and the renewal done in Algeria during the French colonial period. This case had largely demonstrated, the exact reality of Algeria and the Muslim reality too, and also the two most important phenomena which are the underdevelopment and the colonialism. The reform's and the renewal's objectives concerns the return from the -A- reference to B which are the assets of the nation by retaining the personal elements of Algeria. This present research aims to benefit from Ibn Badis experience in the reform and in the renewal of our contemporary life.

مقدمة:

إن الإمام عبد الحميد بن باديس صاحب مشروع حضاري بعيد الأفق ، وضع أسسه بكل وضوح و باشر إنجازه بكل عزم و أناة ، و استطاع أن يحقق كثيرا من أهداف مشروعه الإصلاحي التّجديدي ، من خلال جهود كثيفة متواصلة حقق فيها تناغما و تفاعلا عميقا بين الحقيقة الإسلامية كما وردت في نصوص الوحي و بين الواقع الإنساني في الجزائر .و نظرا لأهمية هذا الجهد الاصلاحي التجديدي ،رأينا أن نعرض بعض معالمه الكبرى كتجربة رائدة في الإصلاح و التّغيير، يمكن الاستفادة منها في حياتنا المعاصرة خاصة و أن إطلالة الامام على روح العصر كانت قوية ، في فترة عصيبة امتحن فيها الشّعب الجزائري في مقومات وجوده .

وقد اخترنا تناول هذا الموضوع من خلال الحديث عن عنصرين هما :1- تقويم ابن باديس للواقع الجزائري والاسلامي.2-أهداف التجديد والإصلاح عند ابن باديس.

1 - تقويم ابن باديس للواقع الجزائري والاسلامي:

من الشروط الأساسيّة لنجاح حركات التغيير الإصلاحيّة، فهم الواقع الإنساني المراد تغييره، والوقوف على عناصر تكوينه وعوامل تفاعله وخصائصه، من أجل رسم خطّة للمعالجة واتّخاذ الأساليب والوسائل المناسبة للتغيير والإصلاح. وعليه كان من الضّروري أن تنطلق هذه الحركات من هموم الواقع وتحديات البيئة المستهدفة بالتّجديد.

وهذا ما فعله ابن باديس في حركته إذ عمد إلى فحص الواقع وفهم العصر الذي يعيش فيه بنظرة الخبير المطلع، وتواصل مع كل فئات المجتمع، وانطلق من عمق المعاناة الشعبية. وقد أدى تقويمه للواقع إلى إبراز عنصرين أساسين هما: أ- ظاهرة التخلف. ب – ظاهرة الاستعمار.

أ- ظاهرة التخلف: حددها ابن باديس من خلال وصف-مسجي- لواقع المسلمين كما رآه فقال: "رأينا كما يرى كل مبصر ما نحن عليه معشر المسلمين من انحطاط في الخلق وفساد في العقيدة وجمود في الفكر وقعود عن العمل وانحلال في الوحدة وتعاكس في الوجهة وافتراق في السير" هذه هي مظاهر الفساد والخلل التّي لاحظها ابن باديس وهي تشمل

مجالات الحياة الأساسية روحيّا وماديّا، وهي الأخلاق والعقيدة والفكر والعمل والعلاقات الاجتماعية على تنوعها.

وإنّ هذا التوصيف لواقع المسلمين هو توصيف واحد حيثما وجدت شعوب الإسلام في سائر الأوطان، ممّا يدل على أنّه وصف عام يشير بوضوح إلى تدنّي المستوى الحضاري للأمة الإسلامية، وهو ما أكده ابن باديس بقوله: "رأينا هذا كلّه كما رآه المسلمون كلّهم وذقنا الأمّرين مثلهم." ويمكن أيضا أن نتفق على تسمية هذا التوصيف بظاهرة التخلف التي هي: " نمط من الوجود تنحطّ فيه الأوضاع النفسيّة والذهنيّة والسلوكية والاجتماعية والسياسيّة والاقتصادية عن المستوى المقبول في معايير المنهج الرّباني وعن الوفاء بمتطلبات العيش الكريم الملائم للإنسان المسلم."

وإزاء هذا الواقع المؤلم الذي يعيشه المسلمون، وقف ابن باديس بين يدي الله تعالى، يبحث عن المخرج، بحثا صادقا ملحّا، نابعا عن قلب مشفق محبّ لأمته، متلمسا طريق الهداية من ربّ العالمين، وقد عبّر عن هذه الحالة النفسية بحالة (الفزع إلى الله) فقال: " ففزعنا إلى الله الذي لم تستطع هذه الأهوال والمصائب كلّها أن تمسّ إيماننا به وتزعزع ثقتنا فيه فاستعذنا واستجرنا واستخرنا وتوسّلنا إليه جلّ جلاله بالإيمان وسابق آلائه وجأرنا إليه بأسمائه".

لقد فهم ابن باديس طبيعة المرحلة التي تمر بها الأمّة الإسلامية، وتأمّلها بمنظار قرآني دقيق وعلم أنّها الطور الأخير من أطوار الأمم ، وهو طور التقهقر والضعف والانحلال الذي جاء ذكره في قوله تعالى: (وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا) الإسراء: ٥٨ وبيّن أن الوصف القرآني الذي ينطبق على الأمة الإسلامية في هذا الطور هو(العذاب الشديد) فقال: "وأمّا القرى التّي قضى عليها بالعذاب الشديد فهذه لا تزال بقيد الحياة فتداركها ممكن وعلاجها متيسر، مثل الأمم الإسلامية الحاضرة، فممّا لاشك فيه أنّ فينا ظلما وعتوّا وفسادا وكفرا بنعم الله وأنّنا من جرّاء ذلك لفي عذاب شديد ".

ولا شك أنّ علّة العلل فيما أصاب المسلمين من تخلف وانحطاط وأمراض ومحن يرجع إلى بعدهم عن الإسلام ومخالفتهم لشرع الله تعالى إذ: "مخالفة السنّة النبويّة والهدي المحمدي وما كان عليه الرّسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تنفيذ شرع الله وتطبيق

أحكامه وتمثيل الإسلام تمثيلا عمليّا تلك المخالفة هي بسب كلّ بلاء لحق المسلمين حتّى اليوم بحكم صريح هذه الآية وهو يعني قوله تعالى: (لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُم عَذَابٌ أليم) النور: ٦٣.

وإنّ من أعظم البلاء وأشدّ العذاب الذي أصاب الأمة الإسلاميّة بسبب بعدها عن منهج الله، إنّما جاءها- كما يرى ابن باديس- على يد من له السلطة في تدبير أمرها والتصرّف في شؤونها من الحكّام الجائرين منها أو من غيرها فإنّه إذا جار السّلطان "فسد كلّ شيء، فسدت القلوب والعقول والأخلاق والأعمال والأحوال وانحطّت الأمّة في دينها ودنياها إلى أحطّ الدرجات ولحقها من جرّائه كل شرّ وبلاء وهلاك."

وإنّ النجاة من هذا (العذاب الشديد) أمر ممكن وتجنّب (الهلاك) أمر متيسّر إذا آبت الأمّة إلى ربّها بالتوبة النّصوح في جميع مجالات حياتها وذلك: "بالإقلاع عن الظلم والفساد والرّجوع إلى طاعة الله وإعمال يد الإصلاح في جميع الشؤون فيرتفع العذاب بزوال ما كان لنزوله من أسباب."

وقبل أن نتعرّف على خصائص هذا الإصلاح ومضامينه نتعرّف أولا على مظاهر الفساد التي انتشرت في الواقع الإسلامي والمجتمع الجزائري.

يبرز ابن باديس في وصفه للأمّة الإسلامية ذلك التناقض الموجود بين الإسلام وحياة المسلمين الواقعية فيقول: "فنحن ندين بالإسلام وهو دين السعادة الدنيوية والأخروية ولكن حيثما كنّا - إلاّ قليلا- لسنا سعداء لا في مظاهر تديّننا ولا في أحوال دنيانا، ففي الأولى نأتي بما يبرأ منه الإسلام ونصرّح بأنّه من صميمه. وفي الثانية ترانا في حالة من الجهل والفقر والتفرّق والذلّ والاستعباد يرثى لها الجماد."

كما يأسف على حال الأمة الجزائرية التي لم تعد تمثل الإسلام بسيرة مجموعها وأفرادها، إذ فقدت- مع تراكم رواسب الانحطاط- الرؤية الواضحة لأصول مرجعيتها الدينية وهي الكتاب والسنّة وما كان عليه السلف الصالح، فلم تعد حقيقة الإسلام واضحة في تصوّرها ولا حيّة في وجدانها ولا حتّى متداولة متناقلة بين الناس.

ففي المجال الدّينيّ أصيب المسلمون الجزائريون بآفات الجهل والجمود والدّجل والخرافة والبدع وكل أنواع الأباطيل التي تفسد على الناس عقولهم وتضيّع عليهم أموالهم. وهذه الآفات كلّها أمراض وضلالات جعلت المسلم الجزائري ينحطّ عن المقام اللائق به لأنّها "لابست عقائده فأزاغتها واتّصلت بفطرته فأفسدتها وطغت على أخلاقه الفاضلة فجرفتها ودبّت إلى مكمن اليقين منه فابتلته بخواصّها وما خواصّ هذه الضّلالات إلاّ الوسواس والوهم والذبذبة."

وفي المجال العلمي رصد ابن باديس ظاهرة التقليد الأعمى التي أدّت إلى جمود الفكر والانقطاع عن التعامل مع الكتاب والسنّة وأصول الاجتهاد فقال: "كما أدخلت على مذهب أهل العلم بدعة التقليد العام الجامد، التي أماتت الأفكار وحالت بين طلاّب العلم معين السنّة والكتاب ، بل صيرتهما في زعم قوم غير محتاج إليهما من نهاية القرن الرّابع إلى قيام الساعة، لا في فقه ولا استنباط ولا تشريع استغناء عنهما (زعموا) بكتب الفروع من المتون والمختصرات ، فأعرض الطّلاب عن التفقه في الكتاب والسنّة وكتب الأئمة وصارت معانيها الظّاهرة بله الخفية مجهولة حتّى عند كثير من كبار المتصدّرين ."

كما أدّت ظاهرة الجمود والتقليد - على المستوى الاجتماعي- إلى سدّ باب عظيم من الخير فتحه الإسلام للناس وتعطيل شعيرة من أعظم شعائر الإسلام وهي الوعظ والإرشاد وذلك بسبب القصور العلمي لدى الوعاظ والخطباء، والغفلة عن اعتبار الواقع والنّظر في أحوال الناس فإنّ " أكثر الخطباء في الجمعات اليوم في قطرنا يخطبون النّاس بخطب معقّدة مسجّعة طويلة من مخلفات الماضي لا يراعي فيها شيء من أحوال الحاضر وأمراض السّامعين تلقي بترنّم وتلحين أو غمغمة وتمطيط ثمّ كثيرا ما تختم بالأحاديث المنكرات أو الموضوعات."

ومن المظاهر السلبية التي رصدها ابن باديس أيضا في المجال العلمي، ظاهرة التنابذ والعداوة بين أهل العلم من المتعلمين باللّغة العربيّة والمتعلمين باللّغة الأجنبيّة. يقول ابن باديس: "العلوم في الجزائر...منها علوم تؤخذ باللّسان العربيّ وهي علوم الدّين واللّسان ومنها علوم تؤخذ باللّسان الأجنبيّ وهي علوم الأكوان والعمران وقد كان الذين يزاولون العلوم الأولى على جمود تامّ كما كان الذين يزاولون العلوم الثانية على تيه وضلال فهؤلاء يعتبرون الآخرين أحجارا وأولئك يعتبرون هؤلاء كفّارا. "

أمّا في المجال الاجتماعي، فإنّ الأمّة الجزائرية كانت تشكو في صمت حياة بائسة ضاعت فيها حقوقها وكرامتها، وغدت في حالة شديدة من الوهن أضعفت روابطها الاجتماعية بأفكار مسمومة وأوهام مدخولة فصارت فريسة مستباحة لكل طامع فـ: "برغم ما في الأمّة الجزائرية من أصول الحيويّة القويّة، فقد عركتها البلايا والمحن حتّى استخذت وذلّت، وسكتت على الضيم ورئمت للهوان، وبرغم ما بينها من روابط الوحدة المتينة فقد عملت فيها يد الطرقية المحرّكة تفريقا وتشتيتا، حتّى تركتها أشلاء لا شعور لها ببعضها ولا نفع، تتخطّفها وحوش البشريّة من هنا وهنالك بسلطان القوّة على الأبدان أو شيطان الدّجل على العقول والقلوب ."

وتعتبر فئة الشّباب، المرآة العاكسة لعمق تلك المأساة الاجتماعيّة وأبعادها، فهم على حدّ تصنيف ابن باديس "شباب أنساه التعليم الاستعماري لغته وتاريخه ومجده، وقبّح له دينه وقومه وقطع له من كل شيء إلاّ منه أمله وحقّره في نفسه تحقيرا." وهؤلاء هم صنائع المدرسة الاستعمارية أعدتهم ليكونوا أعوانا لها على تحقيق ما يراد من أمّتهم بوعي منهم أو بغير وعي.

ومنهم شباب يكابدون مشقة العيش ويتجرعون آلام الحرمان والتهميش ويرتمون في متاهات الفراغ والضياع والإهمال وهم أكثر الأمّة " شباب جاهل أكلته الحانات والمقاهي والشوارع، ومن وجد العمل منهم لا يرى نفسه إلاّ آلة متحرّكة في ذلك العمل لا همّ له من ورائه في نفسه فضلا عن شعوره بأمر عام."

ومنهم "شباب حفظه الله للإسلام والعروبة فأقبل على تعلمها لكنه تعلم سطحي لفظيّ خال من الرّوح، لا يعتزّ بماض ولا يألم لحاضر ولا يطمح لمستقبل، اللهم إلاّ أفراد قلائل هنا وهناك." وهؤلاء هم قلّة في الأمة، لا تثير فيهم المعارف التي اكتسبوها سؤالا ولا تحرّك مظاهر مأساة المجتمع منهم ساكنا، يلفهم الجمود إلاّ القليل منهم ممّن أحياه الله بالعلم.

وبنظرة نقدية فاحصة، تبحث عن مصدر التخلف والفساد، ينظر ابن باديس إلى الطرقية- المنتشرة في الجزائر وفي العالم الإسلامي- على أنّها حامية تلك الضلالات والبدع في الدّين، الوصيّة على هذا الجمود في الفكر والانحراف في العقيدة، المفرّقة لوحدة الأمّة، المستغلة لعامّتها وخاصّتها على السّواء.

من الأمور التي يعدّدها ابن باديس من مفاسد الطرقية: تشويه صورة الإسلام بما يظهر من أهل الطرق من سلوك لا أخلاقي، وبما يمارسه كثيرون منهم من شعوذة ودجل، وزيادة على ذلك عرقلتهم لكل عمل إصلاحي، ووقوفهم حجر عثرة في طريق كل داع إلى الله بكتاب الله وسنة رسوله وهدي السلف الصالح.

ونتيجة لتراكم رواسب الانحطاط على الأمّة منذ قرون، بسطت الطرقية نفوذها على العقول والأبدان، مستغلة جهل الناس وأمراضهم وبؤسهم ويأسهم وانتهت إليها السلطة الرّوحية حتّى صارت "الخطّة الطرقية من الخطط الإسلامية في الحكومات المصريّة التي تحميها وتؤيدها فصارت البدع والضلالات رسميّة في نظر المسلمين وغير المسلمين." وأما في الجزائر فقد "كان النّاس كأنّهم لا يرون الإسلام إلاّ الطرقية، وقد زاد ضلالتهم ما كانوا يرون من الجامدين المغرورين من المنتسبين للعلم من التمسك بها والتأييد لشيوخها." فكانوا بسلوكهم هذا فتنة للعامّة مضللين لها عن الحقّ.

وبعد بيان مظاهر التخلف وتعيين مواطن الفساد يحدّد ابن باديس مسؤولية هذا التخلف ويجعلها معلّقة برقاب العلماء بالدّرجة الأولى فيقول: [بحثنا في أسباب تأخرنا فأسفرت جميع البحوث عن نتيجة صحيحة ألا وهي أنّ من أقوى الأسباب، تقاعس العلماء عن أداء الواجب نحو أنفسهم وأمّتهم، أما الواجب نحو أنفسهم، فهو تعارفهم واجتماعهم واستثمار مواهبهم وإحكام الرّابطة الدينية التّي تدعّم مركزهم وتجعل كلمتهم مسموعة وجانبهم محترما. وأما الواجب نحو أمّتهم، فهو إجماعهم دون شذوذ أحد على إنهاضها بإرشادهم ونصائحهم الغالية. وإنّكم لا ترتابون بأنّهم قد أخلّوا بالواجبين معا. فحينئذ ففوضى العموم السّائدة تابعة لفوضى العلماء الذين هم في نظر العقلاء بمنزلة الرأس من الجسد والرّاعي من الرّعية.]

وقد كان من آثار ضعف العلماء وإخلالهم بوظيفتهم الدّينية الاجتماعية ما آل إليه حال المسلمين من الابتعاد عن هداية الإسلام وذلك ما يؤكده ابن باديس بقوله: "إن جمود العلماء هو أقوى الأسباب فيما نراه من بدع الطّرائق في الاعتقادات والعبادات الذي أضرّ بطبقات عامّتنا، ومن زيغ عن الدّين، وفتنة بالمدنيّة اللّذين أضرّا بكثير من شبابنا، وأنّه لو سلك العلماء في علمهم وتعليمهم طرق النّظر والاستدلال و التفقه في الكتاب والسّنة

وسير سلف الأمّة ومراجعة كتب المتقدّمين ، لو فعلوا ذلك لكانوا نشروا من هدي الإسلام الصّحيح ما يسير بأبنائه لسعادتهم الدنيويّة و الأخروية في طريق مستقيم ."

ولأجل ذلك نجد ابن باديس لا يفتأ يذكر العلماء بمنزلتهم وبضرورة أداء واجبهم ويخوّفهم من عاقبة التفريط أمام الله ويدعوهم إلى المبادرة بالإصلاح فيقول: "وإذا راجعنا تاريخ المسلمين في سعادتهم وشقائهم وارتفاعهم وانحطاطهم وجدنا ذلك يرتبط ارتباطا متينا بقيام العلماء بواجبهم أو قعودهم عمّا فرضه الله وأخذ به الميثاق عليهم، ولهذا نحن ندعو العلماء كلّهم إلى أن يذكروا هذا الميثاق وأن لا ينبذوه وراء ظهورهم وأن يبادر كل ساكت وقاعد إلى التوبة والإصلاح والبيان. فقد علموا قول الله تعالى (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ) آل عمران: ١٨٧ (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) البقرة: ١٥٩ - ١٦٠

ما نخلص إليه أنّ ابن باديس من خلال استقرائه لواقع المسلمين وواقع الجزائريين، حدّد طبيعة المرحلة التاريخيّة التّي تمر بها الأمة وتعرّف على خصائصها، كما عيّن مصدر تخلف الأمة وعلّته وكذلك حدد المسؤول الأوّل عن ذلك كلّه، فكان بهذا التشخيص يمتلك تصوّرا واضحا وشاملا ودقيقا عن الواقع الذي يريد تغييره.

ب – ظاهرة الاستعمار: لم يكن التخلف وحده هو سبب الوضع المأساوي للجزائريين، ولكن أيضا وبشكل بارز وجود الاستعمار الفرنسي الذي جثم طويلا وبقوّة على العباد والبلاد.

يرى ابن باديس أن الاستعمار الفرنسي أثقل الأمّة الجزائرية بالمظالم وقد جاءت إلى الجزائر- مرّات عديدة - لجان من فرنسا تبحث في حالة المسلمين ولكن بدون جدوى. ولم تكن مطالب الجزائريين إلاّ تيسير العيش ونشر العلوم والصّنائع والرفق بهم والمساواة بينهم وبين الأوروبيين.

وقد كانت الإدارة الاستعمارية تسلك مسالك ملتوية إزاء مطالب الشعب وشكواه، فتحاول مساومة الأمّة على مطالبها العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وكلّها

ضروريات الحياة، بتوزيع قناطير القمح، معتقدة أن الخبز كل ما تريد الأمّة، وأنّها إذا ملئت بطونّها مهدت لها ظهورها. وكل ذلك تعمية للواقع واستخفاف بالنّاس.

لقد عمل شيطان الاستعمار في الجزائر على سلخ الجزائريين من ذاتيتهم وتجريدهم من مقوماتهم. فقد عمد إلى تخريب المؤسسات الدّينية والعلمية والمراكز الثقافية واستولى على الأوقاف التي كانت تشرف على شؤون الدّين والتّعليم والشؤون الاجتماعية العامّة، وضيّق على العلماء وشرّدهم، وأوصد سبل العلم في وجوه الجزائريين، خوفا من تعلّم الجزائريين واحتقارا لهم، فكانت الإدارة الاستعمارية تجيب بالرفض على طلب فتح مدرسة للأهالي كما يقول فرحات عباس "إنّنا لسنا أهلا لها لأننا لا نقبل التربية ولا العلم. "

وقد حارب الاستعمار الدين الإسلامي واللغة العربية بشكل خاص، حربا شرسة محاولا إلغاءهما من الحضور الفردي والاجتماعي للجزائريين في إطار سياسة تنصير الجزائريين في فرنسا، وقد كتب الوزير نابليون جيروم في 1858م يقول: " نحن أمام قومية مسلحة صلبة يجب إخمادها بالدمج."

ولما فشل الاستعمار في تنصير الجزائريين عمد إلى تشويه الإسلام وتجفيف ينابيعه، وجنّد الطرقية ورجال الدين الموظفين للقيام بمهمة تجميد الإسلام وأمدهم بالعون المادي والمعنوي، ولطالما أعانت الحكومة أرباب الزوايا على ما هم فيه من ضلالة وعمى، فما من أحد يطلب منها أنّ تأذن له في زاوية يفتحها لنشر الخرافات إلاّ استجابت له بكل سرعة، وأذنت له وربّما أعانته بالمال وربّما منحته وساما وربّما كان ذلك وسام العلم...وربّما كان ذهبيّا، جزاء ما قتل من العقول وما ذبح وأمات من الفكر والشعور.

وقد لجأ الاستعمار أيضا إلى كسر شوكة الأمّة بمحاولة تمزيق وحدتها عملا بالمبدأ الرّوماني (فرّق تسد)، وأخذ يميّز بين الجزائريين، بين العرب والأمازيغ زاعما أنّهم مختلفون في الأصول العرقية وفي اللّغة، ناسفا ما بينهم من روابط روحية متينة.

ولا أدلّ على فضائع الاستعمار ، من الحالة المأساوية التي آل إليها الشعب الجزائري والتي وصفها ابن باديس بحالة (القرب من الفناء)،حين باشر عمله الإصلاحي الشامل فقال: "لقد كان هذا العبد يجاهد قبل عقد من السنين في هذا القطر القريب من الفناء، ليست له مدارس تعلّمه وليس له رجال يدافعون عنه ويموتون عليه، بل كان في اضطراب دائم مستمرّ و يا ليته كان في حالة هناء، وكان أبناؤه لا يذهبون إلاّ إلى المدارس الأجنبية التّي لا

تعطيهم غالبا من العلم إلاّ ذلك الفتات الذي يملأ أدمغتهم بالسّفاسف حتّى إذا خرجوا منها خرجوا جاهلين دينهم ولغتهم و قوميتهم وقد ينكرونها، هذه هي الحالة التي كنّا عليها في تاريخنا الحديث ."

وما نخلص إليه أن الجزائر تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي كانت تعيش وضعا شاذا بين الأمم المستعمرة بسبب السياسة التخريبية الشاملة لكلّ مقومات الشخصية الجزائرية. وأن الاستعمار وإن كان نتيجة من نتائج تخلف الأمة وانحطاطها منذ قرون، إلاّ أنّه كرّس التّخلف وأعاق الأمّة عن النمو والتطور مدّة قرن كامل.

2 -أهداف التجديد والإصلاح عند ابن باديس:

لكل جهد إصلاحيّ تجديدي مرجعيّة ثابتة ينطلق منها ويرجع إليها، ومضامين إصلاحيّة لها صلة وثيقة بالمرجعيّة من جهة وبالواقع المراد تغييره من جهة أخرى، وتتم صياغة هذه المضامين الإصلاحية والتعبير عنها من خلال تحديد مجموعة أهداف. والأهداف عند ابن باديس تنحصر في هدفين أساسيين حيويين هما:

أ- العودة إلى الأصول المرجعيّة للأمّة. ب- المحافظة على مقومات الشخصيّة الجزائرية.

وقد ورد ذكر هذين الهدفين الحيويين في فاتحة السنة الثالثة عشرة من مجلة الشهاب، الأول في بيان مبدأ الإصلاح الدّيني في قول ابن باديس "وسنخطو هذه الخطوة - إن شاء الله تعالى- على ما عرفه النّاس من مبدئنا في الإصلاح الدّيني من ناحية العقائد والأخلاق والأفكار والأعمال تصحيحا وتهذيبا وتنويرا وتقويما، كلّ ذلك في دائرة الإسلام كما نزل به القرآن وبيّنته السنّة ومضى عليه- علما وعملا- السّلف الصّالح من هذه الأمّة."

والثاني في بيان مبدأ الإصلاح السياسي في قوله: "وعلى ما عرفوه من مبدئنا في الإصلاح السّياسي، وهو المحافظة التّامة على جميع مقوّماتنا ومميّزاتنا كأمّة لها مقوّماتها ومميّزاتها، والمطالبة بجميع حقوقها السّياسيّة والاجتماعية لجميع طبقاتنا دون الرضا بأيّ تنقيص أو أي تمييز."

أ- العودة إلى الأصول المرجعيّة للأمّة: يمثل الإطار المرجعي منطلقات الإصلاح والتجديد ومسلماته الثابتة التّي توجّه الفكر والسلوك، فهو بمثابة المعيار الذي توزن به الأعمال التي تحاول أن تقترب منه. والخلل الذي يعاني منه الواقع الجزائري والإسلامي، ليس مرجعه

افتقاد القيم أو فقر في الميراث الثقافي أو عجز وقصور في التّجربة الحضارية التّاريخية، وإنمّا هو اختلال العلاقة مع الإطار المرجعي وانقطاع الأسباب التي تربطه به.

والأصول المرجعيّة عند ابن باديس ثلاثة وهي: الكتاب والسنة وهدي السلف الصّالح. وقد عبر عنها شعار مجلة الشهاب:(لا يصلح آخر هذه الأمّة إلا بما صلح به أوّلها) وصاغها ابن باديس منذ 1926م فقال:"قد رأينا- ونحن نخدم أمّة مسلمة - أن نسعى لتهذيبها من طريق الإسلام، ولم نشكّ قطّ أنّ الإسلام ليس هو ما تمثّله بسيرة مجموعها وأفرادها، وأنّ الإسلام إنّما هو في كتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه سلفها من أهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية على لسان الصّادق المصدوق، فصمدنا ندعو الأمّة إلى الرجوع إلى هذه الأصول وطرح كلّ ما يخالفها من قول وعمل واعتقاد."

ويصوّب مالك بن نبي هذا التفكير وهذا الاختيار فيقول:" وإنه لتفكير سديد ذلك الذي يرى أن تكوين الحضارة كظاهرة اجتماعية إنّما يكون في الظروف والشروط نفسها التي ولدت فيها الحضارة الأولى، كان هذا صادرا عن عقيدة قوية، ولسان يستمد من سحر القرآن تأثيره، ليذكر الناس بحضارة الإسلام في عصوره الزاهرة."

لابدّ من عودة اتصال الفكر الإسلامي بالوحي وتفاعله معه ، ولابدّ من تقويم الواقع الإسلامي على أساس هديه، ولا بدّ أيضا من الاستفادة من التراث الإسلامي وخاصّة الاجتهاد الصائب الذي يمثل تجربة ثريّة للأجيال المسلمة يحسن استصحابها، وهذا ما يؤكده ابن باديس بقوله "لا نجاة لنا من هذا التيه الذي نحن فيه والعذاب المنوّع الذي نذوقه ونقاسيه إلا بالرجوع إلى القرآن ، إلى علمه وهديه وبناء العقائد والأحكام والآداب عليه و التفقه فيه وفي السّنة النبويّة شرحه وبيانه والاستعانة على ذلك بإخلاص القصد وصحّة الفهم و الاعتضاد بأنظار العلماء الرّاسخين والاهتداء بهديهم في الفهم عن ربّ العالمين ."

وما يلاحظ أنّ الدعوة إلى الرّجوع إلى القرآن والسنّة والسلف تأتي في أغلب كتابات ابن باديس مقرونة بالدعوة إلى الأخذ بأسباب الحياة والمدنيّة الرّاقية، ففي سياق بيان ابن باديس لدعوة العلماء يقول: "وإنّما يدعونها إلى الأعلام الهادية من كتاب الله وسنّة رسوله صلّى الله عليه وسلم وهدى السلف الصّالح من أمّته - رضي الله تعالى عنهم - يدعونها إلى

هذا في أمور دينها ويدعونها إلى مجاراة السّابقين في الحياة وأخذ حظّها موفورا من أسباب الحياة لتكون حيّة بدينها وحيّة في دنياها ولتكون سعيدة فيهما."

وهكذا يرى ابن باديس أن تمسك المسلمين بدينهم الصحيح، يحرّرهم من الجمود والتخلف ويدفعهم إلى العلم والعمل، حيث يتحركون في الأرض تعميرا وتطويرا وإصلاحا، ويوجّهون الحياة و المدنية وجهة أخلاقية راقية تنفع الإنسانيّة .كما يدعو إلى الانفتاح الحضاري المتبصر على ما عند الأمم الأخرى فيقول :"...ونحسّن ما كان من أخلاق الأمم حسنا وموافقا لحالنا وتقاليدنا ونقبله ، ونقبّح ما كان منها قبيحا أو مباينا لمجتمعنا وبيئتنا ونرفضه، فلسنا مع الجامدين في جمودهم ولا مع المتفرنجين في طفرتهم وتنطعهم ، والوسط العدل هو الذي نؤيّده وندعو إليه ..."

كان هدف ابن باديس هو السعي لإحداث نهضة شاملة في الجزائر، وكان حلمه الكبير إقامة مجتمع إسلامي يعيش مع القرآن، وينظم حياته وفق أخلاق القرآن، وكان سعيه الدائم من أجل تحقيق هذا الحلم هو إيجاد الظروف العلمية التي تساعد على بناء مشروع ثقافي تربوي، ينير حياة الأمة، ويعيد لها مجدها ويقظتها، ويبعث الحيوية في نفوس أفرادها، ويدفعهم إلى محاربة اليأس والجمود والغفلة لكي يشقوا طريقهم إلى النّهضة.

العودة إلى الإسلام الصحيح القرآن والسنة وهدي السلف الصّالح، وخدمة العروبة والتفتح على مدنية العصر والأخذ بأسباب الحياة من علم ولغة ومن أي جنس، كانت هي الشروط الضرورية لإحداث النهضة الشاملة التي تنقذ الجزائر من ظاهرة التخلّف ومن خطر التغريب كما يرى ابن باديس: "نعمل لصلاح الأمّة في دينها ودنياها على نور الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح، فتتمسك الأمّة بإسلامها وعروبتها وتحافظ على قوميتها وتاريخها وتتناول أسباب الحياة والتقدم من كلّ جنس وكلّ لغة وتعمل مع كلّ عامل لخير البشرية وسعادة الإنسان."

كان لابد للإصلاح أن يطهر العقيدة وأن يحرّر العقل وينوره، وأن يصحح السلوك ويهذّب الأخلاق لكي تستقيم حياة الجزائريين وحياة سائر المسلمين. وفي ذلك يقول ابن باديس: "وليس ما ندعو إليه ونسير على مبادئه من الإصلاح بالأمر الذي يخص المسلم الجزائري ولا ينتفع به سواه، كلاّ فإنّ صحّة العقيدة واستنارة الفكر وطهارة النّفس وكمال

الخلق وهذا هو الإصلاح كلّه، ممّا يشترك في الانتفاع به جميع المسلمين بل جميع بني الإنسان."

وما نخلص إليه: أن الحركة السلفية التي أقام دعائمها عبد الحميد بن باديس تدعو المسلمين إلى الرّجوع إلى صفاء الدّين كما أنزل وكما فهمه السلف الصالح وطبّقه، قبل أن تشوه صورته الانحرافات والأهواء والبدع، مع دعوتها إلى ضرورة الأخذ بأسباب الحياة الدنيوية ومواكبة أمم العصر في الرقي والعمران.

ب- المحافظة على مقومات الشخصيّة الجزائرية: إنقاذ الجزائر من أن تضيع من الإسلام كما ضاعت الأندلس تلك هي الغاية التّي جعلت ابن باديس يجمع روّاد الإصلاح عام 1928م ويستنفرهم لتوحيد الجهود في العمل قبل فوات الأوان. إنّ وضع الجزائر المتأزم لم يعد يحتمل السّكوت والسكون ولابد من تكثيف جهود الإصلاح وتوسيعها، قال ابن باديس مخاطبا العلماء:"أيها العلماء...أصبح من المعلوم لدى كلّ واحد أنّ العدوّ الاستعماري والصليبيّ قد اغتصب أرضنا ودفع شعبنا إلى السّكن في الكهوف ومغاور الجبال وأصبح شغله الشاغل إضعاف الشخصية الجزائرية سياسيّا في طريق القضاء على وجودها لتحلّ محلّها الشخصيّة الفرنسيّة. "

وابن باديس في هذا الاجتماع يضع العلماء في خطّ المواجهة مع الاستعمار، وتلك هي المسؤولية التي يجب أن يتحملوها، مشّبها يوم اجتماعهم هذا بذلك اليوم الذي وقف فيه طارق بن زياد خطيبا في جيش المجاهدين على ربوة جبل طارق بعد أن أحرق سفنهم التّي حملتهم إلى الجهاد في الأندلس وقال قولته المشهورة " أيّها النّاس أين المفرّ، البحر وراءكم والعدوّ أمامكم وليس أمامكم غير الموت أو النّصر."

وأمّا ابن باديس فقد قال للعلماء: "وأنا أقول لكم في هذا اليوم لم يبق لنا إلاّ أحد أمرين لا ثالث لهما: إمّا الموت والشهادة في سبيل الله منتظرين النّصر الذي وعد الله به عباده المؤمنين أو الاستسلام ومد أيدينا إلى الأغلال وإحناء رؤوسنا أمام الأعداء، فتكون النتيجة لا قدرّ الله أن يجري علينا ما جرى ببلاد الأندلس وغيرها من البلاد الإسلامية حين تركت الجهاد واستسلمت للأعداء."

قد يبدو من هذا الكلام أنّ ابن باديس اختار مواجهة الاستعمار بثورة شعبيّة أو انتفاضة مسلّحة، لكنّه في ذلك الوقت لم يكن يفكّر في ذلك، بل على العكس فضّل الخطّة

الدينيّة والمواجهة الثقافية لأنّه أدرك بنظرته العميقة لأهداف السياسة الاستعماريّة وتحليله الدقيق لأوضاع الجزائر، أنّ المحافظة على الذاتية الجزائرية بل إعادة بناء وبعث مقوّمات الشخصية الجزائريّة هو العمل الأساسي الأوّل والجهاد الأكبر الذي يجب أن يقوم به العلماء المصلحون، قال معلّلا هذا الاختيار"...اخترنا الخطّة الدينية على غيرها عن علم وبصيرة وتمسكا بما هو مناسب لفطرتنا وتربيتنا من النّصح والإرشاد وبثّ الخير والثبات على وجه واحد والسّير في خطّ مستقيم وما كنّا لنجد هذا كلّه إلاّ فيما تفرغنا له من خدمة العلم والدّين وفي خدمتهما أعظم خدمة وأنفعها للإنسانيّة عامّة ."

لقد اختار ابن باديس الخطّة الدّينية وذلك يعني تقديم القيام بالواجبات على المطالبة بالحقوق، الأمر الذي يقتضي البداية بتغيير الذات وتصفية الجبهة الدّاخلية من جميع الأمراض والانحرافات ومعالجة عوامل العجز والتخلف، لأجل ذلك كانت المحافظة على الهوّية الحضارية للمجتمع الجزائري، هدفا حيويّا ينسجم مع سنّة الله في التغيير (إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) الرعد: ١١ ، ويقتضي عملا شاقا متواصلا ، ولكنّه مثمر وعميق النّفع على خلاف العمل السياسي، غير مضمون العواقب، والذي يقوم على المطالبة بالحقوق فـ : "القائد الذي يقول للأمّة: إنّك مظلومة في حقوقك وإنّي أريد إيصالك إليها، يجد منها ما لا يجده من يقول لها: إنّك ضالة عن أصول دينك وإنّني أريد هدايتك، فذلك تلبيه كلّها وهذا يقاومه معظمها أو شطرها وهذا كلّه نعلمه ولكنّنا اخترنا ما اخترنا لما ذكرنا وبيّنا ."

رابط ابن باديس على ثغر الدّين والثقافة سبعا وعشرين سنة، ونشط في جميع ميادين الإصلاح: التربية والتعليم، الوعظ والإرشاد، الصّحافة، تكوين الجمعيات والنّوادي مع الاتصال الدائم بكل فئات الشعب.

ودخل عالم الصّحافة العظيم، ليعمّم نشر الدعوة الإصلاحية، بثّا للمبادئ الدّينية الصحيحة، وتصحيحا للعقائد الفاسدة وتقويما للأخلاق المعوّجة وفضحا لجميع الانحرافات الدينية والاجتماعيّة، ومقاومة للخرافات والبدع وحماتها المتعيشين عليها، المستغلين للأمّة، المستفيدين من جهلها وتخلفها باسم الدّين أو باسم السياسة.

وعلى صفحات جريدة المنتقد دافع عن الذاتية الجزائرية في أوّل عدد قائلا: "نحن قوم مسلمون جزائريون...فلأنّنا مسلمون نعمل على المحافظة على تقاليد ديننا التي تدعو إلى

كلّ كمال إنساني...وفي المحافظة على هذه التقاليد المحافظة على أهمّ مقوّمات قوميتنا وأعظم أسباب سعادتنا وهنائنا...ولأنّنا جزائريون نعمل للمّ شعث الأمّة الجزائرية وإحياء روح القوميّة في أبنائها وترغيبها في العلم النافع والعمل المفيد حتّى ينهضوا كأمّة لها حقّ الحياة والانتفاع في العالم وعليها واجب الخدمة والنفع للإنسانيّة."

ثمّ ظهرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لتكون أكبر تحدّ للعلماء وللأمّة يؤكد بقاء الجزائر عربية مسلمة، وكانت نهضة الأمّة أبلغ رد على غطرسة الاستعمار الذي احتفل عام 1930م بمرور قرن على احتلال الجزائر وموت الإسلام بها.

وكما كان الحفاظ على الإسلام وتجديده هدفا حيويّا من أهداف ابن باديس كذلك كان إحياء اللّغة العربيّة وترقيتها هدفا حيويا لأنّها تعرّضت مثل الدّين إلى اضطهاد شديد من قبل الاستعمار، وأوشكت أن تتلاشى بفعل التهميش والإقصاء وسياسة التجهيل والفرنسة.

وعلى هذا الأساس وجدنا جهود ابن باديس النظرية والعملية تصب كلّها في إعادة الفعالية الحضارية للغة العربيّة حتّى تصبح الأداة الأساسية في التفكير والكتابة والخطاب والتواصل بين الأجيال وهو يشير إلى هذا المعنى بقوله: "إنّ هذا اللّسان العربي العزيز الذي خدم الدّين، وخدم العلم وخدم الإنسان، هو الذي نتحدث عن محاسنه منذ زمان ونعمل لإحيائه منذ سنين. "

وقد بدا ذلك واضحا في حركة التربيّة والتعليم التّي بدأها في قسنطينة قبل الحرب العالمية الأولى ومن ثمّ انتشرت في سائر أنحاء الوطن وازدهرت بتأسيس جمعيّة العلماء وكان لهذه الحركة أثرها الكبير في تراجع مشروع الفرنسية وحصر مدّة وإضعاف تأثيره والتخفيف من حدّة الهجمة الفكرية الغربيّة على الشخصية الوطنية... ولعل من أبلغ ثمار هذه الحركة بروز نخبة هامّة من الأدباء والمفكرين الذين كوّنوا نهضة فكريّة وأدبيّة حملت راية اللّغة العربيّة.

عمل ابن باديس على إذكاء روح الوطنيّة وعلى توحيد الجزائريين وكان أوّل اهتمامه التركيز على وجود وطن للجزائريين له وجوده الحضاري المتميز عن فرنسا " إنّنا نحن فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة فوجدنا الأمّة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كلّ أمم الدّنيا، ولهذه الأمّة تاريخها الحافل بسجلات الأعمال

ولها وحدتها الدّينية واللغوية، ولها ثقافتها الخاصّة وعوائدها وأخلاقها ...ولها وطن محدود معيّن هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة...ثمّ إنّ هذه الأمّة الجزائرية الإسلاميّة ليست هي فرنسا ."

والوطنيّة التي يتحدث عنها ابن باديس تشمل حبّ الإنسان لبيته ثمّ حبّه لبلاده ثمّ حبّه للوطن الكبير وهو الإنسانيّة. وهي الوطنية الإسلامية العادلة " إذ هي التّي تحافظ على الأسرة بجميع مكوّناتها وعلى الأمّة بجميع مقوّماتها وتحترم الإنسانيّة في جميع أجناسها وأديانها."

وحتىّ يكون الجزائري وطنيّا يجب أن يحب وطنه وأن يسعى في خدمته وأن يخرج من أنانيته فـ: "إنّما ينسب للوطن أفراده الذين ربطتهم ذكريات الماضي ومصالح الحاضر وآمال المستقبل، والنّسبة للوطن توجب علم تاريخه والقيام بواجباته من نهضة علمية واقتصادية وعمرانية والمحافظة على شرف اسمه وسمعة بنيه فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه ولا سمعة لمن لا سمعة لقومه."

ونخلص إلى القول بأنّ العودة إلى الأصول المرجعية والمحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية كانت من الأهداف الكبرى لمشروع التجديد الإسلامي الذي أسس دعائمه ابن باديس وتبنته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

خلاصة:

نرى أنّ ابن باديس وجمعية العلماء سعوا إلى بعث مقومات الأمة الجزائرية على أساس متين من الرجوع إلى أصول الدّين القرآن والسنة، وعلى رؤية واضحة للوسائل التي تحقق نهضة الأمة الجزائرية وكان ذلك تحديّا واضحا للسياسة الاستعمارية في جميع أبعادها، وذلك كلّه كان نتيجة عن فهم صحيح للواقع الجزائري.

وقد عرضنا هذا الموضوع لاعتقادنا أنه يجب الاستفادة من تجارب الاصلاح الماضية واستلهام العبر منها، خاصة وأن الجهد الاصلاحي التجديدي لا يمكن أن يقوم به فرد أو مؤسسة ولا جيل واحد، بل ينبغي أن يرتد إلى جهد تراكمي منظم ومخطط له، تساهم فيه الأجيال المسلمة؛ لأنّ أزمة الأمة الإسلامية ليست أزمة جزئية أو بسيطة؛ ولكنّها أزمة حضارة برمتّها تواجه تحديّا غربيّا رهيبا، يهيمن على كافة مجالات الحياة ويعمل على إلغاء وجودها في جدليّة "الأنا والآخر" بالمنظور الغربي.

المصادر والمراجع:

1- عبد المجيد النجار، في فقه التدين فهما وتنزيلا، ج1، كتاب الأمة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، ط1،1410 هـ- 1989 م.

2- عبد الحميد بن باديس، (بواعثنا- عملنا- خطتنا- غايتنا)، السنة النبوية المحمديّة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دون طبعة، دون تاريخ، ع1 س1، 8 ذي الحجة 1351 هـ.

3- عبد الكريم بكّار، تجديد الوعي، دار القلم، دمشق، ط1، 1421 هـ-2000م.

4- عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة الجزائر، ط1، 1402هـ-1982م.

5- عبد الحميد بن باديس في نحو عام (أعمالنا وآمالنا)، الشهاب، مج2، س2، ع32، 11ذي الحجة 1344هـ، 24جوان 1926 م.

6- عبد الحميد بن باديس، الشهاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 ،1421هـ-2001م، مج 12ج8.

7- عبد الحميد بن باديس، الصراط السوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دون طبعة، دون تاريخ، س1، ع 9،11 شعبان 1352هـ -27 نوفمبر 1933م.

8- عبد الحميد بن باديس، بيان لا لبس فيه إجابة لصوت الواجب، المنتقد، قدّم لها وصحّحها عبد الهادي قطش دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دون طبعة، دون تاريخ، ع13.

9- عبد الحميد بن باديس، الشهاب، مج 11 ج 2.

10- عبد الحميد بن باديس، الشهاب، ج13 ج 5.

11- عبد الحميد بن باديس، الشهاب، مج 14ج1.

12- عبد الحميد بن باديس، الشهاب، مج13، ج3.

13- عبد الحميد بن باديس، الإصلاح أمس واليوم، الشهاب، مج11، ج12.

14- عبد الحميد بن باديس، الشهاب، مج7، ج1.

15-عبد الحميد بن باديس، الشهاب، مج4، س4، ع163.

16- عبد الحميد بن باديس، إلى علماء الزيتونة، الشهاب، مج12ج1، محرم1355هـ، أفريل1936م.

17- عبد الحميد بن باديس، شكوى الجزائر وبلواها، الشهاب، مج13، ج2.

18- عبد الحميد بن باديس، ليس الخبز كل ما نريد، الشهاب، مج 12، ج9.

19- فرحات عباس، ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب.

20- شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1982م.

21- محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية- نشأتها وتطوّرها - أعلامها من1903 م إلى1931م، مج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط،1398 هـ-1978م.

22-عبد الحميد بن باديس، البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ- 2005م، س4، ع71، 1939م.

23- عبد الحميد بن باديس، فاتحة السنة، الشهاب، مج13 ج1، 1 محرم 1356هـ-14مارس1937م.

24- محمد زرمان، الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الابراهيمي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الفكر الإسلامي الحديث، إشراف العربي دحو، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، معهد الدعوة وأصول الدين، السنة الجامعية: 1995/1994م.

25-عبد الحميد بن باديس، في بحر عام (أعمالنا وآمالنا)، الشهاب، مج2، ع32، ذي الحجّة 1344هـ، قسنطينة،24جوان 1926م.

26-مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق سورية، ط 4، 1407هـ – 1987م.

27- عبد الحميد بن باديس، خطاب رئيس جمعية العلماء الشهاب، مج9ج10، غرة جمادى الأولى1352 هـ، سبتمبر1933م.

28-عبد الحميد بن باديس، خطتنا -مبادينا -وغايتنا -وشعارنا، المنتقد، ع1، 11ذي الحجة 1343هـ، 2جوليت 1925م.

29- عبد القادر فضيل، الفكر التربوي الباديسي الحاضر الغائب، مجلة الوعي، ع 1، رجب - شعبان 1431هـ – جويلية 2010م.

30- عبد الحميد بن باديس، فاتحة العام الثاني من العقد الثاني، الشهاب، مج12.

31- محمد خير الدين، مذكرات، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، دون طبعة، دون تاريخ.

32-عبد الحميد بن باديس، حول تصريحات الوالي العام، الصّراط السوي، س1، ع15، قسنطينة8 رمضان1352هـ، 25ديسمبر1933م.

33- عبد الحميد بن باديس، نص التقرير الكامل التقرير الادبي، نقله من إلقاء الرئيس، محمد الغسيري ومحمد الصالح رمضان، البصائر، س4، ع 171، الجمعة جمادى الأولى 1358هـ – 23 جوان 1993م.

34- محمد زرمان، من معالم التغيير الحضاري عند ابن باديس، الموافقات، ع6، س1481هـ- 1997م.

35- عبد الحميد بن باديس، كلمة صريحة، الشهاب، مج 12، ج1، قسنطينة، غرّة محرم 1355هـ- أبريل 1936م.

36- عبد الحميد بن باديس، الحّق فوق كل أحد والوطن قبل كلّ شيء، الشهاب، مج 13ج 7، قسنطينة رجب 1356هـ، سبتمبر 1937م.

37- عبد الحميد بن باديس، الرجل المسلم الجزائري، الشهاب، مج 5، ج10، قسنطينة غرة جمادى الثانية 1348هـ- نفامبر1929م.

أ. عوادي زبير أستاذ بجامعة البويرة

الملخص:

أثبتت التجارب الطبية الحديثة أن لكل إنسان جينوماً يختص به دون سواه ، لا يمكن أن يتشابه فيه مع غيره ، أشبه ما يكون ببصمة الأصابع في خصائصها بحيث لا يمكن تطابق الصفات الجينية بين شخص وآخر حتى وإن كانا توأمين . ولهذا جرى إطلاق عبارة (البصمة الوراثية) للدلالة على تثبيت هوية الشخص أخذاً من عينة الحمض النووي ADN ، يرث الشخص شقاً منها عن أبيه والشق الأخر عن أمه. و بناء على هذا الاكتشاف العلمي طرحت عدة قضايا قانونية و شرعية حول حجية الاعتماد على هذه التقنية في مجال إثبات النسب أو نفيه بتحليل الجينات و تعارضها مع الفراش ، و بالخصوص في قضية اللعان ، جاء هذا البحث ليبين الموقف الشرعي و القانوني منها مع التكييف الفقهي لها .

Résumé :

Les analyses génétiques et les questions relatives aux conflits et à la malédiction

Desexpériences scientifiques modernes ont prouvé que chaque personne possède un génome qui lui propre, et qui ne peut pas être semblable à celui des autres, comme une empreinte digitale considérée comme l'une de ces propriétés .De sorte que les caractéristiques génétiques ne puissent pas correspondre à celles d'une autre personne, même si ' ils s'agissaient de jumeaux.

De ce fait, est venu le lancement de l'appellation : (empreinte génétique) pour désigner l'identité de la personne à partir d'un échantillon d'ADN, selon le modèle semi-conservatif une partie est héritée des gènes de son père et l'autre de sa mère

De multiples questions juridiques et celles relatives à la légitimité ont été soulevées sur la base de cette découverte scientifique à propos d'utilisation de cette technique dans le domaine de confirmation de la paternité et de l'interférence avec l'acte de mariage par l' analyse des gènes en particulier dans le cas d' Al-lian, cette recherche est venue pour

ABSTARCT :

Genetic analyzes and the issues of conflict and curse:

Modern scientific experiments have proven that each person has an own genome which cannot be similar to the others, like a digital fingerprint.Thereby, genetic features may not correspond to another person, even if they were twins.

Thus, the launch of the label: (genetic fingerprinting) to denote the identity of the person from a DNA sample in which a person inherited some of his father's genes and mother's too according to the semi-conservative model.

Multiple issues of legal and legitimate kind were raised on the basis of this scientific discovery about the use of this technique in the confirmation field of paternity and interference with the marriage certificate by the analysis of these genes in particular in the case of Al-Lian, this research came to show the legitimate and legal position with the adjustment of the laws of Islamic Law (the Chariya).

démontrer la position légitime et juridique avec son ajustement des lois de la Charia.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على إمام المرسلين :

فقد أثبتت التجارب الطبية الحديثة أن لكل إنسان جينوماً بشرياً يختص به دون سواه ، لا يمكن أن يتشابه فيه مع غيره ، أشبه ما يكون ببصمة الأصابع في خصائصها بحيث لا يمكن تطابق الصفات الجينية بين شخص وآخر حتى وإن كانا توأمين . ولهذا جرى إطلاق عبارة (البصمة الوراثية) للدلالة على تثبيت هوية الشخص أخذاً من عينة الحمض النووي والتي هي عبارة عن جينات الأحماض النووية المعروف باسم (ADN) ، يرث الشخص شقاً منها عن أبيه والشق الأخر عن أمه فينتج عن ذلك كروموسومات خاصة به لا تتطابق مع كروموسومات أبيه من كل وجه ، ولا مع كروموسومات أمه من كل وجه ، وإنما جاءت خليطاً منهما ، وبهذا الاختلاط اكتسب صفة الاستقلالية عن كروموسومات أي من والديه مع بقاء التشابه معهما في بعض الوجوه ، لكنه مع ذلك لا يتطابق مع أي من كروموسومات والديه ، فضلاً عن غيرهما .

و بناء على هذا الاكتشاف العلمي طرحت عدة قضايا قانونية و شرعية حول حجية الاعتماد على هذه التقنية في مجال إثبات النسب أو نفيه و تعارضها مع الفراش ، و بالخصوص في قضية اللعان ، و هل بالإمكان الاستغناء عنه و الاكتفاء بنتائج البصمة الجينية أم لا ؟ . اختلفت نظرة علماء الشريعة و رجال القضاء حول هذا الأمر ، سنحاول أن نتطرق إليها من خلال هذا البحث :

المبحث الأول : مفهوم البصمة الجينية و مجالات الاستفادة منها :

المطلب الأول : مفهوم البصمة الجينية :

أولا – المفهوم اللغوي :

البصمة لغة : مشتقة من البُصْم ، والبُصْم : فَوْتُ ما بين طَرَفِ الخِنْصِر إلى طرَف البِنْصِر ، يقال ما فارَقْتُك شِبْراً ولا فِتْراً ولا عَتَباً ولا رَتَباً ولا بُصْما ، فالبُصْم ما بين الخِنْصِر و البِنْصِر ، والعَتَب والرَّتَب ما بين الوَسط و السبَّابة ، و الفِتر ما بين السبَّابة و الإبهام ، والشِّبْرُ ما بين الإبهام و الخِنْصِر ، و الفوْت ما بين كل أُصْبُعَيْن طُولاً . وبصم بصماً ختم بطرف إصبعه ، والبصمة أثر الختم بالإصبع ، فالبصمة عند الإطلاق يراد بها بصمات الأصابع ، وهي الانطباعات التي تتركها الأصابع عند ملامستها سطحا مصقولاً .

و الجينية : نسبة إلى الجينات . أو الوراثية : نسبة إلى الوراثة .

ثانيا – المفهوم الاصطلاحي :

ذكر العلماء عدة تعاريف متقاربة في المعنى منها :

تعريف المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة حيث عرفها بأنها : " البنية الجينية التي تدل على هوية كل إنسان بعينه " .

و قريب منه تعريف ندوة الوراثة و الهندسة الوراثية .

- و قيل هي : " عبارة عن النمط الوراثي المتكون من التتابعات المتكررة خلال الحامض النووي ، و هذه التتابعات تعتبر فريدة و مميزة لكل شخص " .

- و قيل هي : " صورة لتركيب المادة الوراثية الحاملة للعوامل الوراثية ... أو بمعنى أدق هي صورة تتابع النيوكليوتيدات التي تكون جزيء الحامض النووي الوراثي (ADN) " . و التعريف الأخير أدق هذه التعاريف و أنسبها .

المطلب الثاني : مجالات العمل بالبصمة الجينية :

من خلال الدراسة المستفيضة التي قام بها العالم الانجليزي " إليك جيفري " عالم الوراثة بجامعة لستر بلندن تبين أن لكل شخص بصمة وراثية خاصة به تميزه عن الآخرين ، و منذ أن سجل اختراعه عام 1985 م و سماه " البصمة الوراثية " لقي هذا الاكتشاف صدى إيجابيا و قبولا كبيرا لما حمله من وسائل التحقيق و التثبت التي لا يوازيها أي وسيلة ، بل أنشئت مخابر خاصة بالبصمات الجينية ، و تكونت فرق علمية في هذا المضمار.

و يرى المختصون في المجال الطبي و خبراء البصمات أنه يمكن استخدام البصمات الوراثية في مجالات كثيرة ، ترجع في مجملها إلى مجالين رئيسين هما :

1- مجال النسب :

ذلك أن البصمة الجينية مبنية على أساس أن العوامل الوراثية في الابن لابد أن يكون أصلها مأخوذا من الأب و الأم ، و بناء على ذلك يمكن أن تؤكد يقينيا نفي نسب الولد عن رجل ما أو تثبتـه ، و من بين الحالات التي يتطلب فيها الفصل في النسب ما يأتي :

- حالات تبديل المواليد في المستشفيات حيث يحدث الخلط العمدي أو التهاون .
- الحالات التي يدعي فيها رجل فقدان ابنه منذ فترة طويلة .
- الحالات التي تدعي فيها المرأة نسب مولودها لرجل معين لإجباره على الزواج بها أو طمعا في الميراث أو النفقة .
- الحالات التي يدعي فيها رجلان نسب الولد المجهول النسب و اللقيط .

- حالات التنازع بين رجلين على مولود من امرأة زوجة أحدهما و مطلقة من الآخر.
- عند اختلاط النسب لأطفال الأنابيب عند التلقيح الاصطناعي .
- حالات تحديد هوية الجثث المتفهمة أو المتقطعة بسبب التفجيرات أو الكوارث الطبيعية .
- كذا في حالة عودة الأسرى و المفقودين بعد غياب طويل .

2- المجال الجنائي :

و هو مجال واسع يدخل ضمنه الكشف عن هوية المجرمين في حالة ارتكاب جريمة قتل أو اغتصاب أو سرقة ، و في حالات الاختطاف بأنواعها ، و في حالة انتحال شخصية الغير ، و نحو هذه المجالات الجنائية .

المطلب الثالث : أنواع العينات المحتوية على البصمة الجينية :

تعتمد البصمة الوراثية على جمع عينات بيولوجية من جسم الإنسان مثل عينات الدم ، فضلات الشعر شرط وجود البصيلات فيها ، جزء ضئيل من الأظافر ، اللعاب ، المني ، الإفرازات المهبلية الجافة أو أي نسيج بشري .

- السائل المنوي : يعد مصدرا مهما لأغراض كشف جرائم العرض بصفة عامة سيما جريمة الاغتصاب
- اللعاب : يحتوي على مواد خلوية و يمكن استخلاصه من كميات قليلة من هذه العينة التي قد تكون موجودة على الجلد الآدمي نتيجة العض أو التقبيل أو اللعق .
- عينات الإفرازات الأنفية المخاطية : و التي قد توجد على الاشياء مثل الملابس الخاصة بطفل مفقود أو المناديل الموجودة بمسرح الجريمة و المستعملة من قبل الجاني .
- الأنسجة بجميع أنواعها : مثل الخلايا الجلدية
- الشعر : فهو مصدر مهم كذلك ، ذلك أن معظم الحمض النووي يوجد في بصيلة الشعر ، أي الجذور و الخلايا الموجودة بالغلاف المحيط .
- العظام :و أفضل العظام التي يصلح فحصها للحصول على الحمض النووي هي الأسنان .

المطلب الرابع : خصائص البصمة الجينية :

تتميز البصمة الجينية عن غيرها من الأدلة البيولوجية بجملة من الخصائص أهمها :

1- عدم التوافق و التشابه بين فرد و آخر ، فمن المستحيل أن تتطابق بصمة شخص للآخر إلا في حالة التوائم المتماثلة .

2- تعتبر البصمة الوراثية أدق وسيلة عرفت حتى الآن في التعرف على هوية الشخص إذ أن نتائجها قطعية لا تقبل الظن .

- البصمة الجينية لا تتغير من مكان لآخر في جسم الإنسان ، بل البصمة الموجودة في أي جزء تطابق البصمة الموجودة في جزء آخر.

3- قدرة الحمض النووي على مقاومة الظروف و التلوثات البيئية السيئة ، إذ أنه يقاوم عوامل التحلل و التعفن لفترات طويلة جدا ، فلا تتغير البصمة الوراثية مع مرور الزمن مما يساعد في التعرف على صاحبها حتى بعد وفاته بسنوات .

4- البصمة الجينية من الناحية العلمية وسيلة لا تخطئ في التحقق من الوالدية البيولوجية أو التحقق من الشخصية ، و الخطأ ليس واردا من حيث هي ، و إنما الخطأ إن حصل فبسبب الجهد البشري .

المبحث الثاني : إثبات النسب أو نفيه بالبصمة الجينية :

نظرا لتشوف الشارع إلى ثبوت النسب و إلحاقه بأدنى سبب ، فإن الأخذ بالبصمة الجينية في مجال إثبات النسب في الحالات التي يجوز فيها الحكم بثبوت النسب بناء على قول القافة ، أمر ظاهر الصحة و الجواز ، و ذلك لأنه إذا جاز الحكم بثبوت النسب بناء على قول القافة لاستنادها على علامات ظاهرة أو خفية مبنية على الفراسة و المعرفة و الخبرة في إدراك الشبه الحاصل بين الآباء و الأبناء ، فإن الأخذ بنتائج الفحص الجيني ، و الحكم بثبوت النسب بناء على قول الخبراء أقل أحواله أن يكون مساويا للحكم بقول القافة إن لم تكن البصمة أولى بالأخذ بها ، و الحكم بمقتضى نتائجها من باب قياس الأولى .

المطلب الأول : التكييف الفقهي للبصمة الوراثية :

ذهب العلماء المعاصرون إلى اعتبار البصمة الوراثية طريقا من طرق إثبات النسب من حيث الجملة و اختلفوا في التكييف الفقهي لها ، حيث ذهبوا فيها إلى ثلاثة مذاهب :

- **القول الأول** : يرى أن البصمة الوراثية قرينة ظنية ، لا ترقى إلى مستوى القرائن القطعية لأنها عرضة للخطأ ، فهي ليست من البينات المعتبرة شرعا في إثبات النسب ، بل هي قرينة تخضع لتقدير المحكمة ، و هذا الرأي معمول به في عدد من المحاكم في الدول العربية ، و قال به البعض منهم القاضي وليد العاكوم من لبنان ، و وهبة الزحيلي ، و عمر السبيل .

- **القول الثاني** : يرى أن البصمة الوراثية قرينة قطعية ، و هو قول أكثر المعاصرين منهم مفتي مصر سابقا الدكتور نصر فريد واصل ، و علي محي الدين القرة داغي ، و محمد

الأشقر ، و محمد رأفت عثمان ، و عبد القادر خياط ، و الخبيرة فريدة الشمالي ، و هو الرأي الذي تبنته المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية في دورتها المنعقدة بالكويت .

- **القول الثالث** : يرى أن البصمة الوراثية بينة مستقلة أو دليل مباشر ، يثبت بها الحكم نفيا أو إثباتا ، إذا توافرت الشروط اللازمة . و هذا قول بعض الباحثين منهم إبراهيم عثمان ، و عبد الرشيد قاسم ، و عباس أحمد الباز.

الأدلة :

أولا – أدلة القول الأول :

استدل القائلون بأن البصمة الوراثية قرينة ظنية بمايلي :

1- إن النظريات العلمية الحديثة مهما بلغت حدا من الدقة و الجزم بصحتها في نظر المختصين إلا أنها تظل محل شك و نظر ، فقد أثبت التقدم العلمي بطلان بعض النظريات كانت إلى زمن قريب من المسلمات ، و ما يدرينا لعل المستقبل يكشف ما يبطل العمل البصمة الجينية ، و هذا الاحتمال يقلل من اعتبارها .

المناقشة : و يجاب على هذا الدليل بأنه مجرد احتمال لا يرقى إلى درجة الشك في مصداقية التحاليل الجينية و ما تفرزه من نتائج ، و العمل بالبصمة الوراثية قد تجاوز حد النظرية إلى مرحلة التطبيق ، و هي حقيقة علمية بكل المقاييس ، و معمول بها في جميع بلدان العالم .

2- إن صيغة التقارير الطبية الواردة من المختبرات البيولوجية حيث يجرى تحليل الجينات يدون عليها عبارة : " لا يستبعد أن يكون فلان أبا لهذا الولد " أو " يستبعد أن يكون فلان أبا لهذا الولد " و هذه الصيغ توحي بالشك و عدم اليقين من النتيجة ، مما يعني أنها ليست قطعية .

المناقشة : اعترض على هذا الاستدلال بأن القصد من كلمة " يمكن استبعاده " أو " لا يمكن استبعاده " اليقين لا الاحتمال ، و هذا مصطلح دارج في المختبرات القائمة بفحوص البنوة عالميا .

3- إن رفض تحاليل الحمض النووي في قضايا النسب لأنه غير معترف بها شرعا ، و أن الأدلة الشرعية هي الإقرار و الشهود و فراش الزوجية ، إضافة إلى أن القائمين على التحاليل ذاتها لم يصلوا فيها إلى درجة اليقين .

المناقشة : و اعترض عليه بأنه لا يوجد نص يمنع من هذه الطرق ، كما لا يوجد في استخدامها ما يعارض القرآن و السنة ، بل إن في هذه التحاليل ما يجعل الطب في محراب الإيمان ، و يزيد الإيمان بقدرة الله تعالى التي لا ينكرها إلا كافر معاند ، و قد أصبحت هذه التحاليل يقينية و صارت أدلة معترف بها عالميا .

ثانيا – أدلة القول الثاني :

استدل القائلون بأن البصمة الوراثية قرينة لأنها دليل مادي فني يعتمد على الحس ، فيمكن تكييفها شرعا بأنها من القرائن ، و التي ذهب فريق من العلماء إلى قبولها كدليل في الإثبات . أما الدليل على مشروعيتها فهي نفس الأدلة التي يستدل بها على العمل بالقرائن عموما و منها :

- قوله تعالى في قصة يوسف – عليه السلام : (و شهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قدّ من قبل فصدقت و هو من الكاذبين و إن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت و هو من الصادقين فلما رأى قميصه قدّ من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم) .

وجه الدلالة : أن الله تبارك و تعالى جعل شق الثوب أمارة على صدق أحد المتنازعين و كذب الآخر ، و به ظهرت براءة نبيه يوسف عليه السلام و مكيدة زوجة عزيز مصر ، و في هذا دليل على مشروعية العمل بالقرائن و القضاء بها بما فيها البصمة الوراثية .

ثم استدلوا على أن البصمة الوراثية قرينة قطعية الدلالة من الكتاب و الواقع العملي :

أ- الكتاب :

- قال الله تعالى : (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله) .

وجه الدلالة : أمر الله تعالى أن ينسب الولد لأبيه الحقيقي (الأب البيولوجي) و في قوله تعالى : (فإن لم تعلموا آباءهم) حث على البحث و التحري ، و البحث يكون بمختلف الوسائل و القرائن ، و قد كشف الله لنا في هذا العصر الوسيلة التي يمكن بها أن نتحقق من الأبوة فوجب العمل بها عملا بمقتضى الأمر الإلهي الوارد في الآية .

المناقشة : و اعترض عليه بأنه سيفضي إلى شر عظيم ، حيث سيقدم كل من شك في أهله إلى طلب إجراء التحاليل ، و هذا يهدد كيان الاسر و يؤدي إلى فساد العلاقات الزوجية .

ب- الواقع العملي :

- إن قوة الدليل في هذه التحاليل تصل إلى نسب قطعية في النفي و الإثبات ، و أن هذه التقنيات الحديثة في مجال الفحوصات المخبرية تقطع الشك باليقين في كثير من الحالات ، و

الخطأ فيها اصبح مستحيلا ، و نسبة النجاح فيها 100 % بدليل أن المحاكم الغربية في أروبا و أمريكا تاخذ بالبصمة الجينية على أنها قرينة في النفي و الإثبات ، فما المانع من الاخذ بها خاصة و أن فيها مزيدا من الضمانات للمتهمين .

المناقشة : يشترط للأخذ بالبصمة الجينية كدليل قطعي شيوعها و انتشار العمل بها ، لأنها لو استمرت عزيزة نادرة ما حازت الرضا و القبول عند الناس و لاشك أن رضاهم معتبر لاستقرار الحقوق و القبول العام بها من أهل الاختصاص . فالإثبات بواسطة « ADN »يشكل قرينة واقعية بسيطة لا تتمتع بقوة ثبوتية أعلى و أقوى من القوى الثبوتية التي تتمتع بها سائر وسائل الإثبات ، و هي بذلك لا تقيد حكم القاضي الذي يبقى حرا في اعتمادها أو رفضها « .

أدلة القول الثالث :

استدل أصحاب هذا الرأي على أن البصمة الوراثية بينة مستقلة بمايلي :

1- لم يرد في الشرع ما يقيد البينة بالشهادة و الإقرار فقط ، بل كل ما أظهر الحق و كشفه فهو بينة .

قال تعالى في قصة موسى – عليه السلام – مع فرعون : (قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين و نزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين) .

وجه الدلالة : قال ابن القيم – رحمه الله : " البينة اسم لكل ما يبين الحق و يظهره ، و من خصها بالشاهدين أو الأربعة أو الشاهد و المرأتين لم يوف مسماها حقه ، و لم تأت البينة قط في القرآن مرادا بها الشاهدان ، و إنما أتت مرادا بها الحجة و الدليل و البرهان " .

2- بما أن القرينة في الاصطلاح تعني : " استنباط واقعة مجهولة من واقعة معلومة " فهذا التعريف لا ينطبق على فحص الحمض النووي ، لأنه ليس واقعة مجهولة مستنبطة من واقعة معلومة ، بل هو فحص لسوائل و أنسجة جسم الإنسان مباشرة ، و عليه تكون البصمة الجينية دليلا مباشرا و ليست قرينة .

الترجيح :

الذي يظهر لي – و الله أعلم – رجحان القول الثالث ، للدواعي التالية :

1- اعتبار البصمة الوراثية قرينة من القرائن ضعيف ، لأن مفهوم القرينة لا ينطبق على حقيقة البصمة الوراثية .

2- عدم حصر الشريعة الإسلامية للأدلة و البينات ، بل تشمل كل ما يظهر الحق و يبينه ، و البصمة الوراثية من أحسن الوسائل التي تظهر الحق و تبينه بما لا يدع مجالا للشك .

3- إن احتمال الخطأ في الفحص الجيني لا يمنع من اعتبار البصمة الوراثية دليلا مستقلا لإثبات النسب ، فالحقائق العلمية لا تكذب ، و إنما منشأ الخطأ – إن وجد – من الجهد البشري ، و يمكن تفاديه بإجراء التحاليل في مخبرين مختلفين أو من فريقين طبيين مختلفين فإذا تطابقت النتائج فلا مانع من الأخذ بها .

يقول ابن القيم – رحمه الله : " و جواز التخلف عن الدليل و العلامة الظاهرة في النادر لا يخرجه عن أن يكون دليلا عند عدم معارضة ما يقاومه ، ألا ترى أن الفراش دليل على النسب و الولادة ، و أنه ابنه ، و يجوز – بل يقع كثيرا – تخلف دلالته ، و تخلق الولد من غير ماء صاحب الفراش ، و لا يبطل ذلك كون الفراش دليلا " .

- إذا اعتبرنا القيافة دليلا من أدلة إثبات النسب ، و هي ظنية ، تخضع للحدس و النظر في الصفات الظاهرة ، و قد يختلف قول قائف عن آخر ، فمن باب الأولى اعتبار البصمة الجينية دليلا ، خصوصا أن نتائجها صادقة لا تخطئ ، جازمة لا تقبل الظن و التخمين ، و القطعي في جميع الاحوال مقدم على الظني .

المطلب الثاني : مكانة البصمة الوراثية بين أدلة ثبوت النسب :

اتفق العلماء على اعتبار الفراش و الإقرار و البينة أدلة لإثبات النسب ، و اختلفوا في الاعتداد بالقيافة و القرعة ، كما ذهب جل المعاصرين إلى العمل بالبصمة الجينية كوسيلة من هذه الوسائل ، غير أنهم اختلفوا في تحديد موقعها بالنسبة للأدلة الأخرى ، و عند التعارض هل تقدم البصمة الوراثية على باقي الأدلة الشرعية أم لا ؟

سنتطرق لمناقشة ذلك من خلال هذا المطلب :

الرأي الأول : إن البصمة الجينية تأخذ حكم القيافة ، و تقدم عليها الأدلة الشرعية المتفق عليها من فراش و إقرار و بينة عند التعارض ، لأن هذه الأدلة أقوى في تقدير الشرع ، و تقدم البصمة الوراثية على القيافة لأنها أدق منها ، و على القرعة من باب أولى . و هذا رأي فريق من الباحثين منهم : نصر فريد واصل ، و وهبة الزحيلي ، و ناصر الميمان ، و عمر السبيل ، و محمد الأشقر ، و محمد السلامي ، و علي القرة داغي .

الرأي الثاني : ذهب إلى تقديم البصمة الوراثية على الأدلة الشرعية الأخرى عند التعارض ، لأنها تحقق ما تحققه الأدلة الأخرى و زيادة ، و من القائلين به : بندر السويلم ، و إبراهيم عثمان ، و سعد الدين الهلالي ، و عبد القادر خياط ، و غنام غنام .

الأدلة :

أدلة القول الأول :

استدل أصحاب هذا الرأي بالكتاب و السنة و المعقول :

أ- الكتاب :

1- قوله تعالى : (و الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة و على المولود له رزقهن و كسوتهن بالمعروف) .

وجه الدلالة : أن الله – عز وجل – نسب الأولاد للأمهات للقطع بولادتهن لهم ، بخلاف الآباء ، فقد عبّر عنهم بقوله - سبحانه : " و على المولود له " لأن المولود له قد يكون أبا حقيقيا ، و قد يكون أدخل في نسبه زورا و بهتانا ، لكن لما ولد على فراشه نسب إليه إعمالا للاصل و إطراحا لما سواه . إذ الأصل أن ينسب الولد لصاحب الفراش مباشرة دون تقص أو بحث لقيام الزوجية و إمكان الدخول .

المناقشة : الجواب على ذلك فيما ذكره أهل التفسير أن الله تعالى نبه الرجال إلى أن النساء ولدن الأولاد لهم فوجب رعاية مصالحهم و النفقة عليهم ، و لأجل ذلك ينسبون إليهم و يلحقون بهم .

2- قوله تعالى : (و لا تكتموا الشهادة و من يكتمها فإنه آثم قلبه و الله بما تعملون عليم) .

3- و قوله أيضا : (و أشهدوا ذوي عدل منكم و أقيموا الشهادة لله) .

وجه الدلالة من الآيتين : أن الله - سبحانه – أمر بإقامة الشهادة و أدائها ، و نهى عن كتمانها ، و تقديم البصمة الوراثية على الشهادة نوع من التعطيل و الكتمان الذي نهينا عنه ، فلا شك من بطلانه ، ثم إن الشهادة معمول بها منذ عهد النبي – صلى الله عليه و سلم – و النصوص القرآنية و النبوية و الإجماع شاهدة بحجتها بخلاف البصمة الوراثية .

ب- السنة النبوية :

عن عائشة – رضي الله عنها - قالت : " كان عتبة بن أبي وقاص عهد إلى أخيه سعد بن أبي وقاص أن يقبض ابن وليدة زمعة ، قال عتبة : إنه ابني ، فلما قدم رسول الله – صلى الله عليه و سلم – زمن الفتح ، أخذ سعد ابن وليدة زمعة فأقبل به إلى النبي – صلى الله عليه و

سلم – و أقبل معه عبد بن زمعة ، فقال سعد : يا رسول الله هذا ابن أخي عهد إلي أنه ابنه ، فقال عبد بن زمعة : يا رسول الله : هذا أخي ابن وليدة زمعة ولد على فراش أبي ، فنظر رسول الله – صلى الله عليه و سلم – إلى ابن وليدة زمعة فإذا هو أشبه الناس بعتبة ، فقال رسول الله – عليه الصلاة و السلام – هو لك يا عبد بن زمعة ، الولد للفراش و للعاهر الحجر ، و احتجبي منه يا سودة بنت زمعة ، قالت : فلم ير سودة قط " .

وجه الدلالة : دل الحديث بمنطوقه على إثبات النسب بالفراش مع وجود ما يخالف ذلك ، و هو شبه الغلام البين بغير صاحب الفراش ، و لم يعتد النبي – صلى الله عليه وسلم – به ، و دليل الشبه يعتمد على الصفات الوراثية ، فهو أشبه بالبصمة الوراثية ، و مع ذلك لم يقو على معارضة الأصل الذي هو الفراش .

المناقشة :

حكم رسول الله – صلى الله عليه و سلم – بنسب الولد لصاحب الفارش عملا بالظاهر ، أما الشبه فهو أمر ظني محتمل لا يقوى على معارضة الفراش ، و مع ذلك احتاط النبي – صلى الله عليه و سلم – فرتب على الشبه حكما ، و هو احتجاب سودة عنه ، و الأخت لا تحتجب عن أخيها ، فالحديث حجة عليهم لا لهم .

ج- المعقول :

1- قالوا إن الطرق التقليدية – الفراش و الإقرار و البينة – هي طرق شرعية ثابتة بنصوص شرعية ، و أجمعت عليها الأمة من عهد الصحابة إلى يومنا هذا ، فكيف يسوغ تقديم اختبار البصمة الوراثية عليها الذي لا يزال حتى الآن في طور التجربة ، و قد يعتريه الخلل من الناحية الفنية أثناء إجراء التحليل . ثم إن الأحكام الثابتة لا يجوز إبطال العمل بها إلا بنص شرعي ناسخ ، و هذا غير ممكن لأنه انتهى عهد التشريع و استقرت الأحكام .

المناقشة :

إن تقديم العمل بالبصمة الوراثية على باقي الأدلة لا يبطلها و لا يلغيها ، و ليس خرقا للإجماع ، بل غاية ما في الأمر تقديم القطعي على الظني .

2- إن عمدة جواز العمل بالبصمة الجينية هو قياسها على القيافة ، فغاية ما في الأمر أن تأخذ حكمها و تقع في منزلتها .

المناقشة :

قياس البصمة الوراثية على القيافة قياس مع الفارق البيّن بينهما لأسباب :

أ- أن البصمة الوراثية قائمة على أساس علمي محسوس فيه دقة متناهية ، و الخطأ فيها مستبعد جدا ، بخلاف القيافة و التي تقوم على الفراسة ، و هي مبنية على غلبة الظن ، و الخطأ فيها وراد ، فالفرق كبير بين ما هو قطعي محسوس و ما هو ظني محتمل .

ب- أن العمل بالقيافة محصور في مجال الانساب بخلاف البصمة الجينية تتعداها إلى مجالات أخرى كاثبات الجرائم و تحديد هوية المفقود ...

ج- أن القيافة تعتمد على الشبه الظاهر في الاعضاء بينما البصمة الوراثية تعتمد على تحليل الجينات .

د- أن القافة يمكن أن يختلفوا ، بل و العجيب أنه بامكانهم أن يلحقوا الطفل بأبوين لوجود الشبه فيهما ، أما البصمة الجينية فلا يمكن أن يلحق الولد بغير أبيه أبدا إلا إذا وقع خطأ في التحليل أو تزوير في النتائج ، فمن المستبعد تماما أن تختلف نتائج الفحوصات الجينية و لو قام بها أكثر من خبير.

أدلة القول الثاني :

استدل أصحاب هذا المذهب بالكتاب و بالمعقول :

أ- الكتاب :

- قوله تعالى : (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات و الهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب) .

وجه الدلالة : إن ما تقدمه تقنية البصمة الوراثية من دقة في كشف الحقيقة و معرفة الأب الحقيقي في قضايا نزاع النسب يفوق بدرجات الوسائل التقليدية الظنية ، و القطع يقدم على الظن ، فكيف لنا أن لا نأخذ بهذه الحقيقة و نكتم ما أظهره الله من الحق ؟ .

ب- المعقول :

1- إن البصمة الوراثية أقوى بكثير من القرائن حتى من الشهادة التي تحتمل الصدق و الكذب و حتى من الإقرار ، ذلك أن البصمة الجينية دليل مادي يعتمد العلم و الحس ، يقوم على التسجيل الذي لا يقبل العود و الإنكار ، بخلاف غيرها الذي يعتمد على الذمم و يقبل العود و الإنكار ، لذلك تصلح أن تكون مانعا من قبول طرق الإثبات التقليدية دون العكس .

المناقشة :

إن الأدلة الشرعية تلقتها الأمة بالقبول سلفا و خلفا و استمر العمل بها منذ عهد النبوة فكيف يسوغ تقديم البصمة الوراثية عليها ؟ ، و تجويز مثل هذا الرأي سيفضي في

النهاية إلى إلغاء جميع النصوص الشرعية و استبدالها بالأدلة الفنية الحديثة . فكلما استجد دليل جديد في هذا العصر ساغ للبعض تكييفه وفق منظوره الشخصي ، و كأن المسألة هي سبق اجتهادات و هذا ليس بالصواب . ذلك ان مثل هذا القول يؤدي إلى استبدال الإقرار بالبصمة الصوتية و استبدال اللعان بتحليل الجينات و استبدال حلف اليمين بجهاز كشف الكذب ... إلى أن يقضى على جميع النصوص الفقهية الصريحة و التي لا يكاد يشك فيها مسلم عاقل .

2- لقد اعتبر الشارع الحكيم الشهادة دليلا من أدلة الإثبات الشرعية مع أنها ظنية الدلالة لاحتمال الوهم و الخطأ و حتى الكذب من الشهود ، و ذلك حفظا لحقوق العباد . و نتائج فحص البصمة الجينية شهادة أجسامهم عليهم ، إذ يشهد الشاهد الصامت و هو دمه أو سوائله أو أنسجة جسمه حسب الحال و لاشك انها تعتمد على قواعد علمية ثابتة يمكن الجزم بالحكم من دون تاثر بالعواطف .

قال ابن القيم – رحمه الله : " و الشبه نفسه بينة من أقوى البينات ، فإنها اسم لما يبين الحق و يظهره ، و ظهور الحق ههنا بالشبه أقوى من ظهوره بشهادة من يجوز عليه الوهم و الغلط و الكذب ، و أقوى بكثير من فراش يقطع بعدم اجتماع الزوجين فيه " .

3 - إن وسائل إثبات النسب ليست أمورا تعبدية حتى نتحرج من تقديم البصمة الوراثية عليها ، و لن نهملها في الحقيقة لأنها حيلة المقل ، فإن لم تتيسر الإمكانات لتعميم العمل بفحوصات البصمة الجينية فليس أمامنا بد من الاستمرار في تلك الوسائل المعروفة .

المناقشة :

الاحتجاج بأن الادلة الشرعية " التقليدية " ليست تعبدية ، هذا قول ليس بصحيح ، ذلك أن أغلب أحكام الشرع تعبدية كاستقبال القبلة و قصر الصلاة في السفر و لبس ملابس الإحرام .. و ليس لمؤمن و لا لمؤمنة أن يختار بعد قضاء الله و قضاء رسوله ، و من تخير فقد ضل ضلالا مبينا .

الرد على الاعتراض :

هذا قياس غريب بعيد ، لا يعقل أن يقاس وسائل إثبات النسب على القصر و استقبال القبلة و لبس الإحرام .. هذه تعبدية بحتة الغرض منها الامتثال و الانقياد ، و هذه طرق جعلها الشارع للحفاظ على نسب الإنسان . و الاستعانة بالبصمة الوراثية من صميم

مقصد الشارع و تحقيق لما يصبو إليه من المحافظة على الأنساب و الحرص على أن ينسب كل شخص إلى أبيه الحقيقي .

الترجيح :

أعتقد أنه ليس من المعقول شرعا و لا عقلا الاستغناء عن العمل بالبصمة الجينية في حالات إثبات النسب خاصة أنها دليل علمي عملي فعال و قطعي ، مع العمل أيضا بالأدلة الشرعية الأخرى خاصة الفراش ، أما عند التعارض بينها فالذي يظهر لي بعد المناقشة لأدلة الفريقين التفصيل في المسألة على النحو التالي :

1- تقديم البصمة الوراثية على القيافة و القرعة :

و الحقيقة أنه لم يعد في عصرنا مجال للعمل بالقيافة و لا بالقرعة ، فقد أغنانا الله تعالى بدليل أقوى منها ، إلا أن نكون في مجتمع بسيط متخلف مثل بعض المجتمعات المسلمة في افريقيا السوداء مثلا حيث لا توجد مخابر و لا تتوفر التقنيات و لا اليد العاملة المؤهلة لذلك ، فليس لنا بد من الاستعانة بهذه الطرق التقليدية البسيطة إذا تحتم الأمر . أما إذا أمكن إجراء فحص البصمة الوراثية فيصار إليه مباشرة . و لا خلاف بين المعاصرين - فيما بحثت فيه - حول تقديم البصمة الوراثية على القيافة و على القرعة .

2- تقديم البصمة الوراثية على الإقرار و الشهادة :

لأن الإقرار من الأدلة الظنية المحتملة للصدق و الكذب ، و لا يمكن قياس درجة صدق المقر ، و كثيرا ما ترد المحاكم أنوعا من الإقرار ، كقيام الإقرار على الإكراه أو المحاباة أو لدرء الضرر .. و قد نص الفقهاء على عدم الاعتداد بالإقرار إن كان الواقع يكذبه كمن أقرّ بالولد و هو لا يولد لمثله ، أو من ولد بمكان بعيد و لم يسبق للمستلحق (بكسر الحاء) أن التقى بالمستلحق (بفتح الحاء) لأن هذا فيه تكذيب للشرع و الحس . ففي مثل هذه الحالة يلجأ إلى البصمة الجينية فإن جاءت التحاليل مؤكدة صحة الإقرار عمل به ، و إن جاءت نافية قدمت البصمة الوراثية لأنها الحق ، و يكون إقرار الرجل بولد ما باطلا .

ومثله يقال في الشهادة ، فمن الناحية العملية و الواقعية يصعب تصور إثبات النسب بأقوال الشهود ما عدا الشهادة على ولادة الأم ، فما يمكن أن يقدمه الشاهد في أحسن الاحوال عبارة عن ظروف ظاهرية شاهدها أو سمعها . و بالإضافة إلى ذلك فإن الشهادة تتأثر بالجوانب الخلقية و الخلقية و العاطفية للشاهد ، كسرعة النسيان و ضعف الإبصار ، و الخوف أو المحاباة ، أو شهادة الزور ، كما يصعب التأكد من صدق الشهود ، فإذا

تعارضت شهادة الشهود مع نتيجة تحليل البصمة الوراثية قدّمت البصمة الوراثية شريطة أن نتيقن من صحة النتائج و عدم وقوع خطأ أو تزوير فيها .

و تقديم البصمة الجينية على الإقرار و الشهادة مرجعه إلى سببين رئيسيين هما :

1- تقديم القطعي على الظني ، فليس من المعقول أن نكذب الحقائق العلمية و ننكرها و نصدق أقوال رجال لا ندري حالهم و لا نعلم عدالتهم ، فإن كانوا مؤمنين صادقين جاءت نتيجة الفحص شاهدة لصدقهم ، و إن كانوا كاذبين فضحتهم و أبطلت زورهم .

2- لعموم البلوى في زماننا بالكذب و شهادة الزور و الحلف على الباطل ، فلو قبلت الدعاوى من دون تثبت وقعنا في المحظور من نسبة الابناء إلى غير آبائهم ، فلا بأس للقاضي أن يستعين بفحص الجينات حتى يحصل له اليقين بإلحاق الولد بمن ادعاه لنفسه .

3- التعارض بين الفراش و البصمة الوراثية :

الأصل أن كل مولود تلده الزوجة فهو لزوجها ينسب إليه مباشرة من دون حاجة إلى التثبت إعمالا لمقتضى حديث النبي – صلى اله عليه و سلم – " الولد للفراش و للعاهر الحجر " ، و التحقق من صحة هذا النسب بالبصمة الوراثية بعد ذلك غير جائز شرعا ، لما فيه من مخالفة لتعاليم الإسلام و هدم لكيان الأسرة و قدح في أعراض الناس و أنسابهم ، وقد عدّه النبي – صلى الله عليه و سلم - من أمور الجاهلية حيث قال : " أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر في الاحساب و الطعن في الأنساب و الاستسقاء بالنجوم و النياحة " .

ثم إن تحليل البصمة الجينية يلجأ إليها عند الحاجة ، و لا يجوز أبدا اللجوء إليه في حالة النسب الثابت ، فهذا يتناقض مع مقاصد الشرع ، روى أنس – رضي الله عنه – " .... أن عبد الله بن حذافة السهمي قام إلى رسول الله – صلى الله عليه و سلم – فقال : من أبي يا رسول الله ؟ فقال : أبوك حذافة ، فقالت أمه : ما سمعت بابن أعق منك ، أأمنت أن تكون أمك قارفت ما يقارف نساء الجاهلية فتفضحها على أعين الناس ؟ " . و كان قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) .

أما في حالة التنازع على النسب كما في حالة وطء الشبهة أو أن تكون المرأة قد تزوجت من الثاني قبل انقضاء عدتها من الأول فيعمل بالبصمة الوراثية لتحديد الأب الحقيقي و تقدم على الفراش لأن الله أمرنا أن ننسب الأبناء لآبائهم قال سبحانه (ادعوهم

لآبائهم هو أقسط عند الله) ، و في حالة انكار الزوج لولد ولد على فراشه هل يعتد بالبصمة الوراثية أم لا ؟ للعلماء تفصيل في هذه المسألة نتناوله في المطلب التالي .

المطلب الثالث : نفي النسب بالبصمة الوراثية :

أولت الشريعة الإسلامية عناية بالغة بالنسب ، ومن مظاهر هذه العناية أنها حذرت من إنكار النسب الثابت للأبناء بالتبرؤ منهم ، أو انتساب الأبناء إلى غير آبائهم ، فعن أبي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه - أَنَّهُ سمع رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يقول - حين نَزَلَتْ آيَةُ الْمُتَلاعِنَيْنِ - : " أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَدْخَلَتْ على قَوْمٍ من ليس منهم فَلَيْسَتْ من اللَّهِ في شَيْءٍ ، وَلَنْ يُدْخِلَهَا الله جَنَّتَهُ ، وَ أَيُّمَا رَجُلٍ جَحَدَ وَلَدَهُ وهو يَنْظُرُ إليه احْتَجَبَ الله منه و فَضَحَهُ على رؤوس الأَوَّلِينَ وَ الآخِرِينَ " . و عن سعد بن أبي وقاص وَأَبِي بَكْرَةَ - رضي الله عنهما - قَالا : سَمِعْنَا النبي - صلى الله عليه وسلم – يقول : "من ادَّعَى إلى غَيْرِ أبيه وهو يَعْلَمُ فَالْجَنَّةُ عليه حَرَامٌ " ، كما أبطلت الشريعة التبني وحرمته لأنه نسب مزيف و لما يترتب عليه من مفاسد الاطلاع على محارم الغير ومشاركتهم في حقوقهم قال الله تعالى : { ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا } .

و من تشديد الشارع الحكيم في مسألة الأنساب أنه حصر نفيها بعد ثبوتها بطريق واحد هو اللعان الذي يعد شهادات مؤكدة بالأيمان مقرونة باللعن من جانب الزوج و بالغضب من جانب الزوجة ، و لا يشرع إلا حين يعلم الزوج بزنا زوجته إما برؤية ، أو إخبار ثقة ، أو مشاهدة رجل فاجر يدخل عليها ، أو يخرج منها ، أو باستفاضة زناها عند الناس ، و نحو ذلك ، فإذا ما حصل شيء من ذلك و لم يكن ثمة ولد يحتاج الزوج إلى نفيه فالأولى به في هذه الحالة أن يكتفي بطلاقها لتحريم بقائها معه ، مع حفظ لسانه عن رميها بالفاحشة سترا عليها ، و صيانة لحرمة فراشه ، فإن كان هناك ولد يحتاج إلى نفيه سواء كان حملا أو مولودا ، فإنه لا ينتفي منه لولادته على فراشه إلا بأن يلاعن زوجته ، و رأى بعض المعاصرين جواز الاستعانة بالبصمة الجينية بديلا عن اللعان ، و هو الذي رفضه الآخرون لاعتبارات كثيرة ، سنورد أدلة كل فريق و الاعتراضات الشرعية عليها فيما سيأتي :

أراء الباحثين في مسألة نفي النسب بالبصمة الجينية و أدلتهم :

- الرأي الأول : لا ينتفي النسب الشرعي الثابت بالفراش (الزوجية) إلا باللعان فقط ، ولا يجوز تقديم البصمة الوراثية على اللعان ، وهذا قول عامة الفقهاء المعاصرين منهم د.علي

محي الدين القرة داغي ود. وهبة الزحيلي ، و د. ناصر الميمان ، ود.محمد سليمان الأشقر ، ود.عمر السبيل ، وعليه قرار مجمع الفقه الإسلامي برابطة العالم الإسلامي وجاء فيه : " لا يجوز شرعاً الاعتماد على البصمة الوراثية في نفي النسب ، ولا يجوز تقديمها على اللعان " .

- الرأي الثاني : يمكن الاستغناء عن اللعان والاكتفاء بنتيجة البصمة الوراثية ، إذا تيقن الزوج أن الحمل ليس منه ، وذهب إلى هذا الرأي محمد المختار السلامي ، وعبد الله محمد عبد الله .

- الرأي الثالث : يحتكم إلى البصمة الوراثية للمرأة لا للرجل ، و به قال د. يوسف القرضاوي ، فالزوج إذا طلب الاحتكام إلى البصمة الوراثية لا يستجاب له ، لأنه يفوت على المرأة ما يوفره لها اللعان من الستر عليها وعلى ولدها ، وهذا الستر مقصود الشارع لما فيه من مصلحتها ومصلحة ولدها ، ولكن إذا طلبت المرأة المقذوفة الاحتكام إلى البصمة الوراثية يستجاب لها ، لأنها لا تفعل ذلك إلا إذا كانت مستيقنة من براءتها ، وتطلب اللجوء إلى وسيلة علمية مقطوع بها ، تدفع التهمة بها عن نفسها ، وتحفظ بها حقها .

- الرأي الرابع : لا ينفى نسب الطفل باللعان إذا جاءت البصمة الوراثية تؤكد صحة نسبه للزوج ولو لاعن ، وينفى النسب باللعان إذا جاءت البصمة تؤكد قوله وتعتبر دليلاً مكملا ، وهذا الرأي ذهب إليه د. نصر فريد واصل ، وعليه الفتوى بدور الإفتاء المصرية .

- الرأي الخامس : إذا اتهمها بالزنا وثبت يقيناً بالبصمة الوراثية أن الحمل أو الولد ليس من الزوج فلا وجه لإجراء اللعان وينفى النسب بذلك ، إلا أنه يكون للزوجة الحق في طلب اللعان لنفي الحد عنها لاحتمال أن يكون حملها بسبب وطء شبهة أو إكراه ، وإذا ثبت بالبصمة الوراثية أن الولد من الزوج وجب عليه حد القذف ، ويدرأ عنه باللعان لاحتمال الزنا و إن كان الحمل له ، وهذا رأي أ. د. سعد الدين هلالي .

الأدلة :

أدلة القائلين بأن النسب لا ينفى إلا باللعان :

استدل هؤلاء بالكتاب و السنة و المعقول :

أ- الكتاب :

1- قوله تعالى : (و الذين يرمون أزواجهم و لم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين و الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين و يدرأ

عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين و الخامسة أن غصب الله عليها إن كان من الصادقين) .

وجه الدلالة : بينت الآية أن الزوج إذا لم يملك الشهادة إلا نفسه يلجأ للعان ، و إحداث البصمة الوراثية بعد الآية تزيد على كتاب الله ، و من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو مردود على صاحبه ، و قد قال الله تعالى : (و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) .

ب- السنة النبوية :

1- قوله – صلى الله عليه و سلم – " الولد للفراش و للعاهر الحجر " .

وجه الدلالة : أنه لو أقرت الزوجة بصدق زوجها فيما رماها به من الفاحشة فإن النسب يلحق بالزوج لحديث "الولد للفراش" ، و لا ينتفي عنه إلا باللعان ، و طالما ثبت الفراش فلا يعارضه إلا ما هو أقوى منه و هو اللعان ، و بالتالي لا مجال للبصمة الوراثية في الحيلولة دون وقوع اللعان .

2- قوله – عليه الصلاة و السلام – في حديث المتلاعنة :" أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الإليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء .... فجاءت به كذلك فقال النبي - صلى الله عليه و سلم – لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي معها شأن " .

وجه الدلالة : أن البصمة الوراثية مقيسة على القيافة ، فتأخذ حكمها ، و القيافة كما هو معروف تعتمد على الشبه ، و قد أهدر النبي – صلى الله عليه و سلم – الشبه مقابل اللعان ، و بالتالي فالبصمة لا يعتد بها في النفي لوجود اللعان .

- المعقول :

إن الاعتماد على البصمة الوراثية لنفي النسب و تقديمها على اللعان يفضي إلى مخالفة مقصود الشارع من الستر على الولد و على بيت الزوجية ، إذ إن المرأة تفضحها نتائج التحاليل إن كانت آثمة بخلاف اللعان فيه تمام الستر على المذنب ، ثم إنه بإمكان أحد المتلاعنين العدول عن الملاعنة ، و للزوج النكول بعدما ادعى زنا زوجته ، و هذا ما لا يمكن تداركه في البصمة الوراثية .

أدلة القائلين بجواز الاستعانة بالبصمة الوراثية في نفي النسب :

استدل القائلون بجواز نفي النسب بالبصمة الوراثية بالكتاب و بالمعقول :

أ- الكتاب :

- قوله تعالى : (و الذين يرمون أزواجهم و لم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم.....) .

وجه الدلالة :

أن الزوج يلجأ إلى اللعان لنفي النسب عند عدم وجود شاهد يشهد على صدقه و هذا معنى قوله تعالى : (و لم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم) ، أما مع وجود شاهد صادق يشهد على ادعائه لم يعد الزوج وحيدا ، و الشاهد هنا " البصمة الوراثية " فتكون رافعة لاتهام الزوج بالكذب .

المناقشة :

يعترض على هذا الاستدلال أن الآية اشترطت " الشهادة " لا " البينة " ، و لا تقوم البصمة الوراثية مقام أربعة شهود ، و لا بد أن تكون شهادة الشهود صريحة صراحة تامة كاملة في مشاهدة أثر ذلك ، و في مشاهدة الواقعة نفسها بدليل أنه لو تخلى واحد من الأربعة بطلت الشهادة و حدّ الثلاثة ، و عليه لا يجوز أن تعتبر البصمة الجينية في قوة الشهادة .

ب- المعقول :

قالوا إذا تيقن الزوج أن زوجته لم تحمل منه ، لأنه استبرأها بحيضة واحدة و لم يمسها بعد ذلك ، و ظهر بها حمل فإنه ينتظر إلى الوضع ، ثم تكشف التحاليل الجينية نسب الولد إلى الأب من عدمه ، و يكون هذا مغنيا عن اللعان . ذلك أن اللعان هو الاستثناء لا القاعدة ، فإذا تطابق الحمض النووي للطفل مع أبيه فلا ينتفي عنه نسب الطفل حتى لو لاعن الزوج ، لأن الشارع يتشوف لإثبات النسب رعاية لحق الصغير ، و لخراب الذمم عند بعض الناس فقد يكون الباعث هو مجرد الشك و الكيد للزوجة .

المناقشة : و الجواب على هذا الاستدلال من عدة وجوه :

1- إن مقصد الشارع من تشريع اللعان هو سد أبواب الخوض في الأعراض ، حيث لا سبيل لنفي نسب ثابت إلا به ، و هو أمر عظيم لا يقدم عليه إلا عند الضرورة القصوى ، بخلاف البصمة الوراثية قد تكون أداة بيد العابثين و الموسوسين ، و الحياة الزوجية مبنية على عنصر الثقة بين الزوجين ، فإذا انهدم زالت الأسرة ، و إباحة اللجوء إلى تحاليل البصمة الوراثية في قضايا النسب يهدم كيان الأسرة و المجتمع .

2- لا يجوز إلغاء حكم شرعي و اللجوء إلى طريقة علمية بديلة ، فالأحكام الثابتة شرعا لا مجال لنسخها في زماننا لانتهاء عهد التشريع و استقرار الأحكام ، و اللعان حكم ثابت بالكتاب و السنة و الإجماع و فيه صفة التعبدية في إقامته .

3- وجود الفارق بين اللعان و البصمة الوراثية ، إذ البصمة تنفي الابوة فقط أو تثبتها بخلاف اللعان ينفي الابوة و يدرأ الحد و يفريق بين الزوجين فرقة أبدية ، و هذا فارق مهم .

الترجيح :

من خلال التمعن في كلام الفريقين و أدلتهم يتبين لي – و الله أعلم – رجحان قول المانعين من نفي النسب بالبصمة الوراثية ، و أنه لا سبيل لذلك إلا باللعان الذي شرعه الله – عز وجل ، لأن الله تعالى لما شرع اللعان شرعه لحكم جليلة منها نفي الزوج نسب ولد أدخل في صلبه بهتانا ، و دفع الحد عنه ، و بالنسبة للمرأة درء الحد عنها ، و الستر على نفسها ، لأن بالملاعنة لا يدرى الصادق من الكاذب على خلاف البصمة الوراثية فإنها تبين الحقيقة كما هي : إما براءة المرأة و إما إدانتها . و الشريعة كما تتشوف إلى المحافظة على الأنساب تتشوف إلى الستر على العصاة و المذنبين .

و أرى أيضا جواز الاستعانة بالبصمة الوراثية قبل إجراء اللعان ابتداء ، كأن يكون بطلب من الزوجين معا ، أو بطلب من الزوجة وحدها ، و لا يقبل طلب الزوج وحده إن رفضت المرأة ، كما اختاره الشيخ القرضاوي ، لأنه لا يعقل أن تقدم المرأة على الموافقة و هي تعلم أنها آثمة ، مما يعني أن النتائج ستسفر عن صحة نسب الولد إلى زوجها و زوال ما بذهنه من وساوس و أوهام و عودة الاستقرار للأسرة ، فإن أصر الزوج على الملاعنة بعدما تبين له الحق فهو ظالم و معتد . أما في حالة تردد المرأة فلا شك أنه خوفا من الحقيقة التي ستفضحها أمام الناس ، و في مثل هذه الحالة يكفي الزوج اللجوء للعان دون البصمة الوراثية .

المطلب الرابع : موقف التشريعات العربية و الغربية من الاحتجاج بالبصمة الوراثية :

موقف التشريع الجزائري :

أولى المقنن الجزائري أهمية بالغة للنسب وما يترتب عليه من آثار فقد حدد قانون الأسرة كيفية إثباته ونفيه حماية للأعراض ودفعا لاختلاط الأنساب. كما أن القضاء من جانبه حاول المحافظة على هذا الحق من أن يعترض للضياع ، هذا وقد تمت إضافة فقرة ثانية للمادة 40 من قانون الأسرة بموجب الأمر 05-02 المؤرخ في 27 فبراير 2005 المعدل و

المتمم لقانون الأسرة وهذا التعديل يفيد أنه يمكن إثبات النسب بالطرق العلمية الحديثة حيث تنص المادة 40 في الفقرة 02 على أنه :

" يجوز للقاضي اللجوء إلى الطرق العلمية لإثبات النسب " وهذا يعتبر قفزة هامة قام بها المقنن الجزائري في هذا المجال تماشيا مع التطورات العلمية خاصة تلك المتعلقة بالمجال البيولوجي ، لكن هذه القفزة وهذا الإدماج ورغم أهميته لا يخلو من العيوب و السلبيات والتعقيدات التي اثارت جدالا في الوسط الفقهي القانوني . إذ لم ينص صراحة على هذه الوسيلة لنفي النسب ، لكن يمكن أن يفهم من عموم عبارة "بالطرق المشروعة " الواردة في المادة 41 من قانون الأسرة ذلك أن المشرع لم يعترض على هذه الوسائل الحديثة لنفي النسب إذ أن استعمال الجمع في هذه العبارة يقتضي أن المشرع لم يقتصر في نفي نسب الطفل على اللعان فقط ، بل أخذ بجميع الوسائل الأخرى والتي يمكن من خلالها للقاضي إبراز الحقيقة .

موقف التشريع المغربي :

تم تحديد وسائل إثبات النسب في مدونة الأحوال الشخصية المغربية على سبيل الحصر في الفصل 89 ، حيث جاء فيه "يثبت النسب بالفراش أو بإقرار الأب أو شهادة عدلين أو بينة السماع بأنه ولد على فراش من زوجته " . أما بالنسبة لنفيه فإن المقنن المغربي لم يسلك نفس المضمون حيث جاء في الفصل 91 على أن "القاضي يعتمد في حكمه على جميع الوسائل المقررة شرعا في نفي النسب " .

المشكل الذي كان يطرحه الفصل 91 يتعلق بالوسائل المقررة شرعا ، هل هي المرتبطة بأحكام الشريعة الإسلامية أم تلك القواعد القانونية المرتبطة بموضوع الإثبات بصفة عامة ، وبعبارة أخرى هل المقنن المغربي أعطى للقاضي في مجال نفي النسب سلطة تقديرية في اعتماد أية وسيلة إثبات يراها مناسبة ومحققة للعدل والإنصاف وبالتالي الاعتماد على الخبرة الطبية في نفي النسب وإثباته أم لا ؟ .

إذا اعتبرنا الوسائل المقررة شرعا تفيد فقط الوسائل المقررة التي جاء بها الفقه الإسلامي فلا يمكن الاعتماد على الخبرة الطبية.أما في حالة ما إذا اعتبرنا الوسائل شرعا تمثل كل الوسائل المتاحة فإن المحاكم تكون ملزمة بالأخذ بالخبرة الطبية ، ولسبب عدم وضوح النص من مدونة الأحوال الشخصية حدث خلاف في هذه المسألة . و جاء التوضيح في ظل مدونة الأسرة وتم النص صراحة على الأخذ بالخبرة الطبية كوسيلة لإثبات ونفي النسب

وذلك في المادة 153 التي ورد فيها : "يثبث الفراش بما يثبت به الزوجية " ويعتبر الفراش بشروطه حجة على ثبوت النسب لا يمكن الطعن فيه إلا من الزوج من طريق اللعان أو بواسطة خبرة تفيد القطع بشرطين :

- إدلاء الزوج المعني بدلائل قوية على ادعائه.
- صدور أمر قضائي بهذه الخبرة.

وبهذا يلاحظ أن المادة 153 بينت مدى حجية الفراش على ثبوت النسب واعتبرتها حجة قاطعة لا يمكن الطعن فيها إلا بإحدى الوسيلتين التاليتين:

- اللعان الذي يتم وفق الأحكام والمقتضيات المقررة في الفقه.
- الخبرة التي تفيد القطع مع توافر بعض الشروط المنصوص عليها في نفس المادة .

بالنسبة لتشريع المصري :

بالرغم من إنشاء معمل للطب الشرعي والبيولوجي لإجراء اختبارات الحامض النووي في الجرائم المختلفة ذلك سنة 1995 م ، فإن مشروع قانون الأحوال الشخصية رقم 1 في سنة 2000 م لم يقر صراحة بنجاعة الخبرة الطبية في إثبات النسب ونفيه ، ذلك أن المادة 3 من مشروع القانون المذكور تنص على أنه "تصدر الأحكام طبقا لقوانين الأحوال الشخصية والفقه المعمول به ويعمل فيما لم يرد بشأنه نص في تلك القوانين بأرجح الأقوال من مذهب الإمام أبي حنيفة " . و قد قضت المحاكم المصرية في بعض قضايا النسب بالبصمة الوراثية في النفي (قضية رقم 635 بمحكمة شمال القاهرة) ، و تركت الأمر لقناعة القاضي .

أما عن التشريع الكويتي :

فقد أقر الأخذ بالخبرة الطبية لكن بصورة ضمنية في المادة 168 من قانون الأحوال الشخصية التي تنص على أنه "لا يثبت النسب من الرجل إذا أثبت أنه غير خصب أو لا يمكن أنه يأتي منه الولد لمانع خلقي أو مرضي " . و قد قام مجلس الوزراء الكويتي في 29 / 11/ 1995 م بإصدار قراره رقم 1050 بتكليف اللجنة الوزارية للشؤون القانونية بإعداد مشروع لتعديل الفقرة الأولى من المادة 173 من القانون رقم 51 لسنة 1984 م في شأن الأحوال الشخصية بما يجعل لتقرير الطب الشرعي (البصمة الوراثية) قوة تدليلية يعتد بها في دعاوى إثبات النسب أو نفيه .كما تم عرض الموضوع على إدارة الفتوى في وزارة الأوقاف ، و

انتهت في فتواها رقم 54 لسنة 1996 م إلى جواز الحكم بها في النفي دون الإثبات لاحتمال أن يكون الحمل عن علاقة غير شرعية .

أما بالنسبة لتونس :

تعتبر تونس من أولى الدول الإسلامية التي اعتمدت تقنية البصمة الوراثية ، وذلك من خلال استحداثها لقانون إثبات الهوية سنة 1998 م ، حيث ركزت بموجبه على مبدأ إثبات النسب بكل الوسائل العلمية المتاحة ومن طريق البصمات الوراثية أو التحليل الجيني على الخصوص .

و قد أخذ القضاء التونسي بالخبرة الطبية ويتضح ذلك من خلال نص الفصل 75 من مجلة الأحوال الشخصية التونسية الذي جاء فيه "إذا نفى الزوج حمل زوجته أو الولد اللازم له فلا ينتفي عنه إلا بحكم الحاكم وتقبل في هاته الحالة جميع وسائل الإثبات الشرعية " وأنه لا شيء يمنع من اعتماد تلك الوسيلة التي حقق علماء الطب الشرعي صحتها والتي تعد طريقا علمية قاطعة وهو ما درج عليه فقه وقضاء هذه المحكمة وأن عدم استجابة محكمة الموضوع لهذا الدفع يعتبر إفراطا في السلطة وإهدار لحق الدفاع مع سوء تأويل القانون .

بالنسبة للتشريع الفرنسي :

إن قانون أصول المحاكمات الجزائية بفرنسا لا يتضمن نصاً صريحاً يجيز الرجوع إلى اختبارات الحامض النووي في نطاق الدعاوى الجنائية ، وبالمقابل فقد نصت المواد من 11- 16 من القانون المدني الفرنسي على أنه لا يمكن البحث عن هوية شخص عن طريق بصمته الوراثية إلا في نطاق تدابير البحث أو التحقيق الصادرة بخصوص دعوى قضائية أو لغايات طبية أو لغايات البحث العلمي. وفي 1998/6/17 تبنى البرلمان الفرنسي قانوناً ينص على إنشاء سجل وطني يحتوي على البصمات الوراثية للمحكوم عليهم في الجرائم الجنسية ، وتطبيقاً لهذا القانون أصدرت الحكومة الفرنسية المرسوم رقم 413 لعام 2000 م يبين كيفية تنظيم هذا السجل ، ولكن نظراً للانتقادات الموجهة إلى هذا القانون تدخل المشرع الفرنسي وأصدر القانون المتعلق بالأمن في 2001/11/15 و أصبح هذا القانون يضم سجلاً للبصمات الوراثية بخصوص الجرائم التالية :

1- الجرائم الجنسية.

2- جرائم الاعتداء القصدي على حياة الشخص وجرائم التعذيب والعنف.

3- جرائم السرقة والسلب والإتلاف والتخريب الخطرة بالنسبة للأشخاص.

4- جرائم الإرهاب.

هذا وأخذا بالوسائل الحديثة نجد القانون الفرنسي في مادته 11 من قانون المسطرة المدنية أقر اللجوء إلى الفحوصات الطبية وإذا رفض المعني بالأمر لا يكون أمام المحكمة سوى استخلاص النتائج وتقدير الموقف وبقاء عبء الإثبات على الطرف الرافض لإجراء الفحص الطبي.

وهو المعمول به قضاء ، ففي قرار لمحكمة تولوز بتاريخ 2000/7/10 غرفة الأسرة رقم 1997/04010 جاء فيه "حيث أنه نتج من خبرة النسب أن دراسة مجموعات HLA وتحاليل ADN مكنت من استبعاد أبوة المدعي للطفلة وينبغي نتيجة لذلك الاستجابة للطالب والقول أن الطفلة تحمل من الآن فصاعدا الاسم العائلي للأم وحملت المدعي عليها الصائر مع الإشارة إلى منطوق هذا الحكم في عقد ولادة هذه الطفلة " .

وبالنسبة لألمانيا :

فالملاحظ أن الفقرة الأولى من الفصل 372 من قانونها الإجرائي العام لم تقف عند حد الأخذ بالوسائل العلمية في الإثبات وإنما تجاوزت ذلك لإقرارها إجبارية الأخذ بالوسائل الحديثة عن طريق الفحص الطبي البيولوجي وخاصة تحليل الحامض النووي لكل شخص مثبت فيه تحت طائلة جزاءات صارمة تتمثل في السجن والغرامة كما أتاحت المادة 390 من هذا القانون للمحكمة أن تأمر بهذا الإجراء تلقائيا أو بناءا على طلب أحد الأطراف .

الخاتمة :

لا يمكن للعالم و لا للقاضي أن يغفل عن هذا الاكتشاف العلمي العظيم ، أو أن يقدم عليها أدلة مظنونة ، بل يستعين بها لإثبات النسب في حالات الطفل اللقيط أو المجهول و نحوها ، و لا يجوز أبدا محاولة التأكد من صحة نسب قائم لما فيه من مفاسد عظيمة ، و يقدم اللعان على البصمة الوراثية و لا يمكن أن تقوم مقامه ، و يستعان بها قبل اللعان إن كان بطلب من المرأة أو منهما معا ، و مع هذا لا تزال المسألة بحاجة إلى توضيح في المجال القضائي و إلى استشارات و دراسات موسعة من جميع الجوانب .

قائمة المصادر و المراجع :

- **أولا- القرآن الكريم**
- **ثانيا - كتب السنة النبوية :**
  - **صحيح البخاري**
  - **صحيح مسلم**
  - **سنن أبي داوود**
  - **سنن الترمذي**
  - **سنن النسائي**
  - **مستدرك الحاكم**
- **ثالثا- المراجع الفقهية و القانونية :**

- إثبات النسب في ضوء المعطيات العلمية المعاصرة ، لعائشة سلطان المرزوقي ، مطبوعات جامعة الإمارات العربية ، ط 1 ، 2003 م
- إثبات النسب بالبصمة الوراثية حق للمرأة لا للرجل ، على موقع القرضاوي على شبكة الإنترنت
- إثبات النسب في ضوء الوراثة ، لعائشة المقادمة ، رسالة ماجستير كلية الشريعة و القانون ، الجامعة الإسلامية بغزة – فلسطين ، 2012 م .
- بصمات غير الأصابع و حجيتها في الإثبات و القضاء ، عباس أحمد الباز ، (مؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة و القانون) .
- البصمة الوراثية كدليل فني أمام المحاكم " ، لإبراهيم بن طارق الجندي. مجلة البحوث المجلد 10 عدد 19 نوفبر 2001 م .
- البصمة الوراثية و أثرها في الإثبات ، لوليد العاكوم ، (ضمن بحوث مؤتمر الهندسة الوراثية) .
- البصمة الوراثية و أثرها على الأحكام الفقهية – دراسة فقهية مقارنة ، لخليفة علي الكعبي ، دار النفائس ، الأردن : ط 1 ، 2006 م .
- البصمة الوراثية وأثرها في إثبات النسب أو نفيه ، لمحمد سليمان الأشقر ، ضمن أبحاث اجتهادية في الفقه الطبي ، دار النفائس ، الأردن : ط 1 ، 2006 م .

- البصمة الوراثية و حكم استخدامها في مجال الطب الشرعي و النسب ، لناصر الميمان ، (ضمن بحوث مؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة و القانون)
- البصمة الوراثية و دورها في الإثبات ، لوهبة الزحيلي ، (ضمن ندوة الوراثة والهندسة الوراثية)
- البصمة الوراثية و دورها في إثبات و نفي النسب ، لمحمد عثمان ، ، (ضمن بحوث مؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة و القانون) .
- البصمة الوراثية و مجالات الاستفادة منها ، لفريد واصل ، ضمن بحوث الدورة السادسة عشر للمجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة 5 – 10 جانفي 2002 م .
- البصمة الوراثية و مجالات الاستفادة منها – دراسة فقهية مقارنة ، سعد الهلالي ، ضمن بحوث الدورة السادسة عشر للمجمع الفقهي بمكة المكرمة .
- البصمة الوراثية و مدى مشروعية استخدامها في النسب و الجناية ، لعمر محمد السبيل ، ، دار الفضيلة ، الرياض ط 1 ، 2002 م
- التحليل البيولوجي للجينات البشرية و حجيته في الإثبات ، لمحمد المختار السلامي ، (ضمن ندوة الوراثة والهندسة الوراثية)
- تطور وسائل الإثبات في مادة النسب ، لماجدة بن جعفر ، مجلة القضاء و التشريع التونسية العدد 1 ، 1999 م .
- تقنيات البصمة الوراثية في قضايا النسب و علاقتها بالشريعة الإسلامية ، خياط و الشمالي ،(ضمن بحوث ندوة الوراثة) .
- تقنيات الهندسة الوراثية في قضايا النسب و علاقتها بالشريعة الإسلامية ، خياط و شمالي ، (ضمن بحوث ندوة الوراثة) .
- توصيات الندوة الحادية عشرة " الوراثة والهندسة الوراثية و الجينوم البشري والعلاج الجيني - رؤية إسلامية " تحرير د/أحمد رجائي الجندي .
- حجية البصمة الوراثية في الإثبات ، لتوفيق سلطاني ، مذكرة ماجستير في القانون ، تخصص علوم جنائية ، جامعة باتنة ، 2011
- الجامع لأحكام و إجراءات التقاضي في الأحوال الشخصية في ضوء قانون الأحوال الشخصية الجديد ، رقم 1 لسنة 2000 م ، لعدلي خالد ، منشأة المعارف ، الاسكندرية .

- جريدة الشرق الأوسط : الجمعة 08 ذو القعدة 1426 هـ 9 ديسمبر 2005 العدد 9873 .
- دور البصمة الوراثية في الإثبات ، لغنام غنام ، (ضمن بحوث مؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة و القانون) .
- دور البصمة الوراثية في مكافحة الجريمة ، لعبد الله عبد الغني غانم ، (ضمن بحوث مؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة و القانون – 5 – 7 ماي 2002 م ، فندق العين ، جامعة الإمارات ، كلية الشريعة و القانون)
- فقه القضايا الطبية المعاصرة ، لعلي القرة داغي ، دار البشائر ، بيروت : ط 2 ، 2006 م .
- قرار محكمة المنازعات الكبرى بتولوز غرفة الأسرة صدر في 10 يوليو 2000 م رقم 04010 1997 ، مجلة الملف العدد 7 أكتوبر 2005 .
- قرارات المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة ، القرار السابع ، بشأن البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها الدورة السادسة عشر ، 5 – 10 / 01 / 2002 م
- قرار مدني عدد 27777 الصادر في 26 يناير 1993 منشور بالمجلة القانونية التونسية السنة 34 / 1998 م
- قواعد إثبات النسب في المغرب بين تطور العلم وجمود القانون ، لخالد برجاوي ، مقال بالمجلة المغربية للإدارة والتنمية ، 2003 م ، العدد 50 .
- المناقشات الفقهية للبصمة الوراثية في ندوة الوراثة والهندسة الوراثية و الجينوم البشري .
- رابعا - المعاجم :
- تاج العروس لمرتضى الزبيدي
- القاموس المحيط للفيروزبادي
- لسان العرب لابن منظور
- المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى و آخرين

دور الإعلام في نشر الثقافة البيئية دارسة في المعوقات والآفاق

أ. أوشــن جميلة جامعة

الملخص:

يبحث هذا المقال في ثنائية الإعلام والبيئة في المنطقة العربية ،إذ أن إدراج قضايا البيئة ضمن أولويات وسائل الإعلام من شأنه أن يساعد في توفير معرفة علمية أفضل بالبيئة ،ويحقق نوع من الوعي الذي يضمن صيانة الموجودات البيئية ،وإعطائها بعدها الحيوي ضمن مختلف جوانب الحياة الإنسانية ،حيث تكتسب وسائل الإعلام بأدوارها وتطبيقاتها المعاصرة مكانة مركزية وفاعلة في عمليتي التثقيف البيئي والتربية وهذا هو المأمول،لكن في دراسة بسيطة لما هو موجود في الواقع هناك معوقات تحول دون ذلك وتجعل الحديث عن إعلام بيئي عربي ذي هوية مستقلة مستبعد نوعا ما.مما يستبعد أيضا الحديث عن مواطن عربي مثقف بيئيا يعي حالة بيئته ويتفاعل معها بسلوكه ومواقفه واتجاهاته.

Résumé:

Le rôle des médias dans la diffusion de la culture environnementale - étude des obstacles

. Le présent article se penche sur les médias et l'environnement dans la région Arabe, comme l'inclusion des questions environnementales parmi les perspectives des media, afin qui ils puissent fournir une meilleure connaissance scientifique environnementale. Et réaliser une prise de conscience qui assure la protection de l'environnement et ses différents composants, leur donner un champ vivant, sous les différents aspects de la vie humaine, ceux-ci permettent aux médias de mener à terme les différents rôles et applications modernes afin d'occuper une position centrale et efficace dans le processus culturo-environnemental et éducatif. D'après les études réalisées, il existe beaucoup d'obstacles qui empêchent l'idée d'avoir un environnement médiatique Arabe ayant une identité distincte. Cette situation élimine l'idée d'un citoyen Arabe interactif, conscient de ses comportements et ses tendances vis-à-vis de son environnement..

Abstract:

The media's role in spreading environmental culture - study of the obstacles-

This essay examines the duality of media and environment in the Arab region ,as the insertion of environmental issues within the priorities of the media would help to provide a best scientific knowledge with environment, and would achieve a kind of awareness which guarantees the conservation of environmental findings and give them a vital dimension within different aspects of human life, where the media gains with its roles and modern applications a central and effective rank in the process of environmental culture and education and this which are hoping for.

But in a basic study for what exists in reality, there are many obstacles that prevent to achieve that, and make the speech about the environmental Arab media as an independent identity rather excluded. What excludes also the speech about an environmental educated Arabic citizen who is aware of his environment's condition and interacts with his behaviors, situations and tendencies.

مقدمـــة

تعد قضايا البيئة رهانا أساسيا وتحديا مستقبليا لجميع الدول ، ففي ظل العولمة والتطورات الإقتصادية ، وظهور الضغوط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على البيئة ، ومكوناتها وعناصرها وانتشار الكوارث والأزمات ، ازدادت الحاجة إلى إكساب الأفراد والجماعات الخبرة والدراية بعناصر ومكونات البيئة ، وفهم العلاقة التأثيرية المتبادلة بين الإنسان وبيئيته،كذلك تقدير قيمة المكونات البيئية الأساسية والعمل على صيانتها، من هنا تأتي مهمة التوعية والتثقيف البيئي في تغيير سلوكيات الأفراد وطريقة تعاملهم مع البيئية ،ثم إن ما آلت إليه البيئة في المنطقة العربية خصوصا والعالم عموما، عجل في ظهور ما يسمى بالإعلام البيئي، الذي يعتبر من أهم الوسائل في تنمية الوعي بقضايا البيئة ومشكلاتها، وتعميق شعور المواطن بواجباته ومسؤولياته تجاهها ، فمنذ القرن العشرين عظم دور الإعلام في معالجة قضايا البيئة ، وأصبحت المجتمعات في حاجة ماسة إعلام بيئي متخصص وفي ظل الحاجة وتزايد الاهتمام نطرح التساؤل التالي : ما هو واقع الثقافة البيئية في وسائل الإعلام العربية؟

لمعالجة هذه الإشكالية نلجأ اولا إلى تفكيك مفهوم الثقافة البيئية ألى ثقافة+ بيئة ولعل الاسترسال في مفهوم الثقافة هدفه توضيح بعض خصوصيات الثقافة ليتم إسقاطها على الثقافة البيئية، أما الاسترسال في مفهوم البيئة فمرده إلى كون البيئة تتداخل مع تخصصات عديدة مثل الجيولوجيا ، البيولوجيا ، الجغرافيا.....إلخ أما العلوم الإنسانية والاجتماعية فهي لا تمدها بصلة بالمفهوم الذي نورده في مقالنا(مفهوم علمي)لذا الاسترسال يقرب المعنى ، اعتمدنا في تحليلنا على ما ورد في المراجع العربية والأجنبية على اعتبار المقال دراسة نظرية في المفهوم والوظيفة.

مفهوم الثقافة البيئية:

إن مفهوم الثقافة من أكثر المفاهيم تشعبا،فعلى مدار الفكر الاجتماعي والانتروبولوجي لا يزال هذا المفهوم يشهد تراكما معرفيا رهيبا ناتج عن تغير بنية المجتمعات وأولوياتها ، فالتطورات التقنية والمعلوماتية التي يشهدها العالم تصاحبه ظهور مفاهيم ومصطلحات جديدة سرعان ما تأخذ بعد رمزيا تجديديا لهذه المجتمعات، ومع مرور الوقت تأخذ قوتها وعمقها الاجتماعي الذي يضفي عليها شرعية الوجود،وعلى هذا المنوال تصبح

الثقافة تقبل التغيير والتخصيص في كل مكان وزمان ، يعتبر مصطلح الثقافة البيئية من المصطلحات التي أفرزتها التقنية الصناعية حيث صاحب هذه التقنية نشاطات منتهكة للبيئة وصعود هذا المصطلح إلى الواجهة على أساس أن أزمة البيئة تعود إلى أزمة ثقافة الإنسان.

قبل الإسترسال في مفهوم الثقافة البيئية نشير أن المفهوم مركب من: ثقافة+بيئة

- **الثقافة :**

إن كلمة الثقافة بمعناها الاصطلاحي الأنتربولوجي الحديث أرسيت دعائمها بالإنجليزية لأول مرة بفضل "تايلور" «Taylor سنة 1871 وهو أحد أقطاب علم الأنتروبولوجيا ورواده الاوائل، إستخدم هذا المفهوم مستعيرا إياه من الألمانية Kultur بعد التردد بينها وبين كلمة حضارةCivilisation (1) حيث يعرف تايلور الثقافة كما يلي"ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف وغيرها من الإمكانيات والعادات التي يكتسبها الفرد كعضو في المجتمع..."(2) في حين يعرفها بارسونز ""Parsons "بقوله"إن الثقافة تتكون من تلك النماذج المتصلة بالسلوك وبمنتجات الفعل الإنساني التي يمكن أن تورث بمعنى أن تنتقل من جيل إلى جيل بصرف النظر عن الجنيات البيولوجية..."(3) ، بهذا التعريف يكون الإنسان مجرد حامل سلبي للتقاليد الإجتماعية في حين أن الإنسان ليس مجرد مخلوق ثقافي ومجرد حامل لها بل أيضا خالق ومبتكر لهذه الثقافة ، وفي المقابل هناك من يرى الثقافة من زاوية مغايرة بحيث تكون متنفس وعملية تكيف وتوافق وأداة لحل المشكلات ، حيث يري"سمنر"أن الثقافة هي مجموع أساليب تكيف الناس لظروف حياتهم وهذا التكيف لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال أفعال تجمع مابين التنوع والإنتقاء والإنتقال...(4)

نلاحظ أن "سمنر"في كتابه "الأساليب الشعبية " لم يستحدم كلمة ثقافة إنما إستخدم كلمة حضارةCivilisation ، ويعارض كروزيه"Crozier " إعتبار أن الثقافة نسق جامد حيث يرى أن "الثقافة ليست مجموعة من الفيم والمعايير المجسدة التي لا تلمس بل تتكون من عناصر الحياة النفسية والذهنية بمركباتها العاطفية والمعرفية والعقلية،وهي أداة وقدرة يكتسبها الأفراد ومن ثم يستعملونها من خلال إقامة علاقات واتصالات مع الاخرين ."(5)

من خلال التعاريف السابقة نستنتج أن السلوك جانب تظهر فيه الثقافة بالتالي الثقافة تعكس نمط السلوك الذي تتبعه الجماعة .إن ما يساعد هذه الثقافة على التطور هي قدرة الإنسان على التعلم ، التذكر والتميز بين ماهو مرغوب فيه وماهو مرغوب عنه.

- **خصائص الثقافة :من أهم خصائص الثقافة نذكر مايلي**

نتاج إجتماعي إنساني: بمعنى لا وجود لثقافة دون مجتمع إنساني ولا وجود لمجتمع إنساني دون ثقافة ما.هذه الخاصية أكسبت الثقافة الإستقلالية عن الأفراد الذين يحملونها ويمارسونها في حياتهم اليومية، فهي تأخذ إلى حد ما شكل التقاليد المتوارثة من جيل إلى جيل أخر،حيث نقصد بالاستقلالية أن الأفراد يجدون الثقافة داخل مجتمعاتهم فهي تشمل بشكل حقيقي(6) "أسلوب حياة أعضاء المجتمع الذين غالبا يأخذون تأثيرها كأمر مسلم به أو حتمي ، فالجلوس على الأرض وتناول الطعام بالأيدي يعكس ثقافة العرب أي أسلوب حياتهم الذي يخلف عن غيرهم من الاجناس.."(7).

مكتسبة:إن الثقافة ليست غريزية ولا فطرية كما أنها لا تنتقل بيولوجيا، ولكنها تتكون من العادات التي يكتسبها كل فرد من أفراد المجتمع .إن أساس إكتساب الثقافة هو التعلم والممارسة ، يقول "بارك" "إن التعلم يؤدي وظائف متعددة إذ يسهل التفاهم بين الأفراد الذين يولفون الجماعة الإجتماعية ويعطيهم معنى لوحدة ثقافية...."(8).

معقدة: حيث يرى الأنتروبولوجين أن تعقيد الثقافة يكمن في إحتوائها على العناصر المادية واللامادية ، حيث حصر "عبد الرزاق جبلي"الثقافة اللامادية بقوله "تشمل مظاهر السلوك والتي تتمثل في العادات والتقاليد التي تعبر عن المثل والقيم والافكار والمعتقدات...(9) ، في حين الثقافة المادية هي كل ما أنتجه العقل البشري عبر حياته من مادية ملموسة مثل : المباني،الأثاث،الملابس، وسائل النقل والمواصلات.....إلخ.

متغيرة :إن الثقافة خاضعة لقانون التغيير الذي تخضع له جميع مظاهر الكون كما قال هيرقليطس"Heraclitus "إن التغيير قانون الوجود وإن الاستقرار موت و عدم. لعل التغيير يظهر بشكل كبير في العناصر المادية كونها مرتبطة مباشرة بالمنفعة التي تعود على الإنسان منها ، بعكس العناصر اللامادية التي تمس عواطف و أحاسيس الإنسان ومعتقداته بالتالي تشتد المقاومة لتغييرها.

فوق عضوية: يعني أن الثقافة تستمر بعد أجيال عديدة مما يؤكد مضمونها هو نتاج الإنسان أكثر من كونه نتاجا بيولوجيا ،فالتطور الثقافي كما يراه" دافيد بيري" وغيره من علماء الأنتروبولوجيا مرتبط بالبناء العضوي للإنسان ،فقدرة الإنسان على الإختراع لا حد لها واستخدامه للرموز يسمح له بالإبتكار واكتساب أشكال جديدة دون أن يكون هناك تغيير في بنائه العضوي.(10).

- **البيئة:** إن تعدد المفاهيم المستخدمة لمصطلح البيئة أضفى عليها نوعا من الغموض واللبس وإختلاف في المعنى ،ولعل مرد ذلك الإختلاف في فروع العلوم وتخصصاتها ،وحتى الإختلاف في اللغات ،فالنقل الصريح من لغة إلى لغة أخرى يولد سيولة المعنى،ففي الدراسات الاجنبية أصل المصطلح إغريقي Oikos ويعني بيت أو منزل ،وفي اللغة الإنجليزية Environment تستخدم للدلالة على مايحيط بالإنسان والتأثيرات المختلفة.وفي اللغة الفرنسية تقارب معنى البيئة مع نظيره في الإنجليزية حيثEnvironnement يعني "تدور حول معنى الظروف المحيطة من هواء وماء وأرض وكائنات حية محيطة بالإنسان(11).

أما البيئة في اللغة العربية فهي المنزل وبيت النحل في الجبل ، متبوأ الولد في الرحم ، ومنزل القوم في كل موضع فهي مكان العيش والإقامة ،وقد جاء معناها في لسان العرب والقرآن الكريم مشتقة من الفعل بوأ وهي في اللغة تأتي بمعاني عديدة منها :

المنزل أو الموضع ، فيقال تبوأت منزله أي نزلته ،وبوأه منزلا هيأه له ومكن له فيه (12).

قوله تعالى" وَكَذلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ " سورة يوسف الآية(56).

وقوله تعالى" وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون " سورة الحشر الآية(9 (.

قوله تعالى" وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ" سورة الأعراف الآية(74)

الزواج ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم"من استطاع منكم الباءة فليتزوج."

ولو نظرنا إلى المعاني السابقة فإن المعنى الأول هو الذي يتفق مع دراستنا. ولا يختلف المدلول الإصطلاحي عن المدلول اللغوي للبيئة ، فعندما نقول البيئة فإننا نقصد في الواقع كل مكونات الوسط الذي يتفاعل معه الإنسان مؤثرا ومتأثرا بشكل يكون معه العيش مريحا فسيولوجيا ونفسيا(13)، يشير كل من "رشيد الحمد ومحمد صباريني" إلى أن البيئة هي ذلك الإطار الذي يحيا فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء مأوى ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر (14).

وفقا للأدبيات السابقة يمكن أن نبني مفهوم الثقافة البيئية والتي هي الكل المركب الذي يشمل المعارف والقيم والإتجاهات البيئية ،وكل مايتعلق ب: التربية التعلم البيئي، السلوك والوعي البيئي ، فالسلوك البيئي نوع من السلوك الإجتماعي الذي يتضمن في محتواه إما إتجاها إيجابيا أو سلبيا نحو البيئة، بالتالي السلوك البيئي هو"البيئة كما يراها و يدركها الفرد أو الموقف الذي يتخذه الفرد مع أو ضد البيئة .."، كما أنه ما يصدر عن الكائن الحي من تصرفات وأفعال ، فالأفعال سلوك وردود عليها سلوك ، ومجموع هذه السلوكات و ردودها تشكل ما نسميه بالتفاعل الإجتماعي ، وكلما كان السلوك مقبولا ومتفقا مع القيم المرغوبة كلما أدى ذلك إلى قوة المجتمع وفعاليته ، وإذا حدث عكس ذلك فإنه يؤدي إلى المشكلات التي يعاني منها المجتمع ومنها المشكلات البيئية..(15).أما الوعي البيئي فيقصد به لغة الفهم و سلامة الإدراك واصطلاحا "فهو الإدراك القائم على الإحساس بالعلاقات والمشكلات البيئية من حيث أسبابها وأثارها ووسائل حلها(16)، بهذا الوعي البيئي هو دمج لمفهومي الوعي والبيئة، في حين يقصد بالتربية البيئية حسب ماأفردته ندوة بلغراد1975"هي ذلك النماذج من التربية التي تهدف إلى تكوين جيل واع ومهتم بالبيئة والمشكلات المرتبطة بها ، ولديها من المعارف والقدرات العقلية والشعور بالإلتزام ما يتيح له أن يمارس فرديا وجماعيا حل المشكلات القائمة وأن يحول بينها وبين العودة إلى الظهور.

وفي سياق أخر عرف "روكاستل " الثقافة البيئية على أنها"فهم أساسيات التفاعل بين الإنسان والبيئة بمكوناتها الحية وغير الحية، بحيث يتصمن هذا التفاعل الأخذ والعطاء بين الإنسان والنبات والحيوان ...(17)، معنى هذا التعريف أن الثقافة البيئية

تستوجب الحس والمسؤولية تجاه قضايا البيئة ومشكلاتها والوعي بأهمية الحفاظ على البيئة وصيانتها في إطار التفاعل الإيجابي بين الإنسان وبيئته ، وقد ميز "السيد عبد الفتاح عفيفي" الثقافة البيئية عن التربية البيئية بتعبيره"الثقافة البيئية تركز على جوانب التعلم غير الرسمي ، بينما تركز التربية البيئية على التعليم النظامي أو الرسمي لهذا فإن الثقافة البيئية تمتد عبر مراحل العمر المختلفة ،بينما تقتصر التربية البيئية على مراحل الإعداد العلمي في سنوات الدراسة الرسمية ..."(18).

من خلال الأدبيات السابقة يمكن القول أن الثقافة البيئية هي عملية تربوية غير رسمية تهدف إلى تحسيس الأفراد وتوعيتهم بمسؤوليتهم تجاه بيئتهم ،ومحاولة غرس قيم وسلوك الحفاظ على البيئة وصيانتها كجزء من ثقافة المجتمع العامة ، ومن وسائل تحقيق الثقافة البيئية : الأسرة ، المدرسة ، الجمعيات الإيكولوجية ووسائل الإعلام.....إلخ.

• الإعلام وقضايا البيئة "صراع القيم والمصالح":

لقد إرتبطت مواضيع البيئة والدفاع عنها بداية عصر النهضة بالجانب التراثي والجمالي للبيئة ،وظهور حركة الرومنطيقية التي تمجد الفردية على حساب الجمهور ، والطبيعة على كل ماهو آلي ومصنع ، وقد كان لهذه الأفكار أثرها الميداني من خلال إنشاء المنتزهات والمحميات الطبيعية كتلك التي أنشأت بفرنسا "Fontaine bleue " سنة 1861،وحظيرة"Yalow stone Park "،بالولايات المتحدة الأمريكية سنة1872،والحظائر والمنتزهات التي أنشئت بويلز وإنجلترا في خمسينيات القرن، 19،وبمقتضى قانون صادر عن البرلمان ومؤسس على الطابع الجمالي لهذه الحظائر والمحميات ، ليتحول موضوع البيئة بعد ذلك إلى مجال خصب للحركات والنضالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ...(19)، حيث تعالت الأصوات بضرورة حماية البيئة وصونها و إدراجها في أولويات جدول أعمال المؤسسات والأفراد ولعل وسائل الإعلام إحدى المنابر التي إعتلتها الأصوات لتحقيق هذه الأهداف.

إن إدراج قضايا البيئة ضمن أولويات وسائل الإعلام من شأنه أن يساعد على توفير معرفة علمية أفضل بالبيئة ،ويحقق نوعا من الوعي الذي يضمن صيانة الموجودات البيئية ،وإعطائها بعدها الحيوي ضمن مختلف جوانب الحياة الإنسانية ، إذ تكتسب وسائل الإعلام بأدوارها وتطبيقاتها المعاصرة مكانة مركزية وفاعلة في مجال توفير المعلومة البيئية.

بحيث تحظى وسائل الإعلام في المجتمعات المعاصرة بدور مهم في توجيه الرأي العام نحو القضايا ذات الإهتمام المشترك ،وقد كان للتطور التكنولوجي الكبير الذي شهدته هذه الوسائل بتعدد أشكالها وصورها ، إنعكاسه الإيجابي على تضاعف قدراتها وفعاليتها في تعبئة الرأي العام وتوحيد مواقفه حيال العديد من القضايا الإنسانية المشتركة وعلى مختلف الاصعدة ، بحيث أصبح إقتناع الرأي العام بأي قضية من قضايا الشأن العام خلال العقود والسنوات الأخيرة متوقف وبدرجة كبيرة على ما تقدمه وسائل الإعلام من آراء ومعلومات تساعده على الإقتناع بها(20).

إن الإهتمام الإعلامي بالقضايا البيئية يعد حديثا نسبيا، إذ لم يتسع ويتنامى إلا بعد إكتشاف الآثار السلبية المدمرة للبيئة ،والناجمة عن التطبيقات المعاصرة للتكنولوجيا المقدمة مما يستلزم تسليط ضوء وسائل الإعلام على مشكلات البيئية وخلق الوعي البيئي لدى المواطن العربي ، فالإعلام البيئي هو إعلام يسلط الضوء على كل المشاكل من بدايتها وليس بعد وقوعها ،وينقل للجمهور المعرفة والإهتمام والقلق على بيئته (21)فهو كما يراها "زهير عابد" أهم أجنحة التوعية البيئية وهو أداة إذا أحسنت إستثمارها كان لها المردود الإيجابي للإرتقاء بالوعي في تسيير وفهم إدراك المتلقي لقضايا البيئة المعاصرة وبناء قناعات معينة تجاه البيئة وقضاياها وهو شامل لكافة المجتمع بطرح أفكار تناسب جميع مستوياته(22).فمهمة الإعلام البيئي تتمثل في إستخدام وسائل الإعلام جميعها لتوعية الإنسان ، ومده بكل المعلومات التي ترشد سلوكه،وترتقي به إلى مسؤلية المحافظة على البيئة ،وتعتبر وسائل الإعلام بكافة أشكالها المصدر الرئيسي للمعلومات حول البيئة ،ورفع مستوى الوعي من خلال الأنشطة المختلفة والوصول إلى مصادر المعلومات ، إصدار الصحف والمجلات والمقالات والأفلام والرسائل الإخبارية والمقابلات(23).بهذا تكون وسائل الإعلام جزءا لا يتجزأ من عمليتي التربية والتثقيف، ولكي ينجح الإعلام البيئي في تحقيق أهدافه ينبغي أن يتم التنسيق والتعاون بين مختلف الوسائل الإعلامية للعمل في إتجاه واحد ومن خلال خطة إعلامية متكاملة ،وكذا تعاون الدول من خلال توفيرها للتسهيلات والدعم اللازم ، فقد أكدت الدراسات الإعلامية أن التوسع في تغطية حدث بيئي ينتج من الإهتمام السياسي بها، وكذا من رغبة القائمين عن المؤسسات الإعلامية.

يذهب القائلون بنظرية الأجندة أو الأولويات 7 على أن القائمين على المؤسسة الإعلامية خاصة رئيس التحرير ، وهو من يحدد المضامين التي سيتم نشرها وبثها خلال الفترات العادية ، لا تحظى المواضيع البيئية بأهمية كبيرة مقارنة بالأولويات السياسية والإقتصادية ، ويتم إسقاطها أو وضعها ضمن قائمة المختصرات،فاحترام البيئة وتثمينها ليس فعلا ناتجا عن وعي تلقائي،بل إنه سيرورة تمتد عبر الزمن وتستثمر فيها موارد كبيرة أهمها التربية على البيئة وترسيخ علاقة إيجابية معها، فالإهتمام المتزايد من قبل الكثير من الفاعلين المؤسساتيين والإجتماعيين بقضايا البيئة مثل الهيئات الحكومية والمدارس والمنظمات البيئية ، يمثل توجها إيجابيا في تكريس ثقافة مجتمعية واعية في التعاطي مع البيئة(24).كما أن نجاح الإعلام البيئي في مهمته يتطلب تحديد الجماهير المستهدفة و خصائصها والأساليب المطلوبة للتأثير فيها.(25)

وتوثيق الصلة بين الجماهير والعلماء والجهات المعنية بحماية البيئة ، وعرض الأخبار البيئية وقضاياها بشكل مبسط دون قصر الرسالة الإعلامية على مشكلات التلوث والجوانب السلبية للبيئة(26).

إذا أتينا إلى العالم العربي ، تجد أن مشكلة الإعلام البيئي العربي ترتبط بمشكلة الإعلام العلمي خصوصا ، الذي لا يجد له مكانة واضحة على الساحة الإعلامية العربية ، فهذا الإعلام يميل إلى نوع من التسطيح الذي يضيع معه جوهر الشيئ، حيث نجد نقلا غير متناغم ومبعثر لأخبار مشتتة غير مترابطة ينقصها التوثيق والتحليل ، كأننا نتابع روايات عنتر والزير.

عموما فإن موقع البيئة في سلم الاولويات المجتمعية يختلف من دولة إلى أخرى ، ففي الإمارات مثلا حيث تكثر الهيئات والجمعيات المهتمة بالبيئة ، تمثل البيئة إحدى القضايا الحاضرة بكثافة في الوسائط الإعلامية وإن كان الأمر يقتصر على الجانب الإخباري ا لمناسباتي الذي لا يغوص في عمق الأشياء من خلال قراءات تحليلية موثقة ، تستشرف مستقبل البيئة في ظل القفزات الهائلة التي تعرفها الإمارات في المجال العمراني ، وعلى الطرف الآخر من المنطقة العربية ، نجد الجزائر مثلا قد عرفت في السنوات الأخيرة تزايدا ملحوظا في إهتمام الوسائط الإعلامية بقضايا البيئة حيث نجد أن بعض الصحف تخصص صفحة أسبوعية للمسائل البيئية ، في نفس الوقت تخصص الوسائط الإذاعية

والمرئية بعض البرامج والفقرات مثل: البيئة والمحيط-إرشادات زراعية –العالم الأخضر- رهانات بيئية- البيئة والحياة...وغيرها(27)

وما يلاحظ في الإعلام البيئي العربي أن أقل من10% من الصحافة العربية توظف محررا للقضايا البيئية والتنمية المستدامة ، لكن حين تجري أحداث سياسية ،إجتماعية أو إقتصادية ،تعلق الصفحات المخصصة للبيئة مؤقتا أو دائما(28).

• معوقات الإعلام البيئي العربي:

يعرف الإعلام البيئي العربي عدة معوقات جعلت منه إعلاما منحصرا ومتقوقعا ، وأوجدت فجوة كبيرة جعلت من الإعلام البيئي كإعلام متخصص وبين وسائل الإعلام ومن هذه المعوقات:

التبعية الإعلامية :و نعني التبعية لوسائل الإعلام الغربية والإعتماد بشكل كبير على المواد الإعلامية التي تبثها وكالات الأنباء الغربية ، فوسائل الإعلام في دول العالم الثالث (منها المنطقة العربية)تنقل حوالي 84% من الأخبار عن طريق الوكالات العالمية وحوالي80% من أخبار العالم الثالث تنقلها أيضا الوكالات الدولية الكبرى، ووسائل الإعلام الغربية معروفة بإنحيازها المطلق للقيم الغربية والتفوق الغربي وتسعى جاهدة من أجل نشر ثقافة الإستهلاك في العالم بأسره(29).وغالبا ماتتعارض مع قيم المنطقة العربية بحيث تدخل الجمهور العربي في عولمة بيئية فلا يفرق بين مشاكل بيئته المحلية والعالمية، وفي إستطلاع للرأي العام نشر في مجلة "البيئة والتنمية"في أفريل 2000 قال معظم المشاركين أن الإستمرار على هذا الحال سيجعل البيئة المحلية والعالمية أسوء بعد 50سنة بالرغم من أن الإستطلاع لم يتضمن أسئلة حول الإعلام البيئي إلا أنه طرح العديد من المصطلحات البيئية مثل ثقب الأزون ، المطر الحمضي ، التنوع البيولوجي ،المردود البيئي وغيرها لمعرفة مدى إلمام الجمهور بها ، وبين أن الجمهور على معرفة بالمصطلحات التي تروجها وسائل الإعلام الغربية عن البيئة ، كل هذا يوضح مدى التبعية الإعلامية ومدى تأثير الإعلام الغربي إذ أن المصطلحات التي ينقلها مألوفة لدى العرب أكثر مما هي مألوفة لديهم مصطلحات أشد منها صلة باوضاعهم البيئية (30).

ندرة كوادر الإعلام البيئي:من المشكلات التي يعاني منها الإعلام العلمي عامة البيئي على وجه الخصوص ندرة الصحفيين المؤهلين في مجال الإعلام البيئي ، وعدم مشاركة الباحثين

والعلماء في عملية التثقيف ونشر الوعي البيئي ون أسباب عزوف الإعلاميين في التخصص في الإعلام البيئي :

-التخصص في العلوم البيئية في المنطقة العربية جديد نسبيا ضمن التخصصات البيئية الكثيرة.

-طبيعة المشكلة البيئية التي لا تشكل سبقا صحفيا إلا إذا تعلقت بكارثة بيئية.

-الزمن المطلوب لكتابة تقرير صحفي بيئي يستغرق وقتا أطول لمراجعة بعض الأمور الفنية والعلمية والإحصائية .

-غياب التبادل المعرفي بين المشرفين على الصفحات البيئية في الصحف والخبراء والمهتمين والجمعيات المعنية بالشؤون البيئية .

-عدم تشجيع القائمين على المؤسسات الإعلامية الصحفيين ودفعهم الغوص في مجال البيئة.(31)

تزييف الوعي البيئي: إن حماية البيئة ترتبط إرتباطا وثيقا بالوعي ، فوسائل الإعلام المختلفة أصبحت الأكثر تأثيرا في زيادة الوعي بما تملكه من أدوات وقدرة فائقة في الوصول للقاضي والداني والمشكلة هي أن هذه الوسائل لا تهتم بشؤون البيئة ولا تقدم المحتوى الذي يسهم في رفع درجة الوعي البيئي لدى الجماهير ، والحديث عن دور الإعلام في حماية البيئة لابد أن يسبقه أولا الإعتراف بوجود أزمة حقيقية في الوعي البيئي لدى الشعوب في الوطن العربي ، وأسباب هذه الأزمة كثيرة ومتعددة ويجب على الجميع العمل من أجل معالجة أسباب هذه الأزمة ووضع الحلول المناسبة لها ،تقول الدكتورة "شعاع اليوسف" "لقد ساهمت التقنيات الإعلامية في عمليات غسل الادمغة البشرية على المستويين الفردي والجماعي بل توجد محاولات لتغيير السلوك الفردي بشتى الوسائل والطرق ، وتلعب إعلانات البث الإذاعي والتلفازي دور المتحكم في سلوك الفرد إلكترونيا أو بالتحكم عن بعد أو عن طريق البرمجة وغسل الأدمغة ،ربما لتدمير كل مانصت عليه المواثيق أو الأعراف والأديان ، أما قبوله التفكير فتتم بكل سهولة ويسر عن طريق نشر الأفكار المسمومة في أجهزة الإعلام المختلفة والتي غالبا ماتحقق أهدافها في إقناع الشعوب سياسيا إقتصاديا وأخلاقيا.."(32)

الإعلام وسطوة رأس المال: من المشكلات التي يعاني منها الإعلام البيئي أيضا الضغوطات والتاثيرات الخارجية والمصالح المختلفة والمتضاربة في كثير من الأحيان ، وسيطرة رجال الأعمال وأصحاب الأموال على وسائل الإعلام الخاصة والبحث عن الربح المادي السريع أدى إلى تركيز هذا النوع من الإعلام على الأنماط الإستهلاكية وإغفال دور الفرد في حماية البيئة ، والإعلام الخاص لايهتم بقضايا البيئة ويركز على التفاهات والرغبة في تحقيق المكاسب على حساب الأخلاق والقيم والمبادئ وعلى حساب البيئة ، فوسائل الإعلام لها سلطتها وسطوتها في المجتمع ولذلك أطلق عليها وصف "السلطة الرابعة" وذلك نظرا لتأثيرها على صانعي القرار وتأثيرها على رجال الأعمال وعلى أصحاب المصانع والشركات ، ولا يستطيع أحد أن ينكر التأثير الهائل لوسائل الإعلام على الجماهير وقيامها بتزييف الوعي الجمعي للشعوب وهذه الوسائل تنطبق عليها مقولة "جوزيف جوبلر" وزير الإعلام النازي على عهد "هتلر" "أعطيني إعلاما بلا ضمير أعطك شعبا بلا وعي" ومن هنا كانت أهمية الدور الذي يجب أن تقوم به المؤسسات الحكومية ومنظمات المجتمع المدني في التوعية والتثقيف(33).

معوقات أخرى تدخل عامة في الشكل ومحتوى الرسالة البيئية في وسسائل الإعلام العربية

-ضيق المساحة المخصصة للبيئة سواء للبث أو النشر ،مما يؤثر على طريقة تناول المواضيع والقضايا البيئية .

-ضيق المساحة الزمنية المتاحة للصحفي لإعداد المادة الإعلامية المقروءة أو المسموعة أو المرئية أو التحقيق في دقتها وتقويمها تقويما جيدا.

-عدم الإستمرارية والتنسيق بين وسائل الإعلام في تناول الموضوعات البيئية.

-صعوبة فهم بعض الظواهر الصعبة مما يجعل الرسالة غير واضحة .

-الإعتقاد الخاطئ على القائمين على الإعلام البيئي بعدم إهتمام الجمهور بالموضوعات البيئية أدى إلى عدم إهتمام المحررين بهذا المجال(36).

-عدم وجود حوافز للإعلاميين البيئين فمعظم من يغطي القضايا البيئية في وسائل الإعلام يعتبر وضعه الوظيفي متدنيا مقارنة مع الذين يغطون السياسة والإقتصاد وحتى الرياضة ، فلا توجد قناعة بأهمية الإعلام البيئي حتى لدى الإعلاميين أنفسهم.

-عدم تحديد إحتياجات الجمهور المستهدف من الإعلام البيئي ، وعدم وجود أهداف إعلامية إستراتجية لهذا الإعلام و التحرك فقط ضمن إطار رد الفعل .

-عدم وجود إطار معرفي حقيقي للبيئة في وسائل الإعلام ، فمعظم الإعلاميين لا يعرف ماهي القطاعات المندرجة تحت البيئة ولا يستطيع تمييز مدى إرتباط العديد من القطاعات التنموية بقضايا البيئة.

- **إقتراحات للنهوض بالإعلام البيئي العربي(آفاق):**

-التكوين والتخصيص في المجال البيئي ،فالتخصيص حاجة ملحة في ميدان الإعلام وضرورة حتمية فرضتها حالة البيئة في المنطقة العربية ، لأن الحقيقة الماثلة أمامنا هي: إنحسار الغابات الخضراء، الجفاف التصحر ،التلوث بأشكاله وأنواعة ، فالمواطن العربي يواجه عدم وعي وإدراك بقضية بيئيته ، وهنا يبرز دور الإعلام في مجال التوعية البيئية ،فعليه أن يطرح مواضيع بيئية محلية تصل إلى الإنسان العادي ومحدود المعرفة.

-خلق قاعدة إنسجامية أطرافها : الإرادة السياسية والإرادة الإعلامية ، حيث يتم وضع إستراتجية سياسية وإعلامية مناسبة تنسجم فيها الأهداف السياسية والأهداف الإعلامية ، فالبيئة يجب أن تكون ضمن إهتمامات السلطة وأولوية من أولوياتها ، ومن باب أولى أن تكون القضايا البيئية من بين إهتمامات الأجندة الإعلامية.

-تفسير المعلومة البيئية بطريقة شيقة مبسطة بحيث يتجنب الصحفي التعميمات المرتكزة على معطيات غير وافية وموثقة ،أو من مصادر غير محددة جغرفيا وزمنيا، مع تجنب الإثارة والتهويل اللذين يولدان حالات من الذعر غير المفيد لدى الجمهور.

- إعتماد لغة بسيطة ومفهومة لتوصيل المعلومة البيئية لرجل الشارع ومتخذ القرار.

-ضرورة إنشاء قواعد بيانات بيئية تغطي المجالات البيئية العلمية والإقليمية والمحلية وإتاحتها للقائمين بالإتصال والباحثين لتوظيفها في نشاطهم في الشأن البيئي .

-ضرورة الإهتمام بربط الموضوعات البيئية بالسياق العام وظروف المجتمع وأهدافه وسياسته وبرامجه ،بحيث لا تقدم المعالجات الصحفية مجال البيئة بمعزل عن موضوعات وقضايا التنمية الشاملة، ولا تعالج من فراغ للتأكيد على علاقة التأثير والتأثر بين القضايا المجتمعية المختلفة ومنها القضايا البيئية.

-تبني الصحافة الإستقصائية التي تعتمد بشكل أساسي على التحقيقات الصحفية والمصادر المتعددة للمعلومات، نظرا للجوانب المتعددة لمشكلات التلوث البيئي التي تعاني منها المنطقة العربية والتي تحتاج إلى جهد وعمل دؤوب من قبل الصحفيين في إثارة مثل هذه القضايا وتوصيل الحقائق للجماهير والمسؤولين.

-الإبتعاد عن الإنحياز في التغطيات الإعلامية حيث أن القضايا البيئية المختلفة لا تلقى نفس الإهتمام من قبل وسائل الإعلام ومن أمثلة ذلك التغطية الإعلامية الضخمة لظاهرة الإحتباس الحراري ، فالتركيز الإعلامي يجب أن يكون على القضايا البيئية الأكثر خطورة واتصالا بواقع الناس ، فمن غير المنطقي التركيز على خطورة ذوبان جليد القطب الشمالي نتيجة الإحتباس الحراري وارتفاع درجة حرارة كوكب الأرض إذا كان المتلقي يعيش في صحراء جرداء .بل يتسق مع الحكمة أكثر توضيح أهمية المحافظة على الغطاء النباتي وتعزيزه عن طريق زراعة نباتات قادرة على التكيف مع الظروف المناخية القاسية ، كما يكون معقولا أكثر توعية المزارع لمخاطر المبيدات والأسمدة الكيمياوية مقابل أمن وسلامة المخصبات الطبيعية و أساليب المكافحة الحيوية أو المتكاملة .

-تكوين الصورة الذهنية الإيجابية حول القضايا البيئية بدلا من التهويل والإنشاء الفارغ.

• خاتمـــة

من الصعب الحديث عن إعلام بيئي عربي مستقل بكامل معاييره كالإعلام السياسي ، الإقتصادي وحتى الرياضي ،فبالرغم من إهتمام وسائل الإعلام العربية بموضوع البيئة خلال السنوات الأخيرة إلا أن هذا الإهتمام تميز بالغموض والعمومية ، فالمعالجات تكون إما عامة تغشاها ضبابية إنشائية كالحديث عن ثقب الاوزون وأهواله على البشرية ، أو محدودة في إطار ضيق منحصر مثل حملات النظافة ، والتشجير،وكأن مشاكل البيئة تحل جميعا إذا أقمنا حملات النظافة في الشوارع أو غرسنا بعض شجيرات في المدينة،وفي كلتا الحالتين خروج عن المفهوم الأساسي للموضوع، إن البيئة وقضاياها أكثر شمولا وتعقيدا،لذا فإن نجاح الإعلام في أداء مهمته يقتضي بالضرورة تعاونا شاملا وعميقا بين المؤسسات الإعلامية والهيئات المسؤولة عن البيئة ، وبدون هذا التعاون لن تستطيع الهيئات تحقيق أهدافها ولن يستطيع الإعلام أداء مهامه والصعوبة تكمن هنا في إقناع الطرفين بهذه الحقيقة بحيث لا ينفصل كل عمل منهما عن الآخر، كما أن الهدف من هذا التكامل خلق مواطن عربي واع مدرك يمتثل أمام المعايير والقيم االبيئية الحقيقية، بعيدا عن التقليد والتبعية والخروج من قوقعة الإغتراب الثقافي البيئي ونفتح بهذا بوادرا جديدة لإعلام متخصص جديد من شأنه الإرتقاء بخصوصية البيئة العربية ويكون مرجعية ثقافية واسعة في هذا المجال للمواطن العربي.

- **الهوامـــش:**

-1سامية حسن الساعاتي:الثقافة والشخصية،بحث في علم الإجتماعي الثقافي ،ط4،دار الفكر العربي،2008،ص ص 30-31

2-Beneto, P :la sociologie des entreprises, Ed seuil ,Paris 1999,p113.

-3Parsons ,T : Essays in sociological theory,Glencoe Illinois :p08.

4-سامية حسن الساعاتي:مرجع سابق ص43.

5-Crozier Michel ,Exort Fied berg :L'acteur et le système, Ed seuil 2em edition, Paris 1993,p210.

6- صبرينة بايود: دور المؤسسات الإجتماعية في ترسيخ ثقافة بيئية للحفاظ على نظافة البيئة الحضرية،أطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة الجزائر2، 2015، ص 22.

7-جمال الدين محمد وثابت عبد الرحمان: السلوك التنظيمي ،دار الجامعية الإسكندرية،2002،ص 434.

8- محمد السويدي:علم الإجتماع الثقافي،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الإسكندرية،1997،ص72.

9-عبد الرزاق جبلي :دراسات في المجتمع والشخصية والثقافة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1989،ص73.

10-صبرينة بايود،مرجع سابق،ص23.

13-زين الدين عبد المقصود:البيئة والإنسان علاقات ومشكلات،دار عطوة، القاهرة،1961 ،ص22.

14-رشيد الحمد، محمد السعيد الصباريني:البيئة ومشكلاتها ،سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ،1984،ص32.

15-صبرينة بايود، مرجع سابق،ص24.

16-إبراهيم مذكور:معجم العلوم الإجتماعية ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1975،القاهرة ،ص644.

17-شارلز روث:الثقافة البيئية جذورها وتطورها واتجاهاتها في التسعينيات،ترجمة عبد الله خطابية،هديل محمد الفيصل ، مجلة التعريب الصادرة بدمشق عن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف ، العدد15 ،1998،ص143.

18-عفيفي عبد الفتاح السيد:بحوث في علم الإجتماع المعاصر،دار الفكر العربي ، القاهرة ،1996،ص282.

19-كريم بركات :مساهمة المجتمع المدني في حماية البيئة،أطروحة دكتوراه غير منشورة،جامعة مولود معمري تيزي وزو،2014،ص84

20- عبد الكريم ، محمد السروي:الرقابة الشعبية على سلطة رئيس الدولة 'دراسة مقارنة بين النظامين الدستوري المعاصر والإسلامي'،دار المطبوعات الجامعية الإسكندرية ،مصر ،2009،ص289.

21-جمال الدين علي صالح السيد : الإعلام البيئي بين النظرية والتطبيق ، مركز القاهرة للكتاب 2003.ص93.

22-زهير عابد : دور الإعلام في تنمية الحس البيئي ، مجلة الإذاعات العربية العدد02 ،2008،ص52

23-بشير محمد عربان، أيمن سلمان مزاهرة ، التربية البيئية ، دار المناهج عمان ،2004،ص ص،197.198.

24-رابح الصادق :الوسائط الإعلامية والوعي البيئي،مجلة الإذاعات العربية ،العدد02 ،2008،ص35.

25-بهيس السيد :الإعلام وإدارة الأزمات الدولية، عالم الكتب القاهرة،2010،ص283.

26-عاطف عدلي العبد:الإعلام العماني وقضايا البيئة ،دار الفكر العربي ،1993.ص209.

27-رابح االصادق:مرجع سابق،ص،ص34-35.

28-زهير عبد اللطيف عابد،احمد العايب ابو السعيد، الإعلام والبيئة بين النظرية والتطبيق، دار اليازوردي ، عمان الاردن،2014،ص160.

29-محمد إبراهيم خاطر ،الإعلام والتوعية البيئية، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ،عمان ،ط1 .2016،ص 51.

30-عصام الحناوي:قضايا البيئة في مئة سؤال وجواب ،البيئة والتنمية، بيروت،2004،ص28.

31-سناء محمد الجبور ، الإعلام البيئي ،دار أسامة للنشر والتوزيع ،عمان ط1. 2011،ص95 .

32-شعاع اليوسف :التقنيات الحديثة ،فوائد وأضرار، كتاب الأمة ، العدد112، 2006، ص128.

33-محمد إبراهيم خاطر،مرجع سابق ،ص48.

34-سوزان القليني ،صلاح مدكور ، الإعلام البيئي بين النظرية والتطبيق،دار النهضة العربية،القاهرة،2004، ص69.

المراجع باللغة العربية:

الكتب

-1حسن الساعاتي سامية:الثقافة والشخصية،بحث في علم الإجتماعي الثقافي ،ط4،دار الفكر العربي،2008 .

2-جمال الدين محمد وثابت عبد الرحمان: السلوك التنظيمي ،دار الجامعية الإسكندرية،2002.

3- السويدي محمد :علم الإجتماع الثقافي،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الإسكندرية،1997.

4- جبلي عبد الرزاق :دراسات في المجتمع والشخصية والثقافة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1989.

5-زين الدين عبد المقصود:البيئة والإنسان علاقات ومشكلات،دار عطوة، القاهرة،1961 .

6- روث شارلز :الثقافة البيئية جذورها وتطورها واتجاهاتها في التسعينيات،ترجمة عبد الله خطابية،هديل محمد الفيصل ، مجلة التعريب الصادرة بدمشق عن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف ، العدد15 ،1998.

7- السيد عفيفي عبد الفتاح:بحوث في علم الإجتماع المعاصر،دار الفكر العربي ، القاهرة ،1996.

8- السروي محمد ، عبد الكريم ، لرقابة الشعبية على سلطة رئيس الدولة 'دراسة مقارنة بين النظامين الدستوري المعاصر والإسلامي'،دار المطبوعات الجامعية الإسكندرية ،مصر ،2009..

9- السيد علي صالح، جمال الدين الإعلام البيئي بين النظرية والتطبيق ، مركز القاهرة للكتاب 2003.

10- عربان بشير محمد ، أيمن سلمان مزاهرة ، التربية البيئية ، دار المناهج عمان ،2004.

11- السيد بهيس:الإعلام وإدارة الأزمات الدولية، عالم الكتب القاهرة،2010.

12- العبد عاطف عدلي:الإعلام العماني وقضايا البيئة ،دار الفكر العربي ،1993.

13- عابد زهير عبد اللطيف ،احمد العايب ابو السعيد، الإعلام والبيئة بين النظرية والتطبيق، دار اليازوردي ، عمان الاردن،2014.

14- خاطر محمد إبراهيم ،الإعلام والتوعية البيئية، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ،عمان ،ط1 ،2016.

15- الحناوي عصام:قضايا البيئة في مئة سؤال وجواب ،البيئة والتنمية، بيروت،2004.

16- الجبور سناء محمد ، الإعلام البيئي ،دار أسامة للنشر والتوزيع ،عمان ط1. 2011.

17- اليوسف شعاع:التقنيات الحديثة ،فوائد وأضرار، كتاب الأمة ، العدد112، 2006.

18- القليني سوزان ،صلاح مدكور ، الإعلام البيئي بين النظرية والتطبيق،دار النهضة العربية،القاهرة،2004.

المعاجم والقواميس:

1-محمد منير حجازي:الموسوعة الإعلامية ،دار الفجر للنشر والتوزيع،2003.

2-إبن منظور : لسان العرب،دار المعارف القاهرة ،1999.

3- مذكور إبراهيم:معجم العلوم الإجتماعية ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1975،القاهرة

-المجلات:

1- الصادق رابح :الوسائط الإعلامية والوعي البيئي،مجلة الإذاعات العربية ،العدد02 ،2008.

2- عابد زهير: دور الإعلام في تنمية الحس البيئي ، مجلة الإذاعات العربية العدد02 ،2008.

3- الصباريني محمد السعيد رشيد الحمد،:البيئة ومشكلاتها ،سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ،1984.

الرسائل غير المنشورة:

1- بركات كريم:مساهمة المجتمع المدني في حماية البيئة،أطروحة دكتوراه غير منشورة،جامعة مولود معمري تيزي وزو،2014،.

2- بايود صبرينة: دور المؤسسات الإجتماعية في ترسيخ ثقافة بيئية للحفاظ على نظافة البيئة الحضرية، أطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة الجزائر 2، 2015.

المراجع باللغة الأجنبية:

1-Beneto, P :la sociologie des entreprises, Ed seuil ,Paris 1999.

-2Parsons ,T : Essays in sociological theory,Glencoe Illinois.

3-Crozier Michel ,Exort Fied berg :L'acteur et le système, Ed seuil 2em edition, Paris 1993.

التنمية في ظل المتغيرات العالمية (من التنمية الاقتصادية إلى التنمية المستدامة)

د: رحالي حجيلة جامعة تيبازة

الملخص:

يجد المتتبع لتاريخ التنمية على الصعيد العالمي والإقليمي انه طرا تطور مستمر وواضح على التنمية بوصفها مفهوما ومحتوى، وكان هذا التطور استجابة واقعية لطبيعة المشكلات التي تواجهها المجتمعات، وانعكاسا حقيقيا للخبرات الدولية التي تراكمت عبر الزمن في هذا المجال.

وبشكل عام يمكن تمييز أربع مراحل رئيسية لتطور مفهوم التنمية ومحتواها في العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى وقتنا الحاضر، انطلاقا من التنمية الاقتصادية إلى التنمية المستدامة، وعموما تعتبر التنمية المستدامة اعم واشمل من التنمية الاقتصادية ، لكن يتبادر في دهننا تساؤلات تتمثل بصيغة كيف؟ و لماذا؟.

وللإجابة عن هذه الأسئلة يتضح في هذا المقال العلمي، الذي يهدف إلى الحديث عن كيفية انتقال التنمية بوجه عام من التنمية الاقتصادية، إلى التنمية المستدامة من جهة، ومن جهة أخرى،
تفسير أهم التطورات والتغيرات التي طرأت على مفهوم التنمية .

Résumé :

Le développement à la lumière des variables mondiales (du développement économique au développement durable)

Un adepte de la genèse du développement à l'échelle mondiale et locale, découvrira une claire et constante évolution du développement en tant que concept et contenu. Cette évolution est une réponse réelle à la nature des problèmes confrontés par les sociétés, et un reflet réel des expertises internationales accumulées dans ce domaine en question et au fil des années.

D'une manière générale, on distingue quatre grandes phases de l'évolution du concept du développement et de son contenu a travers le monde, depuis la fin de la Seconde Guerre mondiale à ce jour et du développement économique au développement durable. Le développement durable est généralement considéré comme étant plus général et plus global que le développement économique, cependant des questions sont à

sustainable development. This latter is considered as broader and more general than the economic development, however, questions are raised: How? and Why?

To answer these questions, it is clear through this research article, which aims to discuss the transition of development in general, from the economic development to sustainable development on the one hand, the analysis of the developments and the most important changes of which the development concept suffered from, on the other hand

soulever dont : comment ? et pourquoi ?

Pour répondre à ces questions, il est clair à travers cet article scientifique, qui vise à débattre le passage du développement de manière générale, d'un développement économique à un développement durable d'une part ; et d'autre part، l'explication des évolutions et des changements les plus importants qu'a subit le concept du développement lui-même

Abstract:

Development in the light of the global variables (from economic development to sustainable development)

The follower of the development genesis, on global and local scale will find out a clear and evolving development as a concept and content, this evolution is a real answer to the problems faced by communities, and a real reflection to the international skills accumulated, over the years, in this field.

We can generally distinguish four main phases in the evolution of the development concept and its contents, in the world since the end of World War II to present, from the economic development to

مقدمة:

إذا كانت التنمية تعد هدفا رئيسيا للسياسة العامة في المجتمع، فانه يجب أن تكون فكرة التنمية قائمة ومنسجمة تماما مع الفلسفة في ذلك المجتمع بالنسبة للنمو الاقتصادي وأساليبه والسرعة التي يجب تحقيق الهدف فيها، كما يعبر عن ذلك القادة والمشرعون و واضعو السياسة، كما أن على سياسة التنمية وأهدافها أن تستند على أنظمة قائمة ومقبولة، وان تكون هذه الأنظمة ذاتها منسجمة مع أهداف التنمية والتغيرات التي ستحدثها، وفي الوقت نفسه لا بد وان يكون المسؤولون عن إدارة مشروعات التنمية وتطبيقها هم أيضا مقتنعين بأهداف السياسة ومتفقين على نتائجها المتوقعة، وإذا كانت هناك خلافات وتناقضات بين هذه الشروط والأوضاع القائمة، فسيكون الفشل أكثر احتمالا من النجاح، وسيصبح التناقض بين الشروط اللازمة والأوضاع القائمة بمثابة الأزمة التي يجب إيجاد حل لها قبل أن يكون بالإمكان تحقيق مشروعات التنمية.

يمكن القول بان رسم سياسة التنمية في مجتمع ما يجب أن تعي ضرورات الحاضر وتراث الماضي وتطلعات المستقبل .

إن عمليات التنمية تعتبر القاعدة التي تسعى إلى تحقيقها الدول في العالم لإحداث تغيرات جذرية وفي شتى المجالات التنموية، في محاولة لنقل القطاعات الإنتاجية إلى حال أفضل والسعي إلى توفير حياة كريمة للإنسان، هذه الأهداف التي ترغب كل دولة في تحقيقها من خلال برامجها وخططها التنموية تعتبر من أفضل الأهداف التي يتوجب على كل دولة أن تعمل للوصول إليها، ولكن الجهود المبذولة والإمكانيات المتوفرة، تختلف من دولة إلى دولة أخرى، فهناك مجموعة الدول المتقدمة التي استطاعت من خلال ما بذل من جهود تنموية أن تصل إلى مستويات متقدمة، وهناك مجموعة أخرى وهي الدول النامية ما زالت تبذل المزيد من الجهود لمحاربة التخلف والخروج من حلقاته.

فظاهرة التخلف هي إشارة إلى عدم توافر شروط النمو والتنمية، وبالتالي، قد يكون التخلف نتيجة تعطيل العمل الجاد الهادف إلى تحسين حياة الإنسان داخل المجتمع، وهذا التعطيل قد يكون نتيجة لقوة خارجية طبيعية أو بشرية، كما هو الحال في أوقات الكوارث والحروب، أو كما حصل في ظل السياسات الاستعمارية، أو قد يكون

التخلف حصيلة عدم توافر المنطقية والوعي وعدم توافر السرعة والقوة لمجابهة المتغيرات البيئية المحيطة أو مواجهة التحديات، فعدم القدرة على مواجهة التغيرات المحيطة يعني التأخر والتخلف.

أما التنمية، فهي عملية شاملة، تتناول كل الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، حيث يشير أي قصور في هذه الجوانب إلى التخلف والتراجع، لذلك فان التنمية تقوم على الأخذ بكل المتطلبات، وذلك للقضاء على التخلف ومحاربة جميع أشكاله، حيث يشير مفهوم التخلف إلى حالة ذات خصائص مناقضة ومعاكسة لحالة التقدم، فمفهوم التخلف ينطبق على معظم الدول النامية، إذ لا يقتصر التخلف على قطاع إنتاجي واحد، بل يمتد إلى كافة القطاعات الأخرى، وتظهر مؤشرات هذا التخلف على شكل تراجع في مستوى الدخل القومي وانخفاض الإنتاجية، وتناقص معدلات تراكم رأس المال، وتراجع معدلات النمو الاقتصادي، وهذه مؤشرات دالة على وجود التخلف.

ويقاس التخلف من خلال ملاحظة الهوة أو الفجوة بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة، فعملية اختصار هذه المسافة، تعني أن الدول المتخلفة قد قطعت شوطا كبيرا نحو التقدم، وفي ظل هذه المفاهيم، يمكن النظر إلى التخلف على انه-حالة مجموعة من الدول تجمعها خصائص مشتركة أهمها انخفاض الدخل، والنمو، ومعدلات المعيشة، إضافة إلى تراجع وضعف مساهمات القطاع الخاص في النمو، وفي التشغيل، وفي توفير النقد، كذلك يمكن اعتبار أن هذه الحالة سوف تؤدي إلى تراجع في مستويات المعيشة وارتفاع معدل الوفيات، وزيادة نسبة الفقر بين المواطنين وسيطرة قيم اجتماعية على سلوكيات الناس .

1- ماهية التنمية:

ا-مفهوم التنمية:

إن محاور التنمية وأبعادها تعتبر متداخلة ومتفاعلة، وكنتيجة لهذا التفاعل والاختلاف، تعددت المحاولات لوضع تعريف واضح لمفهوم التنمية، فهناك من حاول ربطها بالبعد الاقتصادي وأخر ربطها بالبعد الاجتماعي...وهناك من حاول ربطها بالبعد الثقافي والسياسي، والسبب وراء هذه الاختلافات، هو أن كل فريق حاول إثبات وجهة

نظره، فالاقتصاديون ركزوا على الجانب الاقتصادي، أما مفكرو الاجتماع فقد تركزت محاولاتهم على الجانب الاجتماعي في وضع تعريف التنمية.

لذلك فانه من الصعب تصور تنمية اقتصادية مع وجود تخلف إداري أو سياسي أو اجتماعي أو ثقافي، تتمثل في مجموعة من الروابط أو بنسيج من العوامل السياسية والاقتصادية والإدارية والثقافية والاجتماعية.

فالتنمية تمثل التقدم الذي يطرأ على المجالات الحياتية، لتحسين المجال الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي، الأمر الذي يساعد على تحديد مفهوم واضح للتنمية في أنها عبارة عن تحقيق زيادة متسارعة ومتراكمة ودائمة عبر فترة من الزمن، مما يساعد على تحديد مفهوم أخر للتنمية، يتمثل في قدرة المجتمع على الاعتماد على نفسه وتطوير قدرات أفراده مع ضرورة التركيز على أولوية تعبئة الموارد المحلية وصناعة معدات ووسائل الإنتاج وبناء قاعدة علمية وتكنولوجية محلية بكل متطلباتها من نشر المعارف وتكوين المهارات وتأهيل الكوادر البشرية القادرة على المساهمة في تحقيق التنمية .

ب-تعريف التنمية:

فالتنمية تتطلب ضرورة التركيز على المشاركة والديمقراطية خاصة في عمليات صناعة القرار وتحمل المسؤولية اتجاه الأفراد والمؤسسات والمجتمع بشكل يساعد على تحقيق التنمية الحقيقية واللازمة لبناء الإنسان ومساعدته في الوصول إلى أهدافه وتحسين مستوى حياته.

وقد ظهرت تعاريف متعددة للتنمية حيث يعرفها والت روستو -بأنها تخلي المجتمعات المتخلفة من السمات التقليدية السائدة وتبني الخصائص السائدة في المجتمعات المتقدمة

وفي تعريف أخر لهيئة الأمم، تعرف التنمية على أنها-العمليات التي يمكن بها توحيد جهود المواطنين والحكومة لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات المحلية ومساعدتها على الاندماج في حياة الأمة والمساهمة في تقدمه بأقصى قدر مستطاع

وفي تعريف أخر لماركس-التنمية هي عملية ثورية تتضمن تحولات شاملة في البناءات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقانونية فضلا عن أساليب الحياة والقيم الثقافية

ويعرفها أبو النجا على أنها- عمليات اجتماعية واقتصادية تستهدف رفع مستوى معيشة الشعب لكي يصل إلى مستوى معيشة الشعوب والبلاد المتقدمة حضاريا-

ويعرفها عامر الكبيسي على أنها-حالة عقلية وعقلانية محددة الأبعاد ومعروفة المعالم تطرح من قبل المؤسسات والمجتمعات كبديل للواقع القائم وكهدف يمكن تحقيقه في المستقبل المنظور .

ويعرفها حسن شحاتة، الجهود المنظمة التي تبذل وفق تخطيط مرسوم للتنسيق بين الإمكانيات البشرية والمادية المتاحة في وسط اجتماعي معين بقصد تحقيق مستويات أعلى للدخل القومي والدخول الفردية ومستويات أعلى للمعيشة والحياة الاجتماعية ومن ثم الوصول إلى تحقيق أعلى مستوى ممكن من الرفاهية الاجتماعية

وبناء على ما سبق فانه يمكن الاستنتاج من التعاريف المذكورة أن التنمية هي: نقلة نوعية وكمية من وضع إلى وضع أخر أفضل منه وفي جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والبيئية والإدارية والصحية والتكنولوجية.

2-مراحل تطور مفهوم التنمية، وتتمثل في:

ا-التنمية بوصفها مرادفا للنمو الاقتصادي:

تميزت هذه المرحلة التي امتدت تقريبا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى منتصف العقد السادس من القرن العشرين بالاعتماد على إستراتيجية التصنيع وسيلة لزيادة الدخل القومي وتحقيق معدلات نمو اقتصادي مرتفعة وسريعة، وقد تبنت بعض الدول استراتيجيات أخرى بديلة بعدما فشلت إستراتيجية التصنيع في تحقيق التراكم الرأسمالي المطلوب، والذي يمكن أن يساعدها في التغلب على مشكلاتها الاقتصادية والاجتماعية المختلفة، ومن هذه الاستراتيجيات المعونات الخارجية، والتجارة من خلال زيادة الصادرات .

ب-التنمية وفكرة النمو والتوزيع:

غطت هذه المرحلة تقريبا الفترة من نهاية الستينات وحتى منتصف العقد السابع من القرن العشرين، وبدا مفهوم التنمية فيها يشمل أبعادا اجتماعية بعدما كان

يقتصر في المرحلة السابقة على الجوانب الاقتصادية فقط، ففذ أخذت التنمية تركز على مشكلات الفقر والبطالة واللامساواة من خلال تطبيق استراتيجيات الحاجات الأساسية والمشاركة الشعبية في إعداد خطط التنمية وتنفيذها ومتابعتها.

ج-التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة(الكاملة):

إذا كانت التنمية الاقتصادية تركز جهودها على تنمية الموارد المادية أكثر كما أنها تهدف إلى الاستغلال الأمثل لجميع الموارد المادية في المجتمع وذلك للعمل على زيادة الإنتاج، فان التنمية الاجتماعية تركز على تنمية الموارد البشرية أكثر من غيرها من الموارد، وإذا كانت الموارد الطبيعية والمادية والتكنولوجية مهمة للتقدم الاقتصادي للتنمية الاقتصادية، فان العنصر البشري يلعب أهم الأدوار في توزيع عناصر الإنتاج في المشروعات المختلفة وفي تمويلها وإنتاجها.

ويرى بعض الباحثين أن عملية التنمية هي عملية اقتصادية بالدرجة الأولى وامن مجال الاجتماعي يدخل ضمن هده العملية بينما يجد بعض الباحثين أنها عملية ذات هدف اجتماعي شامل يحمل في طياته الجوانب المجتمعية الأخرى وضمنها- الاقتصاد- وهناك فريق ثالث يرى أن التنمية هي عملية اقتصادية اجتماعية.

وفي ذلك يقول البرت مايير-أن التنمية الاقتصادية هي حجر الزاوية في تنمية المجتمع، وبدونها يصبح البرنامج التنموي عقيما لا جدوى فيه، لان عملية تنمية المجتمع إذا لم تعتمد أساسا وبصفة جوهرية على تحسين الأحوال الاقتصادية فإننا نعجز عن تقديم الخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية اللازمة لرفع مستوى معيشة المواطنين.

بينما يذهب أخر إلى أن الهدف من تنمية المجتمع هدف اجتماعي أولا وقبل كل شيء، وان التنمية الاقتصادية هي في الحقيقة نتاج المعرفة، وان تصح أبدان مواطنيه من الأمراض والعلل، وان يرفع وعي التقدم الاجتماعي، لان المجتمع الجاهل المريض يجب أن يخرج أولا من ظلام الجهل إلى المستوى الذي يجعلهم قادرين على المساهمة في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

إن عملية التنمية لا يمكن أن تحقق الأهداف الموضوعة ما لم تتزاوج عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية معا لتنصهر في بوتقة واحدة وفي وقت واحد، والحقيقة انه من الناحية العملية والتطبيقية ليس هناك خط فاصل بين أهداف التنمية

الاقتصادية وأهداف التنمية الاجتماعية، ولا يمكن أن تحدث احدهما دون الأخرى، فكل منهما يكمل الأخر ويرتبط به، ولكل مشروع من مشروعات التنمية الاقتصادية صفة اجتماعية وهدف اجتماعي، وكذلك لكل مشروع اجتماعي هدف اقتصادي مما يؤكد ارتباطهما وتكاملهما.

و امتدت هذه المرحلة تقريبا من منتصف السبعينات إلى منصف ثمانينات القرن العشرين، وظهر فيها مفهوم التنمية الشاملة، التي تعني تلك التنمية التي تهتم بجميع جوانب المجتمع والحياة، وتصاغ أهدافها على أساس تحسين ظروف السكان العاديين وليس من اجل زيادة معدلات النمو الاقتصادي فقط، بمعنى أنها تهتم أيضا بتركيب هذا النمو وتوزيعه على المناطق والسكان

ولكن السمة التي غلبت على هذا النوع من التنمية تمثلت في معالجة كل جانب من جوانب المجتمع بشكل مستقل عن الجوانب الأخرى ووضعت الحلول لكل مشكلة على انفراد، الأمر الذي جعل هذه التنمية غير قادرة على تحقيق الأهداف المنشودة في كثير من المجتمعات، ودفع إلى تعزيز مفهوم التنمية المتكاملة التي تعنى بمختلف جوانب التنمية ضمن اطر التكامل القطاعي والمكاني.

د-التنمية المستدامة:

منذ بداية ثمانينات القرن الماضي بدا العالم يصحو على ضجيج العديد من المشكلات البيئية الخطيرة التي باتت تهدد أشكال الحياة فوق كوكب الأرض، وكان هذا طبيعيا في ظل إهمال التنمية للجوانب البيئية طوال العقود الماضية، فكان لا بد من إيجاد فلسفة تنموية جديدة تساعد في التغلب على هذه المشكلات، وتمخضت الجهود الدولية عن مفهوم جديد للتنمية عرف باسم التنمية المستدامة، وكان هذا المفهوم قد تبلور لأول مرة في تقرير اللجنة العالمية للبيئة والتنمية والذي يحمل عنوان مستقبلنا المشترك ونشر لأول مرة عام 1978.

انتشر مفهوم التنمية المستدامة بشكل سريع في أنحاء المعمورة، وأصبح الكثير من الناس يستخدمون المصطلح، وقد ارتبط ظهور التنمية المستدامة بنوعين من المشكلات التي تواجه معظم دول العالم، وهذه المشكلات هي:

*الانتشار الواسع والمتزايد للفقر.

*التدهور المستمر للبيئة الطبيعية.

ويتطلب حل المشكلة الأولى إعادة هيكلة الاقتصاد المحلي للحد من النفقات الخارجية حسب الطرق التقليدية، ومعروف أن الاقتصاد القومي يمتاز عادة بنمو مستمر في الناتج المحلي الإجمالي، والذي يقاس بالدخل الحقيقي للفرد، وهذا النمو يمكن أن يزداد من خلال زيادة إنتاج وتسويق كميات كبيرة من السلع والخدمات، أما حل المشكلة الثانية فيطلب وقف تدهور الموارد الطبيعية مثل: تدهور التربة وانجرافها، التغيرات المناخية، تسارع معدلات الإصابة بالسرطان....، وبغير هذا الوقف فان صحة وحياة جميع البشر سيلحق ها الضرر ليس فقط في الوقت الحاضر وإنما في المستقبل.

إن التنمية المستديمة بوصفها فلسفة تنموية جديدة قد فتحت الباب أمام وجهات نظر جديدة بخصوص مستقبل الأرض التي نعيش عليها، إن النمو ليس هو التنمية ومن الخطأ أن يستخدم المصطلحان مترادفين، فالتنمية هي محاولة لتحقيق أهداف اقتصادية واجتماعية من خلال عمليات تغيير محددة كما ونوعا، ومن ثم فهي لا بد أن تحقق تقدما وتحسنا في مستويات معيشة السكان في مكان وزمان محددين، وليس بالضرورة أن تنتج التحسينات نفسها عن عملية النمو الاقتصادي لان عدم وجود نمو اقتصادي في مجتمع ما لا يعني بالضرورة عدم وجود تنمية فيه.

3-من التنمية الاقتصادية إلى التنمية المستديمة:

لشرح هذا العنصر لابد من التطرق أولا وقبل كل شيء إلى الحديث عن تعريف مفهوم التنمية المستديمة.

ا-التنمية المستديمة، الأصل والمعنى اللغوي:

يعود أصل مصطلح الاستدامة إلى علم الايكولوجي، حيث استخدمت الاستدامة للتعبير عن تشكل وتطور النظم الديناميكية التي تكون عرضة-نتيجة ديناميكيتها-إلى تغيرات هيكلية تؤدي إلى حدوث تغير في خصائصها وعناصرها وعلاقات هذه العناصر بعضها ببعض، وفي المفهوم التنموي استخدم مصطلح الاستدامة للتعبير عن طبيعة العلاقة بين علم الاقتصاد وعلم الايكولوجي على اعتبار أن العلمين مشتقان من نفس الأصل الإغريقي، حيث يبدأ كل منهما بالجذرEco والذي يعني في العربية البيت أو المنزل، والمعنى العام لمصطلح Ecologyهو دراسة مكونات البيت، أما مصطلح Economy فيعني إدارة مكونات البيت.

ولو افترضنا أن البيت هنا يقصد به مدينة أو إقليم أو حتى الكرة الأرضية، فان الاستدامة بذلك تكون مفهوما يتناول بالدراسة والتحليل العلاقة بين أنواع وخصائص مكونات المدينة أو الإقليم أو الكرة الأرضية وبين إدارة هذه المكونات.

أما في اللغة العربية وبالرجوع إلى المعنى اللغوي الذي هو المدخل الرئيس الذي يساعد على سبر أغوار هذا المفهوم ويساعد في تحديد المعنى الاصطلاحي الدقيق الذي على أساسه يتم فهم المصطلح، فقد جاء الفعل استدام الذي جذره(دوم) لمعان متعددة: التأني في الشيء، وطلب دوامه، والمواظبة عليه، (لسان العرب)/ مادة(دوم)، وكلها في ظني معان مرتبطة بالمعنى الاصطلاحي، فالتنمية تحتاج إلى تأن في رسم سياساتها وديمومة في مشاريعها وأثارها في المجتمع، وبحاجة إلى مواظبة في تنفيذ برامجها للمحافظة على مكتسباتها.

والتنمية المستدامة هي تلك التنمية التي يديم استمراريتها الناس أو السكان، أما التنمية المستديمة فهي التنمية المستمرة أو المتواصلة بشكل تلقائي غير متكلف، وفي العديد من الدراسات العربية المتخصصة استخدم المصطلحان مترادفين، فبعضهم قال بالتنمية المستدامة، وبعضهم الأخر يقول التنمية المستديمة كترجمة للمصطلح الانجليزي Sustainable Development

وتجدر الإشارة إلى أن مصطلح التنمية المستديمة(صيغة اسم فاعل) هي أكثر دقة من مصطلح التنمية المستدامة (صيغة اسم مفعول) وذلك من منظور ما يعكسه المعنى اللغوي في كلا الحالين، لان اسم الفاعل بنية صرفية تدل على الحدث ومحدث الحدث، فحين نصف التنمية بأنها مستديمة، فقد جعلنا ديمومة التنمية راجعة إلى قوى دفع ذاتي نابعة من التنمية ذاتها، فهي محدثة الاستدامة، بينما صيغة اسم المفعول(المستدامة) تدل على الحدث ومن وقع عليه الحدث، وهذا يعني أن ديمومة التنمية راجعة إلى قوى خارجية، لان التنمية هنا وقع عليها حدث الإدامة من الخارج، واستخدم مصطلح التنمية المستدامة أي المستمرة لا يقدم شيئا جديدا في هذا المجال، على اعتبار أن عملية التنمية –التي تعكس البحث عن الأفضل-هي عملية مستمرة بطبيعتها، لان البحث عن الأفضل هو جزء من التكوين التنظيمي للفرد والجماعة وللمجتمع، على صعيد أخر فان واضعي مصطلح Sustainable Development . قالوا بوجود الكثير من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية في عالمنا المعاصر التي

أصبحت تحول دون استمرارية عملية التنمية ، وبالتالي لا بد من قوى دفع ذاتي تديم هذه العملية وفق آلية معينة، وبناء على ذلك يمكننا القول بان مصطلح التنمية المستدامة يعكس فقط مبدأ استمرارية عملية التنمية، بينما يشتمل مصطلح التنمية المستديمة على مبدأ الاستمرارية ويشير بشكل واضح إلى قوى الدفع الذاتي لهذه التنمية والتي تضمن استمراريتها، ونعني بذلك الجهود الإنسانية المتمثلة في المشاركة الشعبية من جهة والاعتماد على الذات في كل جانب من جوانب عملية التنمية من جهة أخرى.

ب-التنمية المستديمة، المفهوم العلمي:

تتعدد تعريفات التنمية المستديمة، فتم ما يزيد على ستين تعريفا لهذا النوع من التنمية.

وعموما مفهوم التنمية المستديمة لأول مرة في تقرير اللجنة العالمية للبيئة والتنمية عام 1987، وعرفت هذه التنمية في هذا التقرير على أنها /تلك التنمية التي تلبي حاجات الحاضر دون المساومة على قدرة الأجيال المقبلة في تلبية حاجياتهم .

وعرف قاموس ويبستر هذه التنمية /على أنها تلك التنمية التي تستخدم الموارد الطبيعية دون أن تسمح باستنزافها أو تدميرها جزئيا أو كليا.

وعرفها وليم رولكزهاوس مدير حماية البيئة الأمريكية على انه/تلك العملية التي تقر بضرورة تحقيق نمو اقتصادي يتلاءم مع قدرات البيئة، وذلك من منطلق التنمية الاقتصادية والمحافظة على البيئة هما عمليات متكاملة وليست متناقضة.

وبالتالي يمكن القول أن التنمية المستديمة تسعى لتحسين نوعية حياة الإنسان، ولكن ليس على حساب البيئة، وهي في معناها العام لا تخرج عن كونها عملية استخدام الموارد الطبيعية بطريقة عقلانية، بحيث لا يتجاوز الاستخدام للموارد معدلات تجددها الطبيعية وبالذات في حالة الموارد غير المتجددة، أما بالنسبة للموارد المتجددة، فانه يجب الترشيد في استخدامها، إلى جانب محاولة البحث عن بدائل لهذه الموارد، لتستخدم لمحاولة الإبقاء عليها أطول فترة زمنية ممكنة، وفي كلا الحالتين فانه يجب أن تستخدم الموارد بطرق وأساليب لا تفضي إلى إنتاج نفايات بكميات تعجز البيئة عن امتصاصها وتحويلها وتمثيلها، على اعتبار أن مستقبل السكان وأمنهم في أي منطقة في العالم مرهون بمدى صحة البيئة التي يعيشونه.

وقد أصبحت الاستدامة –ومنذ قمة الأرض عام1992-مدرسة فكرية تنتشر في أنحاء العالم المختلفة، وخصوصا في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وتتبناها مجموعة من المؤسسات والهيئات الرسمية والأهلية، وتعمل من اجل تطبيقها، وكذلك الحال في العديد من الدول النامية بما في ذلك بعض الدول خصوصا الأردن، وقد نجم عن انتشار أفكار الاستدامة على المستوى العالمي وظهور مفاهيم ومصطلحات جديدة مثل، ثقافة الاستدامة، وفلسفة الاستدامة، أي تلك المجتمعات التي تطبيق التنمية المستديمة وتسعى إلى تحسين الصحة العامة فيها، وتحقيق نوعية حياة جديدة لسكانها على أساس مبدأ العدالة الاجتماعية ومن خلال:

*مكافحة التلوث بأنواعه وأشكاله المختلفة.

*تقليل النفايات الصلبة والسائلة لأقصى حد ممكن.

*زيادة إجراءات حماية البيئة من خلال المحافظة على الموارد الطبيعية واستغلالها بطريقة عقلانية.

*استغلال وتطوير الموارد المحلية بما يخدم الاقتصاد المحلي ويعمل على تحقيق نمو معتدل.

*مكافحة مشكلات التفكك الاجتماعي والفوضى وغياب الأمن واستشراء الخوف.

والملفت للنظر أن الكثير من الناس بمن فيهم بعض المتخصصين والباحثين، يفترض أن التنمية المستديمة ظهرت رد فعل للمشكلات البيئية والخطيرة التي بدا العالم يواجهها نتيجة سياسات واستراتيجيات التنمية المطبقة، ومع أن هذا –إلى حد ما-صحيح ويشكل جزءا من مفهوم التنمية المستديمة، إلا انه لا يعكس محتوى المفهوم كاملا، فالأوضاع البيئية في أي منطقة ليست نتائج فقط ولا يمكن التعامل معها بمعزل عن أسبابها الاقتصادية والاجتماعية، ولذلك كشفت التنمية المستديمة ممثلة بما تطرحه وتعالجه من قضايا بيئية قائمة في أنحاء العالم عن خلل كبير في السياسات والاستراتيجيات التنموية المطبقة وفي كل القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية دون استثناء، وأصبحت هذه المشكلات البيئية أسبابا رئيسية للفقر واللامساواة، وهذا ما تؤكده اللجنة العالمية للبيئة والتنمية التابعة للأمم المتحدة في تقريرها حيث تقول:أن الكثير من اتجاهات التنمية الحالية تؤدي الى إفقار أعداد متزايدة من البشر وتجعلهم أكثر عرضة للأذى، بما تؤدي في الوقت نفسه إلى تدهور البيئة.

فالقضية ليست مجرد مشكلات بيئية يواجهها العالم كما يتصور الكثيرين، بقدر ما هي قضية مرتبطة بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية القائمة في مناطق العالم المختلفة، والتي اصطلح على تسميتها في الأدب التنموي الحديث باسم ظروف التنمية، ذلك أن الحديث عن وقف التدهور البيئي من استنزاف الموارد الطبيعية من خلال استغلالها بشكل عقلاني، يتطلب معرفة تفصيلية بالبيئة الجغرافية(المكانية) للمنطقة المستهدفة بالتنمية، لان هذه المعرفة هي التي يجب أن تقرر خصائص عملية التنمية من خلال أبعادها الرئيسة الأربعة وهي:

***مكان التنمية.**

***كم التنمية.**

***نوع التنمية.**

***مدة التنمية.**

والذي يقرر هذه الأبعاد في نظم التخطيط السائدة في معظم دول العالم هم صناع القرار من سياسيين وإداريين، بغض النظر عن خصائص البيئة الجغرافية في اغلب الأحوال، الأمر الذي يؤدي إلى حدوث اثأر ومشكلات بيئية سالبة مختلفة في أنواعها ودرجات خطورتها، وكما يعتمد الاستغلال العقلاني للموارد على الخصائص الجغرافية لبيئة المنطقة المستهدفة بالتنمية، فانه يعتمد أيضا بدرجة لا تقلل أهمية على ظروف التنمية الأخرى، وهي:

***الوضع الاقتصادي القائم.**

***المستوى التكنولوجي السائد.**

***تركيب وتنظيم المجتمع.**

***القيم والعادات والتقاليد السائدة.**

***الطاقة الفكرية في المجتمع.**

***البيئة السياسية.**

وعليه فان اقتصار الحديث عن الجوانب البيئية عند طرح مفهوم التنمية المستديمة عند بعضهم هو اختزال مشوه لمعنى هذا المفهوم، فالكثير من أنواع التنمية تستنزف الموارد الطبيعية، وهذا الاستنزاف يمكن أن يقود إلى فشل عملية التنمية

نفسها لذلك لا بد أن تعالج المشاكل البيئية بمنظور واسع يشمل الأسباب الكامنة وراء أوضاع الفقر واللامساواة في كل منطقة في العالم.

إضافة إلى هذا يوجد ثلاث رؤى لتنمية المستدامة وهي:

أولا-يمكن اعتبارها على أنها تلك التنمية التي تهيئ للجعل الحاضر متطلباته الأساسية والمشروعة، دون أن تخل بقدرة المحيط الطبيعي على أن يهيئ للأجيال التالية متطلباتهم، أي استجابة التنمية لحاجات الحاضر، دون المساومة على قدرة الأجيال المقبلة على الوفاء بحاجاتها.

ثانيا-وهناك من يرى أنها تنمية متكاملة، ويعتبر الجانب البشري فيها وتنميته هي أولى أهدافها، فهي تراعي الحفاظ على رأس المال البشري والقيم الاجتماعية، الاستقرار النفسي للفرد والمجتمع، حق الفرد والمجتمع في الحرية وممارسة الديمقراطية في المساواة والعدل.

ثالثا- ويمكن النظر لمفهوم التنمية المستدامة من خلال محاور ثلاثة:

*النمو السكاني المعقول. *تنمية راشدة. *بيئة غير مجهدة.

فهذا تعتبر إستراتيجية عالمية ملحة يسعى لتحقيقها المجتمع الدولي باعتبارها قضية أخلاقية إنسانية مستقبلية بقدر ما هي قضية أنية ملحة، لان برامج التنمية الناجحة بمقاييس الحاضر قد تبدو عاجزة عن الاستمرار الأمن بمقاييس المستقبل لأنها برامج تتم على حساب سرعة استهلاك واستنزاف الرصيد الطبيعي للأجيال القادمة.

4-ماهية التنمية المستدامة:

ا-أبعاد التنمية المستديمة:

تتمثل أبعاد التنمية المستديمة طبقا لما ورد بأجندة القرن الحادي والعشرين على النحو التالي:

أولا:البعد الاقتصادي:

-الدول الصناعية في الشمال: تعني التنمية المستدامة إجراء خفض عميق ومتواصل في استهلاك هذه الدول من الطاقة والموارد الطبيعية، إجراء تحولات جذرية في الأنماط الحياتية السائدة، اقتناعها بتصدير نموذجها التنموي الصناعي عالميا.

-الدول الفقيرة: تعني توظيف الموارد من اجل رفع مستوى المعيشة للسكان الأكثر فقرا في الجنوب.

ثانيا-البعد الإنساني والاجتماعي:

تسعى التنمية المستديمة لتحقيق الاستقرار في النمو السكاني، ووقف تدفق الأفراد على المدن، وذلك من خلال تطوير مستوى الخدمات الصحية، والتعليمية في المناطق الريفية، وتحقيق اكبر قدر من المشاركة الشعبية في التخطيط للتنمية.

ثالثا-البعد البيئي:

التنمية المستدامة هي الاستخدام الأمثل للأراضي الزراعية والموارد المائية في العالم، مما يؤدي إلى مضاعفة المساحة الخضراء على سطح الكرة الأرضية.

رابعا-البعد التقني والإداري:

هي التنمية التي تنقل المجتمع إلى عصر الصناعات والتقنيات النظيفة التي تستخدم اقل قدر ممكن من الطاقة والموارد، وتنتج الحد الأدنى من الغازات والملوثات التي تؤدي إلى رفع درجة حرارة سطح الأرض والضارة بالأوزون.

***ويجب الأخذ بعين الاعتبار أن هناك أبعاد أخرى تتمثل في:**

-الوفاء بحاجات البشر، تحقيق الرعاية الاجتماعية.

-الحد من التدهور البيئي.

-الحفاظ على قاعدة الموارد البشرية والطبيعية.

-ويجب التوصل إلى توازن ديناميكي بين التنمية الاقتصادية والاجتماعية وإدارة الموارد وحماية البيئة.

ب-مؤشرات التنمية المستدامة:

هناك العديد من المؤشرات والمرتكزات يمكن تصنيفها من منظور الأبعاد السابقة للتنمية المستدامة فتشمل مؤشرات اقتصادية، واجتماعية، وإنسانية، ومؤشرات خاصة بإدارة الموارد البيئية...

أولا: القضاء على الانفجار السكاني:

ويقصد نمو السكان بمعدلات سريعة جدا لا تتفق مع معدلات التنمية أو القدرات البيئية ويمثل القضاء على الانفجار السكاني مؤشرا لتحقيق التنمية المستدامة.

ثانيا: تحقيق الأمن الغذائي:

تعتبر التنمية الغذائية المحلية هي بعدا أساسيا من أبعاد الأمن الغذائي ويتطلب ذلك إيجاد مخزون استراتيجي لمواجهة التغيرات.

ثالثا: دعم برامج تنظيم الأسرة:

خاصة في الدول التي تتسم بمعدلات نمو سكاني سريعة جدا وهذه البرامج تهدف للحفاظ على البيئة والتوعية والالتزام.

رابع: التخفيف من حدة الفقر:

حيث يعتبر الفقر عدوا ثانيا للتنمية المستدامة وعلاجه يعني حتمية أخلاقية إنسانية للتنمية واستدامتها.

خامسا: دعم دور المرأة في التنمية المستدامة:

باعتبارها هي نصف المجتمع وهي لصيقة بالبيئة وهي محور التنمية وهي ضحية في ذات الوقت وان كانت مهتمة بعداء البيئة.

سادسا: الحد من استنزاف الموارد الطبيعية:

حيث يتحقق من خلال ذلك بيئة مصانة غير مستنزفة.

سابعا: مكافحة التصحر:

حيث أن مشكلة التصحر من القضايا البيئية الملحة في عالمنا المعاصر وبصفة خاصة في البيئات الجافة وشبه الجافة التي تتصف بنظمها الايكولوجية الهشة ويتم مكافحة التصحر من خلال إجراء مسح شامل وتفصيلي للمناطق المتصحرة وضبط النمو السكاني وترشيده بيئيا وضبط وترشيد قطع الأشجار واستزراعها وتنميتها وضبط وترشيد الاستخدام الرعوي وتنميته وترشيد الاستخدام الزراعي ووقف زحف الرمال.

ثامنا: قضية الطاقة:

حيث أن نقص مصادر الطاقة في أي بيئة أو دولة من الدول مشكلة بيئية ملحة يجب التصدي لها لتحقيق امن الطاقة من خلال ترشيد استخدام الطاقة الاحفورية – غير المتجددة- وتنمية مصادر الوقود البيولوجي من خلال خطط وطنية.

تاسعا: النفايات وإعادة التدوير:

ويتم التعامل معها من خلال الردم الصحي-الدفان- الحرق، تدوير النفايات، اتخاذ تكفل تحقيق التنمية المستدامة بتقليل حجم هذه النفايات، فرض الضرائب عليها، التوعية البيئية، تشجيع ودعم الاستثمارات في هذا المجال.

عاشرا: المحميات الطبيعية-الحيوية-:

ويمكن تحقيق التنمية المستدامة من خلال المراقبة البيئية المستمرة للحياة الفطرية، إجراء المزيد من الدراسات والبحوث البيولوجية ودعم التوعية البيئية.

الحادي عشر: الازدهار السياحي: ب

اعتبار السياحة احد مصادر الثروة الهامة في الاقتصاد الوطني.

الثاني عشر: صون الغابات والقضاء على القطع الجائر للأشجار: ب

إنشاء شبكة محميات واسعة الانتشار واستخدام الأشجار القائمة واستغلالها بطرق متنوعة.

الثالث عشر: الحفاظ على الثروة السمكية.

الرابع عشر: الدعوة إلى العمارة الخضراء

ج -أهداف التنمية المستديمة:

تسعى التنمية المستديمة من خلال آلياتها ومحتواها إلى تحقيق مجموعة من الأهداف التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

أولا-تحقيق نوعية حياة أفضل للسكان:

تحاول التنمية المستديمة من خلال عمليات التخطيط وتنفيذ السياسات التنموية لتحسين نوعية حياة السكان في المجتمع اقتصاديا واجتماعيا ونفسيا وروحيا، عن طريق التركيز على الجوانب النوعية للنمو، وليس الكمية وبشكل عادل ومقبول ديمقراطي.

ثانيا-احترام البيئة الطبيعية:

التنمية المستديمة تركز على العلاقة بين نشاطات السكان والبيئة وتتعامل مع النظم الطبيعية ومحتواها على أنها أساس حياة الإنسان، إنها ببساطة تنمية تستوعب العلاقة الحساسة بين البيئة الطبيعية والبيئة المبنية، وتعمل على تطوير هذه العلقة لتصبح علاقة تكامل وانسجام.

ثالثا-تعزيز وعي السكان بالمشكلات البيئية القائمة:

وتنمية إحساسهم بالمسؤولية تجاهها، وحثهم على المشاركة الفاعلة في إيجاد حلول مناسبة لها من خلال مشاركتهم في إعداد وتنفيذ ومتابعة برامج ومشاريع التنمية المستديمة.

رابعا-تحقيق استغلال عقلاني للموارد:

تتعامل التنمية المستديمة مع الموارد الطبيعية على أنها موارد محدودة، لذلك تحول دون استنزافها أو تدميرها وتعمل على استخدامها وتوظيفها بشكل عقلاني.

خامسا- ربط التكنولوجيا الحديثة بأهداف المجتمع:

تحاول التنمية المستديمة توظيف التكنولوجيا الحديثة بما يخدم أهداف المجتمع، من خلال توعية السكان بأهمية التقنيات المختلفة في المجال التنموي، وكيفية استخدام المتاح والجديد منها في تحسين نوعية حياة المجتمع وتحقيق أهداف المنشودة، دون أن ينجم عن ذلك مخاطر واثأر بيئية سالبة، أو على الأقل أن تكون هذه المخاطر والآثار مسيطرا عليها بمعنى وجود حلول مناسبة لها.

سادسا-إحداث تغيير مستمر ومناسب في حاجات وأولويات المجتمع:

وبطريقة تلاءم إمكانية وتسمح بتحقيق التوازن الذي بوساطته يمكن تفعيل التنمية الاقتصادية، والسيطرة على جميع المشكلات البيئية ووضع الحلول المناسبة لها.

د-مبادئ التنمية المستديمة:

تفهم العلاقة بين النمو من جهة والبيئة بما تحويه من موارد من جهة أخرى على أنها علاقة تنافرية أو صراع، ذلك أن تحقيق نمو اقتصادي يعتمد على حماية البيئة ويحتاج لوجود موارد، وإذا ما كانت هذه الموارد مدمرة أو مستنزفة، فانه لا يمكن أن يتحقق النمو بالكم والكيف الذي نريد، كذلك فان المحافظة على الموارد واستغلالها بشكل عقلاني يساهم في حصول النمو الاقتصادي، وهذا يعني أن الجهود الموجهة لحماية البيئة تعزز من حماية التنمية واستمراريتها، إن هذه العلاقة بين النمو من جهة والبيئة من جهة أخرى هي التي حددت المبادئ الأساسية التي قام عليها مفهوم التنمية المستديمة ومحتواها وهذه المبادئ هي:

أولا-استخدام أسلوب النظم في إعداد خطط التنمية المستديمة:

يعد أسلوب النظم شرطا أساسيا لإعداد وتنفيذ خطط التنمية المستديمة، وذلك من منطلق أن البيئة الإنسانية لأي مجتمع بشقيها الطبيعي والبشري ما هي إلا نظام فرعي صغير من النظام الكوني ككل، وان أي تغيير يطرأ على محتوى وعناصر أي نظام فرعي مهما كان حجمه ينعكس ويؤثر تأثيرا مباشرا في عناصر ومحتويات النظم الفرعية الأخرى، ومن تم في النظام الكلي للأرض، لذلك تعمل التنمية المستديمة من

خلال هذا الأسلوب على ضمان تحقيق توازن النظم الفرعية برتبها وأحجامها المختلفة، وبشكل يفضي في النهاية إلى ضمان توازن بيئة الأرض عامة.

ويمكن القول أن استخدام أسلوب النظم في إعداد وتنفيذ خطط التنمية المستديمة هو أسلوب متكامل يهدف للمحافظة على حياة المجتمعات من خلال الاهتمام بجميع جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية ودون أن يتقدم أي جانب على حساب الجوانب الأخرى أو يؤثر فيها بشكل سلبي، فالمشاكل البيئية ترتبط إحداها بالأخرى، فاجتثاث الغابات والأحراش مثلا يؤدي إلى سرعة تدفق المياه السطحية، وهذا بدوره يزيد من انجراف التربة وتعريتها، ويؤدي التلوث والمطر الحمضي إلى تدمير الغابات والمسطحات المائية وبالذات المغلقة، من جانب أخر فان مشكلات البيئة بأنماط التنمية الاقتصادية، فالسياسات الزراعية المطبقة في كثير من دول العالم هي المسؤول المباشر والرئيس عن تدهور التربة واجتثاث الغابات وهكذا.....

ثانيا-المشاركة الشعبية:

التنمية المستديمة عبارة عن ميثاق يقر بمشاركة جميع الجهات ذات العلاقة في اتخاذ قرارات جماعية من خلال الحوار، خصوصا في مجال تخطيط التنمية المستديمة ووضع السياسات وتنفيذها، فالتنمية المستديمة تبدأ في المستوى المكاني المحلي، أي مستوى التجمعات السكانية سواء أكانت مدنا أم قرى، وهذا يعني أنها تنمية من أسفل، يتطلب تحقيقها بشكل فاعل توفير شكل مناسب من أشكال اللامركزية التي تمكن الهيئات الرسمية والشعبية والأهلية والسكان بشكل عام من المشاركة في خطوات إعداد وتنفيذ ومتابعة خططها، ولعل الأسباب التي جعلت من التنمية المستديمة تنمية من أسفل-تبدأ من المستوى المكاني المحلي فالإقليمي فالوطني-تكمن في الدور المتعاظم للحكومات المحلية والمجالس البلدية والقروية التي تصدر يوميا عشرات القرارات التي تخدم حاجات وأولويات المجتمع المحلي وتعمل على تشكيله وفق نمط معين.

خاتمة:

يمكن القول أن موضوع التنمية شغل اهتمام مفكري العالم المتقدم والمتخلف على حد سواء، ففي حين تتقدم الدول الصناعية بخطوات ثابتة على طريق التقدم الاقتصادي، يتعثر الكثير من الدول النامية في تنفيذ خططها، الأمر الذي يؤدي إلى اتساع الفجوة بين الدول المتقدمة والدول النامية.

فقد عرفت التنمية عبر العصور القديمة والحضارات المتعاقبة وعولجت في قضاياها باستخدام أساليب وتقنيات مختلفة، وعني الكثير من الكتاب والمفكرين من مختلف التخصصات العلمية والانتماءات الفكرية بموضوع التنمية حيث ظهرت الاجتهادات والمحاولات الهادفة إلى تحديد العوائق التي تقف أمامها وكيفية إيجاد الحلول الناجعة لها.

هذه المحاولات المبذولة من قبل الكتاب والمفكرين والباحثين للوقوف على مفاهيم العمليات التنموية وأبعادها أدت إلى حدوث إرباكات وتخبط بسبب الاختلاف في خلفياتهم العلمية وانتماءاتهم الحضارية مما حدى بفريدمان القول-بان التنمية تبدو فكرة غامضة بشكل عام، فكل مفكر يحمل المصطلح التنموي إيديولوجيا ترتبط بمجال معرفته الذاتية-

وفي خضم هذا الزخم الفكري ظهرت النظريات الاقتصادية والاجتماعية التي حاولت تفسير المفهوم التنموي بأبعاده وجوانبه المختلفة، فالتنمية هي نتاج التفاعلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية، وهي عملية متداخلة ومستمرة، وذات بعد شمولي تكاملي ديناميكي، والتغير الاقتصادي يترتب عليه تغير اجتماعي سياسي، إذ أن العوامل السياسية لها دور بارز في وضع وتنفيذ السياسات التنموية وفي إعداد خطط التنمية الشاملة، حيث تعتبر التنمية القاعدة الأساسية الأكثر وضوحا في سياسات الحكومة النشيطة وفي محاولاتها إحداث تغيرات جذرية في مختلف القطاعات لتحقيق مستويات معيشية متقدمة للمواطنين، وتتفاوت جهود الحكومات في تحقيق أهدافها التنموية، فهناك من استطاع تحقيق معدلات نمو عالية في معظم القطاعات الإنتاجية، والبعض الأخر ما زالت محاولاتها وجهودها مستمرة من خلال تبنيها خططا تنموية تساعدها على الخروج من دائرة التخلف والسعي إلى تحقيق معدلات نمو عالية.

فالتنمية عملية حضارية تمثل نقلة نوعية في كافة المجالات، ولها أبعاد اقتصادية، إدارية، اجتماعية، ثقافية، تهدف إلى إحداث تغيرات جذرية ونوعية تساعد على تشكيل الكيان القوي المعتمد على ذاته، والتنمية الشاملة تعتبر من المهام و الواجبات الرئيسية التي تسعى إلى تحقيقها الحكومات في الدول المتقدمة والنامية، بهدف إيجاد كيانات مستقلة قوية تخدم الإنسان وكرامته وتحافظ على الشخصية الوطنية، وذلك من خلال محاربة الفقر والجهل وتوفير المعيشة الكريمة للمجتمع لكي يواكب تطور المجتمعات الأخرى، فالإنسان هو غاية التنمية ووسيلتها، وهو القاسم المشترك في كل مجالات التنمية.

أما التنمية المستديمة فتعتبر نهج حياة، وأسلوب معيشة، وفلسفة تقوم على التفكير بطريقة شمولية تكاملية من خلال استخدام أسلوب النظم الكلية والفرعية، وما يربطها من علاقات وتفاعلات وما يترتب عليها من نتائج وعمليات تغذية راجعة مع مشكلات المجتمعات الإنسانية، ذلك إن وضع حل لكل مشكلة على انفراد غير كاف، ولم يؤد إلى تحقيق أهداف التنمية في كثير من المجتمعات في ظل مفاهيم التنمية المختلفة كما حدث في عقود التنمية الماضية، إن تطبيق فلسفة التنمية المستديمة يعني أننا مطالبون بوصفنا سكانا وصناع قرار بتغيير طرق تعاملنا مع الأشياء في بيئاتنا المحلية، والسير في ثلاثة اتجاهات رئيسية هي:

***المحافظة على البيئة.**

***وتحقيق نمو اقتصادي معقول.**

***وتحقيق العدالة الاجتماعية.**

إن السير في هذه الاتجاهات بشكل متوازن وعقلاني سيقودنا إلى تحسين مستويات معيشتنا وضمان حياة جيدة لنا وللأجيال القادمة. .

***خلاصة القول:**

جدول يوضح تطور مفهوم التنمية ومحتواها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

المرحلة مفهوم التنمية الفترة الزمنية/بصورة تقريبية محتوى التنمية ودرجة التركيز أسلوب المعالجة المبدأ العام للتنمية بالنسبة للإنسان

1 **التنمية**:النمو الاقتصادي نهاية الحرب العالمية الثانية-منتصف ستينات القرن العشرين.

-اهتمام كبير ورئيسي بالجوانب الاقتصادية.

-اهتمام ضعيف بالجوانب الاجتماعية.

-إهمال الجوانب البيئية.

معالجة كل جانب من جوانب معالجة مستقلة عن الجوانب الأخرى-افتراض عدم وجود تأثيرات متبادلة بين الجوانب مجتمعة-

-الإنسان هدف التنمية /تنمية من اجل إنسان.

1 **التنمية:** النمو الاقتصادي+التوزيع العادي منتصف الستينات- منتصف سبعينات القرن العشرين -اهتمام كبير بالجوانب الاقتصادية.

-اهتمام متوسط بالجوانب الاجتماعية.

-اهتمام ضعيف بالجوانب البيئية.

معالجة كل جانب من الجوانب معالجة مستقلة عن الجوانب الأخرى افتراض عدم وجود تأثيرات متبادلة بين الجوانب مجتمعة- -الإنسان هدف التنمية/تنمية من اجل إنسان.

-الإنسان وسيلة التنمية/تنمية الإنسان.

3 **التنمية الشاملة:** الاهتمام بجميع الجوانب الاقتصادية والاجتماعية بالمستوى نفسه. منتصف السبعينات-منتصف ثمانينات القرن العشرين.

-اهتمام كبير بالجوانب الاقتصادية اهتمام كبير بالجوانب الاجتماعية.

-اهتمام متوسط بالجوانب البيئية. معالجة كل جانب من الجوانب معالجة مستقلة عن الجوانب الأخرى افتراض عدم وجود تأثيرات متبادلة بين الجوانب مجتمعة- -

الإنسان هدف التنمية/تنمية من اجل إنسان.

-الإنسان وسيلة التنمية/تنمية الإنسان.

-الإنسان صانع التنمية/تنمية بوساطة الإنسان.

4 **التنمية المستديمة:**اهتمام بجميع جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والبيئية بنفس المستوى. النصف الثاني من ثمانينات القرن العشرين وحتى وقتنا الحاضر. اهتمام كبير بالجوانب الاقتصادية.

-اهتمام كبير بالجوانب الاجتماعية.

-اهتمام كبير بالجوانب البيئية.

-اهتمام كبير بالجوانب الروحية والثقافية.

معالجة كل جانب من الجوانب معالجة تكاملية مع الجوانب الأخرى افتراض عدم وجود تأثيرات متبادلة بين الجوانب مجتمعة-

-الإنسان هدف التنمية/تنمية من اجل إنسان.

-الإنسان وسيلة التنمية/تنمية الإنسان.

-الإنسان صانع التنمية/تنمية بوساطة الإنسان.

المراجع والمصادر:

المراجع باللغة العربية

1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت ،1972.
2) احمد ناصيف، دور الإدارة البيئية في تنظيم المردود الاقتصادي للتنمية المستدامة، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر العربي الأول للإدارة البيئية في الوطن العربي، الرباط، 19-200/10/20.
3) أسامة الخولي، الإدارة البيئية والتنمية المستدامة، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر العربي الأول للإدارة البيئية في الوطن العربي، الرباط، 19-200/10/20.
4) انطونيوس كرم، اقتصاديات التخلف، مكتبة دار الثقافة والنشر والتوزيع، الكويت، 1993، ص16.
5) الحداد عوض، الأوجه المكانية للتنمية الإقليمية، دار الأندلس، الإسكندرية، 1993.
6) حسن إبراهيم عيد، دراسات في التنمية والتخطيط الاجتماعي، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص45..
7) خالد مصطفى قاسم، إدارة البيئة والتنمية المستدامة في ظل العولمة المعاصرة، بدون دار النشر، بدون بلد الشر، بدون سنة النشر، ص157.
8) زكي رمزي، المشكلة السكانية وخرافة المالتوسية الجديدة، سلسلة عالم المعارف، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد 84، 1984.
9) السيد الحسيني، التنمية والتخلف، دار المعرفة الجامعية، 1993، ص170-172.
10)صلاح الدين فوزي، الإدارة العامة في عالم متغير ومتطلبات التحديث، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1993، ص284.
11)صلاح عثامنة، التنمية الشاملة مفاهيم ونماذج، مؤسسة دار العلماء، اربد، ط1، 1997، ص1.
12)عامر الكبيسي، التنمية الإدارية-المداخل والنظريات، المجلة العربية للإدارة، 1983، ص4.
13)عبد الرحيم وآخرون، التنمية في الوطن العربي، دار الكندي للنشر والتوزيع، اربد، 1995، ص117.
14)عبد المعطي عساف، إدارة التنمية-دراسة تحليلية، مطابع القدس، الكويت، 1988، ص25
15)عثمان غنيم، التنمية المستدامة-دراسة نظرية في فلسفة المفهوم والمحتوى-مجلة المنار، جامعة آل البيت، الأردن، 2005
16) علي خليفة الكواري، نحو إستراتيجية بديلة للتنمية الشاملة في أقطار الجزيرة العربية المنتجة للنفط، دار المستقبل العربي، القاهرة، 2000، ص45-65.
17)علي لطفي، التنمية الاقتصادية-دراسة تحليلية-مكتبة عين شمس، القاهرة، ص157.
18)فؤاد مرسي، التخلف والتنمية-دراسة في التطوير الاقتصادي-دار الوحدة، بيروت، ط1، 1985، ص36
19)فاروق عبده فليه، التربية وقضية الإنتاج، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1987، ص22.

20)اللجنة العالمية للبيئة والتنمية مستقبلنا المشترك، ترجمة محمد كامل عارف، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، عدد 142،1989 ، ص83،

21)ماجدة أبو زنط، عثمان محمد غنيم، التنمية المستديمة-فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها-دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، 2007، ص22

22)محمد أبو النجا، التنمية الإدارية على طريقة التنمية الشاملة، مجلة الإداري، العدد 22، نوفمبر 1985، ص32.

23)محمد مصطفى، تطبيقات نظم المعلومات الجغرافية وتقنيات الاستشعار عن بعد في التنمية المتواصلة-دراسة حالة إقليم القاهرة الكبرى-، ورقة عمل مقدمة لورشة عمل تطبيقات نظم المعلومات الجغرافية في التخطيط والتنمية المستدامة، القاهرة، 13-2001/2/15.

24)مهدي الحافظ، التنمية البشرية-تطوير المفهوم ودلالاته-مجلة العربي، الكويت، العدد515، ص28-33.

25) موسى اللوزي، التنمية الإدارية، دار وائل، الأردن، ط2، 2002، ص26.

المراجع باللغة الأجنبية:

26) Allbertini, Mécanismes du sous développement et développement, Les édition ouvrières, 2006 .

27)Assidon Else, Les théories économiques du développement, La découverte, Paris, 1992 .

28)Brasseul, Introduction, a l'économie de développement, Armand colin, Paris, 2010.

29)Chantebout, Le tiers monde, Armond colin, Paris, 2011.

30)Sanjayal. Developing countries in the international economy selected papers dependence and underdevelopment. Oxford University.London.1982.p3.

ملخص :

يندرج موضوع دراستنا ضمن الدراسات السوسيولوجية الاجتماعية الثقافية، فالبحث في موضوع الأغنية الجزائرية عامة والأغنية الشعبية القبائلية خاصة، له أهمية بالغة كونهما يدليان عن معلومات مهمة حول المجتمع بصفة عامة، والثقافة بصفة خاصة، فموضوع الأغنية القبائلية أو سوسيولوجية الأغنية القبائلية يعتبر موضوعا ثريا يرفع من قيمة التراث الأدبي والشفوي.

فمهمة الباحث الاجتماعي-هنا– هي تحليل محتوى هذه الأغاني والبحث عن الدلالات الاجتماعية التي تعبُر عنها وهذا ما سنحاول إظهاره من خلال دراستنا هذه.

RESUME :

Le thème de notre étude s'inscrit dans le cadre des études sociologiques, sociales et culturelles. Ceci dit, la recherche entamée dans le domaine de la chanson Algérienne en général et celui de la chanson populaire Kabyle en particulier connait un regain d'intérêt compte tenu de l'importance des informations qu'elle fournit sur la société d'une manière globale et sur la culture d'une manière particulière.

Ainsi, le thème de la chanson Kabyle ou l'aspect sociologique de la chanson Kabyle est un thème très riche car il valorise minutieusement le rang du patrimoine littéraire et oral et le hisse jusqu'au plus haut degré.

Ceci dit, la tache du chercheur sociologue, ici : c'est d'analyser le contenu de ces chansons en question ainsi que de rechercher les significations sociales qu'elles expriment, et ceci est le but de notre présente étude.

ABSTRACT:

The popular Kabylian Song: sociological study of Azzam Slimane songs

The subject of our study falls into the cultural, the social and the sociological studies .The research into the subject of the Algerian song in general and the Kabylian and popular song in particular, cast their great importance. As they revealed different important information about the society in general and the Kabylian culture in particular.

Well, the theme of the kabylian song or the sociology of the Kabylian song is considered as a rich topic, as it raises the level of oral and literature heritage with a great scrutiny and care.

Otherwise, the task of the social researcher -here- consist of analysis social connotations that expressed by them, and this is what we will try to reveal through our study.

مقدمة :

تعتبر الأغنية الجزائرية الجانب الأكثر فنا من ثقافتنا وموضوعا لم يهتم به إلا الصحافيين وهذا ربما يعود إلى قلة الباحثين المتخصصين في هذا الميدان بالرغم من أن الأغنية الوطنية في فترة الاحتلال والثورة.

فتبقى الأغنية الشعبية القبائلية مادة استكشاف تعرفنا بهذا النوع من الغناء كمادة للبحث عن التغيرات الاجتماعية وتأثيرها على الثقافة والتناقضات الاجتماعية الناتجة عن ذلك كون الأغنية فن شعبي يعبر عن أوضاع اجتماعية في فترة معينة من تطور المجتمع نستطيع عبرها فهم الخطاب الشعبي .

فموضوع الأغنية الشعبية القبائلية، ارتأينا اختيار المغني والشاعر الملتزم "سليمان عازم " بحيث كان هدفنا إظهار موقف محتوى هذه الأغنية من بعض القضايا الاجتماعية التي يعيشها الإنسان، أو بالأحرى المواطن الجزائري عامة والقبائلي خاصة، من خلال تحليل هذه الأغاني، ومحاولة الكشف عن مدى مساهمة هذه الأغنية في إيقاظ الوعي والحماس الثوري لدى الشعب أثناء الثورة التحريرية، وكيف ساهمت في بث وترسيخ القيم في نفوس الأفراد.

الإشكالية :

يعتبر الفن بشكل عام ، أحد اللُّوحات التي تعكس صورة المجتمع، أو بعبارة أخرى هو الوعاء الذي يحوي المجتمع ، بحيث يحمل في طياته أهم السمات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية الخاصة به.

أما الغناء عموما فيمثل إحدى هذه السمات، فهو تعبير عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجتمع ، والغناء الجزائري لا يخرج عن هذا النطاق، إلا أنه لا يظهر لنا بطابع واحد وموحد ومنسجم، بل يظهر في عدة أنواع من الغناء والموسيقى المختلفة، في بناءاته وأوزانه حيث يعكس كل نوع الإحساسات الخاصة بكل جماعة محددة، وهو مرآة عاكسة لشعورها ومميزاتها، التي تظهر جليا في اللغة ونمط الحياة وحتى في الصوت والآلات المستعملة.

وتمثل الأغنية القبائلية أحد هذه الأنواع، بطابعها الفولكلوري عامة وارتباطها بنشاطات الحياة اليومية، وهناك أغنية الحرث ، الحصاد ، قطف الزيتون ...إلخ "

ولقد دفع الاختلاف في خطابات المغنيين المنحدرين من أوساط ومناطق مهمشة لغويا، ثقافيا لمنطقة القبائل، لإحياء تراثهم والحفاظ على ثقافتهم، في نماذج ومتطلبات تتماشى والتغيرات الحاصلة في الميادين المختلفة، الاجتماعية والثقافية، السياسية، وبثراء الثقافة الشعبية، تنوعت الفنون كالغناء الذي تنوعت أشكاله وطوابعه، بحيث نجد من بينها الشعبي الأكثر شيوعا وشهرة، وهذا لمحتوى رسائله الهادفة، والذي تعدد مطربوه الذين عملوا على تطويره وإيصاله إلى عامة الناس ومن بينهم " ألحسناوي دروق علاوة ، دحمان الحراشي، الحاج محمد العنقى ، وسليمان عزام " المغني الشاعر كما سماه يوسف نسيب والذي يعتبر نموذجا لدراستنا هذه، التي ستبحث في المضامين الظاهرة والكامنة لهذه الأغاني ، وهذا ما جعلنا نتساءل عن محتوى هذه الأغنية:

هل محتوى الأغنية الشعبية القبائلية لسليمان عزام يعبِّر ويساهم في توعية الأوساط الشعبية وبث القيم لديها ؟

وللإجابة عن هذا التساؤل اقترحنا الفرضية التالية :

محتوى الأغنية الشعبية القبائلية للمغني سليمان عزام تعبَر عن توعية الأوساط الشعبية وتبث قيم لدى بعض الفئات .

تحديد المفاهيم :

الأغنية الشعبية : هي أسلوب يتخذه المغني بهدف اتخاذ موقف اتجاه قضايا اجتماعية ، وأحداث معينة ، كالتنديد بالظلم والدفاع عن الحقوق المهضومة " ، هي وسيلة اتصال بين الأفراد وأسلوب للتعبير تحاول تجسيد المطالب الاجتماعية،السياسية ، والثقافية كما تسعى إلى التعبير عن الآلام والأفراح، فهي تعبر عن الواقع الاجتماعي.

مفهوم الوعي : هو مفهوم فلسفي شغل بال العديد من المفكرين والفلاسفة ، فهو من أبرز محددات المشاركة السياسية والاجتماعية والثقافية . .

هي تعبئة الفرد أو إشعاره وتحريك الشعور والوعي الاجتماعي والسياسي لديه، ليكون يقظا أمام القضايا التي تهمه وتهم مجتمعه.

مفهوم القيم : إنها الحكم الذي يصدره الإنسان على شيء ما، مهتديا بمجموعة المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع ، الذي يحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك.

يعرفها " **كلا كون** " أنها مفهوم تجريدي ظاهر أو ضمني يميز الفرد أو الجماعة للمرغوب فيه اختياراتنا من عدة بدائل ، الطرق ووسائل وأهداف السلوك "

هي تلك الروابط الوجدانية والشخصية التي تربط الشخص واهتماماته فهي مستمرة ومتواصلة عبر المجتمعات بحيث تتناقل عبر الأجيال .

القيم إذن هي الحافز العمل ومبدأ إدراك ومنطق فهم ، ومن هنا نظفي على ظواهر السلوك الإنساني معناه ومبناه "

المنهجية المتبعة :

إن طبيعة المنهج تتحدد في البحوث وفق طبيعة الموضوع دراسته وليس باختيار من الباحث، واختيار منهج معين هو إحدى الخصائص والأسس الهامة في البحث لأنها تبين وتسير الطريق للباحث، فتحقيق صرامة معينة هو جعلها تتماشى مع الأسئلة المطروحة وفرضيات البحث "

« من المتفق عليه على مستوى الإجراءات أن نميز في بحوث العلوم الإنسانية بين تلك التي تهدف إلى قياس الظواهر عن تلك التي تسمح بأخذ معطيات كيفية لا يمكن قياسها أو عدها، لهذا تتطلب المناهج الكيفية والكمية مجموعة من الإجراءات المختلفة» . وعليه ترتبط نجاعة البحث في تحقيق أهدافه العلمية والعملية بالتحكم الجيد بآليات منهجية، باستطاعتها تقديم البحث حسب المعايير المعمول بها.

ولا يخفى على الجميع أن البحث يخضع إلى ثلاثة مستويات*، لا تختلف عن اثنان، جميعها لها خاصية تميزها عن الأخرى، لكنها تتفق في ارتقاء البحث عبر الإشكال، فالبناء ثم التحقيق حيث لكل مرحلة من هذه المراحل أدواتها وتقنياتها، غير أنّها لا تجد فاعليتها بدون ما يكون هناك منهج ملائم يسير عليه البحث، حيث يشير اصطلاحه العلمي إلى أنّه "مجموعة من القواعد التي يتم وضعها بقصد الوصول إلى الحقيقة في العلم" .

فهذه القواعد أو المعايير "تسمح بانتقاء وتنسيق التقنيات" . كما أن إتباع منهج معين في البحث يساعد في وضع "مخطط للشرح" ، هذا المخطط له دور في بناء موضوع البحث من خلال مرحلة الوصف والتصنيف والشرح.

و في حقيقة الأمر، البحث هو الذي يملي على الباحث العملية الفكرية اللازمة، فهو الذي يحدد المنهج الواجب إتباعه ونوعية الدراسة ووسائل جمع البيانات، وعليه هذا البحث فرض علينا استعمال المنهج الكيفي لمعالجة موضوع بحثنا هذا، وذلك حسب طبيعة الطرح الإشكالي المعتمد عليه الذي عادة ما يقترن بالأهداف المراد تحقيقها.

بدا لنا المنهج الكيفي الرئيسي في معالجة موضوع هذا البحث، بالاستعانة بتقنية تحليل المحتوى ، التي وظفت بما يتماشى مع موضوع البحث، " الأغنية الشعبية القبائلية " ،وذلك بهدف التعرف على تاريخ هذه الأغنية، وعلى مدى تأثيرها على المجتمع في المراحل الماضية والأدوار التي لعبتها والقيم التي كانت تحملها آنذاك.

وبهذا بدا لنا المنهج الكيفي هو الأنسب لدراستنا وذلك بتبني تقنية الوصف للتوصل إلى معرفة تفصيلية عن عناصر الظاهرة ، للكشف عن المعاني الخفية والظاهرة لهذا الموضوع ، فهو وصف للظاهرة " عن طريق مواد تحليلها ويوازن بعضها لبعض ويتأمل سيرها وعلاقتها المتبادلة وتطورها ليصل إلى شرح الظواهر بالكشف عن طبيعتها" ،ويعد المنهج أكثر نجاعة لدراسة الظواهر الثقافية في تعقيدها وترابطها.

أما أسلوب تحليل المحتوى الغرض من استعماله هو السعي للكشف وإظهار المعاني الخفية في المضمون، فهو حسب محمد عبد الحميد " مجموعة من الخطوات المنهجية التي تسعى إلى اكتشاف المعاني الكامنة في المحتوى والعلاقات الارتباطية بهذه المعاني" ، كما يعتبر إحدى الطرق والوسائل المنهجية في دراسة مضمون ومحتوى وسائل الاتصال المكتوبة أو المسموعة .

وعليه فالباحث لا بد أن تتوفر فيه ملكة قدرة التحكم في تبني هذه التقنية، التي لا تتأتى إلا عن طريق الخبرة والعمل المستمر بتوظيف تقنية تحليل المحتوى ، وان توفرت فيه هذه الميزة فحتما سيصل إلى نتائج سليمة و صادقة.

وبما أن موضوع دراستنا الأغنية الشعبية القبائلية ، تنقل لما هو سائد في واقع المجتمع ، ولهذا يعتبر هذا المنهج الكيفي الملائم لهذه الدراسة ، إلا أن ذلك لم يمنع من الاستعانة بالمنهج الكمي ، الذي وظف بعد الاطلاع على كتاب " أزلان " (AZLAN) ،للمغني والشاعر سليمان عزام، قمنا بجمع المواضيع التي طرحت في نصوص الأغاني ، فتوصلنا الى اختيار المحاور الأساسية ، وعلى أساسها قمنا بتحديد منهجية البحث ، وجمع المعلومات الخاصة بالموضوع ، وذلك بعد تفكيك نص الأغاني إلى محاور ووحدات التحليل حسب تكرارها وتحليلها تحليلا سوسيولوجيا .وهذا الجدول المبين أدناه يعبر على وحدات تحليل الدراسة .

رقم الأغنية محاور الأغاني وحدات التحليل التي اعتمدت عليها الدراسة

-1- **الأغنية الاجتماعية**

- الظروف الاجتماعية وأثرها في حياة الفرد
- التغير الاجتماعي

-2- **الأغنية الثورية**

- توعية الأوساط الشعبية من السياسة الاستعمارية
- التزام الأغنية بالقضية الوطنية
- الرمزية واستعمالها كوسيلة لتعبير
- التعبير عن الحرية
- قيم وطنية (حب الوطن)

-3- **أغنية الهوية**

- تمجيد الحركة الأمازيغية
- الاهتمام بالهوية الثقافية
- عناصر الهوية
- التراث، الأرض ، الأصل
- اللغة
- التاريخ (تاريخ الأجداد، العادات والتقاليد)

-4- **أغنية الغربة**

- بواعث الغربة
- الهجرة
- الاشتياق والحنين إلى الأرض الأم

-5- **الأغنية الدينية**

- التشبث بالدين
- الاقتداء بالرسول محمد(صلى الله عليه وسلم)
- المدح الديني ، التفرغ إلى الله

-6- **الأغنية العاطفية**

- الحب

• وصف جمال المرأة والغزل بجمالها

• الزواج

مجتمع البحث :

يرى موريس أنجرس أن " أي بحث علمي يجب أن يتوفر على عاملين أساسيين لتحديد المعاينة المستعملة وهما إمكانية التنفيذ والتحقي" .

كما سبق واشرنا عن قراءاتنا حول موضوع الأغنية الشعبية ، كان بالاطلاع على كتاب " أزلان " (AZLAN) ، وكتاب يوسف سنيب بعنوان " سليمان عازم الشاعر"، فبعد إحصاء وجمع هذه الأغاني توصلنا إلى مادة التحليل التي قدرت ب (122)أغنية.

عينة البحث:

تعتبر العينة مجموعة من وحدات البحث، ويعتمد حجمها على طبيعة المجتمع وأغراض الدراسة " ،والعينة تختلف باختلاف طريقة الاختيار.فالعينة المستخدمة في موضوع دراستنا هي العينة الحصصية المنتظمة ، وهي نوع من أنواع العينات الغير الاحتمالية وهي " تقدير الشخصي للباحث في الاختيار الإحصائي من ضمن مجتمع البحث، الذي يقوم على اختيار منتظم لعنصر واحد من أصل مجموعة مرقمة بشكل تكراري دائم" .

التقنية المستعملة:

إن طبيعة الموضوع هي التي تحدد نوع التقنية المستعملة لدراستها ، وموضوعنا الاغنية الشعبية القبائلية استوجب البحث والتحليل ، لهذا اعتمدنا على تقنية واحدة وأساسية ، فكانت تقنية "تحليل المحتوى " وتعرف أيضا بتقنية "تحليل المضمون" ، والتي يعرفها برسلسون على لأنها " أسلوب البحث الذي يهدف إلى الوصف الموضوعي والمنظم والكمي للمحتوى الظاهر للاتصال" ،واستخدامنا لهذه التقنية كان من أجل التحقيق السوسيولوجي لمحتوى الأغاني وذلك باستخراج أهم فئات التحليل ، وكان اختيارنا للفئات باختيار فئات الموضوع ، لنبين هدف الأغنية ودورها ، وفئات التحليل هذه هي التي تجيب عن السؤال: من قال ؟ وماذا قيل ؟

نتائج الدراسة:

توصلنا من خلال تحليلنا للاغاني القبائلية للمغني الشاعر سليمان عزام، أن الإنسان الجزائري عامة والإنسان القبائلي خاصة ، يعيش في وضع يستحيل أن يكون فردا فاعلا وحرا ، نظرا لهذا العالم المهزوز القيم الإنسانية ،عديم العدالة الاجتماعية والحرية

الشخصية، فكان هذا دافعا لهم لاهتمام المغنين والشعراء بهذه الظروف الصعبة والحياة القاسية ، فلجئوا إلى استعمال وسائل للتعبير عن تعطشهم للامان والسكينة في خضام التغيرات الحاصلة داخل المجتمع ، فكانت أغانيهم بمثابة وسيلة للدعوة والتمسك بالسمات الأخلاقية والصبر أمام الشدائد ،والابتعاد عن الرذائل والأخلاقيات ، فالمغني سليمان عزام يحاول بأسلوبه أن يبث قيم أخلاقية وتربوية حتى يجعل الإنسان القبائلي يتفاءل بحياة ومستقبل أفضل، كون زوال القيم الأخلاقية يؤدي إلى اختلال توازن المجتمع.

عرف المجتمع القبائلي تدهور في القيم والمبادئ الأخلاقية الاجتماعية وروح التعاون والتضامن التي كانت تربط أفراد المجتمع فظهر اختلال فقد فيها النظام الاجتماعي البنيات الاجتماعية مما أدى إلى فقدان التوازن الاجتماعي، فظهرت آفات اجتماعية خطيرة الغني يستعبد الفقير، القوي يحتقر الضعيف، الأسرة الممتدة التي كانت تمثل تجمع اقتصادي سواء للإنتاج أو للاستهلاك تحولت إلى غير ذلك.

استعملت الأغنية الشعبية القبائلية، كلمات دالة على مختلف التحولات التي مر بها المجتمع منها (إبْدْل) بمعنى " تغيَر "، و (يٌغالْ) بمعنى " أصبح " ، (زيكْ) بمعنى قديما ، (ثـوُرىً) بمعنى " الآن " كلها كلمات لها دلالة سوسيولوجية عن التغير الاجتماعي ، الذي حصل في المجتمع ، والذي تسعى الاغنية الشعبية بأسلوبها أن تساهم في البقاء وعدم الذوبان أمام هذا التغيير.

عبرت أغنية سليمان عزام عن توعية الأوساط الشعبية في فترة الاستعمار ، فكانت كذاكرة بالأعمال التعسفية التي ارتكبها المستعمر في حق الجزائري ، ونظرا للرقابة التي مورست آنذاك على المغنيين ، استطاع سليمان عزام أن يختار لنفسه أسلوبا يعبر به عن هذه المأساة ، وهو التعبير الرمزي الغير المباشر مثل استعمال كلمة (أَجْراذْ)،أي " الجراد " الذي يستولي على الأخضر واليابس، كذلك كلمة (أُشَـنْ) بمعنى "الذئب " والذي يدل على المكر ، و " الأفعى "التي تدل على وضع المجتمع الجزائري الذي يشرب سموم هذا المستعمر ....إلخ.

عالجت أغنية سليمان عازم مشاكل عديدة منها مشكل الأرض المغتصبة ، الحقوق المهضومة، الجوع ،الفقر، الحرية ، فهي إذن بمثابة سلاح يواجه بها المغني هذه الأحداث.

نستخلص أن للماضي معنى واسع في الأغاني الشعبية القبائلية، بل دوره في الأغنية تمثل قاعدة انطلاق في عملية التوعية، إذ انه يؤكد على وجود هوية وطنية مستقلة

ذات تاريخ عريق لهذا فالمغني سليمان عزام ، يعرفنا بتاريخ البطولي لأجدادنا ، ويطالبنا بالاقتداء بهم واتخاذهم كمثال للمقاومة.

عالجت الأغنية الشعبية مختلف المجلات وميادين الحياة، ومن خلال هذه الدراسة ن توصلنا إلى أن جل المحاور عبرت عن التوعية وبث القيم لدى الأوساط الشعبية، وغرسها في أذهان الأفراد ومنها القيم الثورية، مثل حب الوطن والغيرة عليه،الدفاع عنه، المقاومة، وكذلك تحمل المسؤولية، التضامن، التآزر،الأسس السليمة في الحياة ، الابتعاد عن الرذائل وللأخلاقيات ، قيم أخلاقية وتربوية مثل حب الوالدة واحترامها ،الصبر ، الشرف،وكذلك قيم ثقافية التي تحث على الحفاظ على الهوية الثقافية للفرد،التشبث بحكمة الأجداد ، الأصل والتمسك بالتراث العريق ، التمسك بمقومات الهوية من لغة وتاريخ ودين، التمسك بالعادات والتقاليد، بالإضافة إلى قيم جمالية كالحب والجمال وقيم دينية ، قصد غرس مبادئ الدين وذلك عن طريق الحفاظ على الصلاة ،و ممارسة العمل كعبادة، الابتعاد عن ملذات الدنيا والرذائل .

عبرت الأغنية الشعبية القبائلية عن مساهمتها في توعية الأوساط الشعبية خاصة في فترة المقاومة والثورة، ذلك شأنها شأن التيارات المقاومة الأخرى ، كالأحزاب السياسية، وسائل الإعلام، فكانت أغنيته ملتزمة بالقضية الوطنية ، التي تندرج ضن الثقافة الشفهية ، والتي كان لها صدى كبير في نفوس المواطنين، فأعطت لنا بذلك فكرة عن دور الأدب الشفهي الذي يعتبر ذاكرة الأحداث التاريخية.

كانت بمثابة وسيلة توعية ودفاع ضد سياسة التفرقة والاندماج، فكانت تنادي بالوحدة والتمسك بالدين والأصل والنضال لنيل الحرية والاستقلال ، فهي مرحلة نضج الوعي السياسي والاجتماعي ن لقد ترجمت إيديولوجية تلك الفترة ، بزرع الأمل والوعي بالتعاون لرفض الوضع القائم آنذاك.

إذن محتوى هذه الأغنية جاء كوسيلة للتعبير عن رفض الوضع السوسيو سياسي، الذي حاول بكل إغراءاته أن يطمس شخصية المواطن الجزائري، فكانت السبب المباشر الذي جعل المغني يتيقظ لهذه السياسة، ويطلق العنان لصوته وكلمته لمحاربة المستعمر ورفض نظامه وسياسته.

استعمال الرمزية كأسلوب للتعبير، فأحيانا عبر عن الرفض والقهر الذي مارسه المستعمر وذلك بسبب الرقابة التي فرضت على الفنانين، فكثيرا ما حكم عليهم بالنفي

والإعدام ، وأحيانا أخرى استعملت الرمزية لتعبر عن الجمال والغزل خاصة في وصف جمال المرأة.

وأخيرا كان استنتاجنا العام لنوع التنشئة الاجتماعية والظروف الاجتماعية للمغني دخل في تبني هذا النوع من الغناء كأسلوب للتعبير.

الأغنية القبائلية جزء من الثقافة الفرعية ، وهي ثقافة الجماعة، حيث تشمل كل القيم والمعايير التي يبلورها الأفراد في وسط ثقافي شعبي عام أين تلعب المظاهر الخارجية والإشارات الرمزية دورا هاما في اتخاذ هوية خاصة بهم.

تلعب الأغنية الشعبية دورا مهما كون هذا الفن نابع من أوساط رجالية، بمعنى أنها مجال خاص بالرجال، فهي تساهم بالالتقاء الجماعي، وبالتالي فهي نوع مقبول به في الوسط الاجتماعي، لأنه غناء محافظ ومحتواه العادات والتقاليد المستنبطة من المجتمع.

الأغنية الشعبية القبائلية تملك التنبؤ والرؤية في أعماق الإنسان، كبعض الأغاني التي تعبر عن قضايا وكأنها أنتجت في وقتنا الحالي.

الثورة، الحب، الحياة الاجتماعية، المرأة ، الغربة، هي أهم المواضيع التي تميز الأغنية القبائلية.

تساهم الأغنية القبائلية مساهمة المؤسسات الرسمية والغير رسمية في عملية التنشئة الاجتماعية للفرد

بالرغم التغير الاجتماعي الذي يشهده المجتمع إلا أن الأغنية القبائلية ، مازالت تحمل مجالا واسعا فهي ظاهرة وراثية تنقل عبر الأجيال.

الأغنية القبائلية أغنية ملتزمة بقضايا الفرد والمجتمع.

خاتمة:

من خلال ما درسناه تبين لنا أن موضوع الأغنية الشعبية القبائلية، أكثر أنواع التراث الشعبي قدرة على حمل وترجمة أفكار وحفظ العادات والتقاليد، إضافة إلى المعتقدات الاجتماعية و ذهنيات أفراد المجتمع، فهي مادة حاملة لثقافة المجتمع الذي اتجها وحافظ على بقائها واستمرارها بالتداول والتناقل عبر الأجيال فهي تُترجم واقع فلسفة المجتمع في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية، وذلك بتجسيد القيم والمعايير السائدة داخل المجتمع، وبثها في الأوساط الشعبية بعد تقويمها وفقا لبناء المجتمع.

فهي محاولة لمعرفة الأغنية كوسيلة اتصال بين الأفراد في خضم التغيرات الحاصلة في المجتمع الجزائري،أين أصبحت مجال واسع وحر بجانب الوسائل الأخرى للتعبير عن ما يحتاج الأفراد بمحاولتها تجسيد أهم المتطلبات الخاصة بالواقع الاجتماعي ،كالحرية، التمتع بالحقوق الاجتماعية ، الثقافية ، الديمقراطية،رفض القمع والاضطهاد، فهي إحدى الوسائل التي تتجسد هوية الفرد والتي يشغلها المغني لأغراض تطالبها المرحلة التي ظهر فيها وكيف يستعين بها،في احتجاجه على التناقضات التي ظهرت،وفي أي منظور بوعي الشعب.

وأخيرا يمكن القول أن الأغنية القبائلية، هي الركيزة الأساسية للأدب الشفهي،باعتبارها تحمل مغزى وحكم تتعلق بالتراث،وبحكم تناولها لقضايا واقعية ومهمة متعلقة بالمجتمع الجزائري عامة والقبائلي خاصة، والتي تأتي على شكل قصص وأساطير وتهتم بالنص والكلمات النظيفة والموزونة الأسلوب، والموجهة لكل شرائح المجتمع.

المراجع:

- أنجرس موريس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تر. بوزيد صحراوي، كمال بوشرف وآخرون، دار القصبة للنشر، 2004.
- بوخوش عمار، محمد محمود الزنيبات، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.
- عمار بخوش، محمد محمود الذنيبات ، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط2، 1999.
- فوزية دياب : القيم والعادات الاجتماعية ، بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ن 1980
- قباري محمد إسماعيل ، أسس البناء الاجتماعي ، دراسة وظيفية للنظم الاجتماعية، منشأة المعارف، الإسكندرية ، 1995.
- محمد عارف: المنهج في علم الاجتماع في ضوء النظرية والتكامل المنهجي، مكتبة الانجلومصرية،1975.
- محمد عبد الحميد : تحليل المحتوى في البحوث والإعلام ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1985.
- هبة رؤوف عزت : المرأة والعمل السياسي ، ط 1، و،م،أ، المعهد العالي للفكر الإسلامي ، 1995.

- Angers(M) : Initiation pratique a la méthodologie de science humains ;Ed Casbah ;Alger ; 1997
- Bowra (M) :chant et poésie des peoples primitifs ;Ed Payot. Paris. 1966..
- Cobessi (J) ; la méthode en sociologie ; Casbah ; Edition ; Alger ;1996.
- Dillaz (S.) : Chanson Française de contestation. Éd ;Seghers ; Paris ; 1973.
- Grawitz Madeleine, Méthodes en sciences social, 8Edi paris, Dalloz, 1990..
- Hermlin : chanson « mass media » ;Ed Blonset Gay ; Breuxelles; 1966.
- Mucchielli(M) :L'analyse de contenu des documents et de communications ; Paris ;E.S.F. 5edition ; 1985.

بنية العائلة الجزائرية

أ.د. نصر الدين جابر (جامعة بسكرة) أ. عمارة خيذر (جامعة بسكرة)

الملخص:

تعتبر الدراسات التي تناولت تطور العائلة الجزائرية نادرة جدا، خاصة تلك التي تحاول الخوض في طبيعة العلاقات الموجودة بين أفرادها ودور كل واحد منهم. لذلك فإننا سنحاول في هذا المقال تتبع تطور العائلة الجزائرية بداية من المرحلة قبل الاستعمارية إلى غاية الآن، معتمدين على باحثين نذكر منهم لهواري عدّي، مصطفى بوتفنوشات، نور الدين طوالبي-ثعالبي وبيير بورديو (Pierre Bourdieu).

إلا أننا خلال تناولنا لتطور العائلة الجزائرية لن نتوقف عند تصنيفها من حيث الحجم ممتدة/نووية أو طبيعة العلاقات السائدة بين أفرادها، بل سنحاول تناول هذه العلاقات ضمن مفهوم نسقي يتمثل في "البنية" (La structure) ووفق مفهومي العمودية والأفقية، كي نصل في الأخير إلى تحديد خصائص العائلة جيدة البنية.

ونظرا لكون دراسة وفهم العائلة يمر حتما بدراسة وفهم المجتمع الذي تنتمي إليه هذه العائلة، نرى من الضروري في البداية تقديم نظرة مختصرة حول خصائص المجتمع الجزائري؛ بالإضافة إلى توضيح مفهومي العمودية والأفقية.

Résumé :

La structure de la famille Algérienne

Les études portant sur l'évolution de la famille algérienne sont assez rares, en particulier celles qui étudient la nature des relations qui existent entre ses membres, ainsi que le rôle de chacun d'entre eux. Pour cela, nous allons à travers cet article, suivre l'évolution de la famille Algérienne depuis la phase précoloniale jusqu'à nos jours, en se référant à des chercheurs comme Houari Addi, Mustapha Boutefnouchet, Nourreddine Toualbi, Thaâlibi et Pierre Bourdieu.

Il est à noter, que durant la conception de l'étude sur la famille Algérienne. On ne s'est pas uniquement limite à la typologie simple de la famille en terme de taille: élargie / nucléaire, ou à la nature des relations qui prévalent entre ses membres. Mais, elle sera traitée aussi selon le concept systémique « structure », et ses notions de verticalité et horizontalité. Pour enfin, arriver à déterminer les caractéristiques d'une famille bien structurée.

Abstract:

The structure of the Algerian family

Studies of the evolution of Algerian family are quite rare, especially those who study the nature of the relationships that exist between its members and the role of each of them. For this, we go through this article, follow the evolution of the Algerian family since the pre-colonial phase until nowadays, by referring to researchers like Houari Addi, Mustapha Boutefnouchet, Noureddine Toualbi, Thaalibi and Pierre Bourdieu.

It is noteworthy that dg the design of this study on the Algerian family. It was not only limited to the simple typology of the family in terms of size: extended / nuclear, or the nature of the relationships that exist among members. But it will also be treated according to the systemic concept or "structure" and its notions of verticality and horizontality. To finally get to determine the characteristics of a well-structured family.

Because of the fact that the study and understanding of the family inevitably involves the study and the understanding of the society to which it belongs, we think it is necessary first to give a brief overview of the Algerian society characteristics, further clarifying its notions of verticality and horizontality.

مقدمة

"لا وجود في الواقع لرضيع بمفرده" « Un bébé seul, ça n'existe pas »، هذه العبارة صدرت عن **وينّيكوت** (Winnicott) سنة 1940 خلال اجتماع علمي للجمعية البريطانية للتحليل النفسي (Winnicott, 1989)؛ ويؤكد من خلالها على أنه لا يمكن دراسة وفهم الرضيع إلا من خلال السياق العام لوجوده، الذي يتطلب في هذه الحالة وجود الأم (البيولوجية أو البديلة).

من خلال نفس توجه **وينّيكوت** يمكن القول أيضا أن العائلة لا وجود لها بمفردها في الواقع، وإنما هناك عائلة ضمن مجتمع. لذلك لا يمكن دراسة وفهم هذه العائلة إلا من خلال فهم السياق الاجتماعي الذي تتواجد فيه، أي المجتمع الذي تنتمي إليه هذه العائلة. وهذا ما يتوافق مع آراء **عدّي** عندما يؤكد على أنه من الصعوبة بمكان فصل وعزل العائلة من المجموع الاجتماعي الذي تندرج فيه، وذلك لكونها أول منتج للمعنى وللرابطة الاجتماعية من خلال اللغة والثقافة اللتين تنقلهما إلى الأبناء (Addi, 1999).

لقد تم تناول دراسة العائلة من وجهات نظر مداخل معرفية متعددة، نذكر منها على وجه الخصوص الأنثروبولوجية، الإثنوغرافية والسوسيولوجية؛ غير أننا سنحاول هنا التطرق إلى مفهوم بنية العائلية الجزائرية معتمدين بالإضافة إلى المقاربة السوسيولوجية، على مقاربتي النسقية (Systémique) والتحليل النفسي (Psychanalyse). فمن وجهة النظر السوسيولوجية إن دراسة وفهم العائلة يمر حتما بدراسة وفهم المجتمع، فمهما كانت دقة وقيمة أي دراسة للظاهرة العائلية، فإنه لا يمكنها أن تدّعي كونها بإمكانها أن تفسّر الحركية والتفاعلات داخل هذه العائلة من دون وضعها في سياقها الاجتماعي.

انطلاقا من نفس الرؤية السابقة فإننا من أجل تناول بنية العائلة الجزائرية في هذا المقال، سنقوم أولا بتقديم نظرة حول المجتمع الجزائري بداية من المرحلة قبل الاستعمارية إلى الوقت الحالي معتمدين على دراسات باحثين من بينهم **نور الدين**

طوالبي - ثعالبي، لهواري عدّي، مصطفى بوتفنوشات وبيير بورديو (Pierre Bourdieu). كما نرى أنه من الضروري في البداية توضيح مفهومي العمودية والأفقية، حتى تتوضح أكثر المفاهيم اللاحقة الخاصة بالمجتمع الجزائري وبنية العائلة الجزائرية.

1 – مفهوما العمودية والأفقية:

في البداية يجب التأكيد على أن هذين المفهومين لا يختصان بعلم النفس فقط، وإنما هناك مجالات وتخصصات أخرى تم استعمالهما فيها، ففي الأدب مثلا نجد الكاتب اللبناني **أمين معلوف** (1998) في كتابه "الهويات القاتلة" يصرّح على أنه يودع لدى كل فرد منا نوعان من الإرث، أحدهما عمودي: يأتيه من الآباء، من تقاليد شعبه ومن طائفته الدينية؛ والآخر أفقي يأتيه من عصره، وممن عايشوه (Mekiri, 2011) .

وإذا رجعنا إلى الدراسات السوسيولوجية، السيكولوجية، السيكوسوسيولوجية أو الأنثروبولوجية، فإننا نجد أن مفهومي العمودية والأفقية قد استعملا في العديد من الأبحاث التي تناولت دراسة العائلة. وكانا يعبران دوما عن نوعية العلاقات السائدة بين أفراد العائلة، حيث أن مفهوم العمودية كان يرمز إلى العلاقات العمودية والتي كانت تعني بدورها تلك النوعية من العلاقات التي تربط بين الآباء من جهة والأبناء من جهة ثانية؛ بينما مفهوم الأفقية كان يرمز إلى العلاقات الأفقية والتي كانت تعني تلك النوعية من العلاقات التي تربط بين الإخوة فيما بينهم.

بما أنّ مفهوم العائلة لا يتعدى كونه تلك العلاقات التي تُنظم على المستوين العمودي والأفقي أي بين الآباء والأبناء؛ و بين الأبناء فيما بينهم، فإننا ارتأينا الرجوع إلى هذين المفهومين طوال هذا المقال حيث أننا من خلالهما نحاول التوصل إلى استنتاج خصائص بنية العائلة الجزائرية، إلا أننا لن نتوقف عند حدود العمودية والأفقية في تحديد هذه الخصائص، وإنما سنتبع الرؤيا التي طبقها **مكيري** (2011) في دراسته "المراهق وصدمة الحرب: الجلد والروابط العائلية، دور التصورات العائلية في سيرورة الجلد" وذلك بتجاوزه مفهومي العمودية والأفقية ووصوله إلى العائلة جيدة أو سيئة البنية انطلاقا من المفهومين السابقين.

أما إذا عدنا إلى بدايات التحليل النفسي، فإننا نلاحظ سيطرة مفهوم العمودية عند **فرويد**؛ وكمثال على ذلك رسالته لصديقه **فليس**(Fliess) (في المخطوطة A بدون تاريخ في نهاية 1892) شرح فيها فكرته حول "النروتيكا" (La neurotica) حيث أوضح أن الأمر يتعلق بصدمة جنسية يتعرض لها الطفل قبل سن الرشد من قبل قريب راشد. إذن يتعلق الأمر بشيء يحدث على مستوى لا تماثلي (Asymétrique) بين شخصين يختلفان في السن والنضج وهذا ضمن علاقة عمودية بحتة. حتى وإن تخلى **فرويد** بعد ذلك عن "النروتيكا" في رسالة أخرى كتبها **لفليس** بتاريخ 21- 09- 1897 يخبره فيها أنه لم يعد يعتقد بفكرته السابقة "يجب أن أفضي إليك بالسر الكبير الذي انكشف لي ببطء خلال هذه الأشهر. أصبحت لا أؤمن إطلاقا بالنروتيكا. إلا أنه لم يتخل كليا عن الفكرة الأساسية لنظريته، بل كل ما قام به **فرويد** هو تحويل المشهد العمودي من مشهد واقعي إلى مشهد هوامي (Mekiri, 2011).

إن مفهوم العمودية لم ينقطع ولو للحظة من الفكر الفرويدي، إذ يتواجد هذا المفهوم في التقنية العلاجية التي تعتمد على قوة نفوذ المعالج وقدرته على التأثير في المفحوص، العلاقة التحويلية والتي لها علاقة بوضعية معاشة في مرحلة الطفولة وصلة اللاتماثل بين المُحلِّل والمُحلَّل. كما يتواجد هذا المفهوم أيضا في تاريخ تطور التحليل النفسي ومؤسساته، ويشهد على هذا الصراع الدائر بين **فرويد** ومساعديه وتلامذته.

فيما يخص مفهوم الأفقية فإنه لم يأخذ مكانة مهمة في التحليل النفسي الفرويدي، ماعدا بعض المحاولات البسيطة في حياة **فرويد**، وهذا راجع لمقاومته ضد كل ما يمسّ بالنواة الصلبة للتحليل النفسي والذي يتمثل في الأوديب، هذا الأخير الذي يمثل مفهوم العمودية بامتياز. وسنذكر بعض المحاولات التي قام بها تلامذة **فرويد**، الذين نظّروا ضد مفهوم العمودية؛ من بين هؤلاء **آدلر** (Adler) و**فيرنتزي** (Ferenczi)، فالأول ابتعد عن النظرية الفرويدية لكونه لم يتقبل فكرة إعطاء **فرويد** مكانة كبيرة لعقدة الأوديب في نظريته كمنظم للحياة النفسية، وبحث عن معنى آخر للحياة، للعمل النفسي واختلالاته (Mekiri, 2011).

ففي علم النفس الفردي أعطى **آدلر** مكانة كبيرة لغريزة حب الجاه وحب الظهور وكل ما تولّده من عقدة نقص أو تفوق – والاستعلاء بالنسبة للآخرين في علاقة تماثلية. وكل المشاكل التي قد تصيبنا في حياتنا لها علاقة إما بموقفنا نحو المشابهين لنا، في المهنة، أو الحب، حيث أن كل هذه الأشياء تدور حول نظرتنا لأنفسنا وللعالم المحيط بنا (Adler, 1975). كل هذه الاعتبارات تنتمي لما أسماه **آدلر** بتطور الإحساس الاجتماعي؛ وهنا تتجلى أولوية النظرة الأفقية في نظرية **آدلر**.

أما **فيرنتزي** فقد تطرّق إلى المفهوم الأفقي فيما يتعلق بالإطار العلاجي وذلك لرفضه ما أسماه **فرويد** بالحياد أثناء العلاج . بالنسبة **لقرين** (Green) فإن موقف الحياد الذي اتخذه **فرويد** كان أحد الأسباب التي أدّت إلى ردّة فعل **فرنتزي** والتي ألحقت الضرر بمفهوم العمودية في النظرية الفرويدية. السبب الآخر تم شرحه من قبل **فرنتزي** عام 1932 في كتابه "غموض اللغة بين الراشدين والطفل" (Confusion de langue entre les adultes et l'enfant) أين حاول **فرنتزي** شرح التحويل على أساس كونه أحد أشكال التكرار الناجم عن الصدمة الطفولية. وهذه الصدمة تكون ناجمة عن اعتداء نفسي، أي عدم فهم لغة الأطفال أوالتبعية المفرطة لرغبات الأولياء أو أيضا الحرمان من الحب؛ وهذا لجهل الأولياء لرغبات الطفل (Green, 1990).

وبهذا فإن الحياد الموجه نحو تحويل المفحوص أثناء العلاج يعتبر كحادث صدمي ثاني يحدث أثناء النكوص، واختلاط اللغة الذي عاشه المفحوص أثناء طفولته اتجاه الراشدين يتكرر ثانية في العلاج التحليلي عند مواجهته حياد المحلّل النفسي. حسب **فرنتزي** فالحياد الذي يتبناه المحلّل النفساني سيعقد الأمور وسيحفز ظاهرة التكرار المرضي أثناء العلاج، وهذا ما يعني المقاومة وفشل سير العلاج. هذا التفسير جعل كل من **فرنتزي** و**رانك** (Rank) يعوّضان تقنية الحياد بتقنية أكثر فعالية أثناء العلاج والتي تفترض أن يكون حضور وتدخلات المحلّل النفساني أكثر توجيها وهذا ما سيمنع ظهور العصاب التحليلي ومعاودة معايشة البعد العمودي للأوديب (Mekiri, 2011).

2 – نظرة حول خصائص المجتمع الجزائري:

كما ذكرنا سابقا فإنه لدراسة وفهم البنية العائلية، فلا بد من فهم البنية الاجتماعية حيث تأخذ العائلة من هذه الأخيرة معطياتها ومواردها؛ وتتم هذه العملية من خلال نشاط وديناميكية التفاعل بين الفرد وعائلته ثم بين الأسرة والمجتمع بمعناه الواسع. وهذا ما يؤكده **عدّي** حيث يرى أنه من الصعب فصل وعزل العائلة عن المجتمع الذي انبثقت منه، فهي المنتج المباشر للمعنى والروابط الاجتماعية عن طريق اللغة والثّقافة التي تنقلها للأطفال (Addi,1999).

نظرا لهذه الاعتبارات كان لابد علينا الرجوع إلى خصائص المجتمع التي من خلالها تطورت العائلة الجزائرية؛ علما أننا سنحافظ خلال تقديمنا لهذا الجزء من المقال على نفس النظرة التي سنعالج بها القسم الذي يخص البنية العائلية وهذا حسب مفهوم العمودية والأفقية.

لقد كان الواقع الاجتماعي أثناء مرحلة ما قبل الاحتلال الفرنسي يتّسم بازدواج نمط الحياة الحضري والبدوي، غير أن الحياة الحضرية لم تكن بالمعنى المتعارف عليه حاليا، بل ريفية إلى حد كبير، بحيث أن البلد ريفي مع وجود دائم لتجمعات سكنية حضرية. وتعتبر القبيلة بمثابة الإطار الاجتماعي السياسي داخل المنطق الاجتماعي؛ ذلك أن نمط السكن، وعدم جواز تقسيم أرض الجماعة القبلية النابع من إرادة المجموعة في التكيف مع المعطيات الطبيعية، كل ذلك يثبت وجود نظام يمفصل بنى لا معنى لها إلا داخل منطق هذا النظام، الذي هو المنطق الاجتماعي (Addi, 1985).

كما ساد المجتمع الجزائري في ذلك الوقت تطور ثقافي، يعود إلى بقاء التعليم حرّا من سيطرة الحكام والدولة. فقد كان سكان كل قرية ينظمون بطرقهم الخاصة ووسائلهم الذاتية تعليم القرآن الكريم والحديث والعلوم الإسلامية (خروف، 2002).

اتفقت جميع الدراسات التي تناولت المجتمع الجزائري خلال الحقبة الاستعمارية على أنه كان خاضعا في ذلك الوقت لثقافتين مختلفتين، أولها ثقافة جزائرية تقليدية وهي التي كانت سائدة في المجتمع قبل الاستعمار، وثقافة أوروبية غربية جاء بها

المستعمر الفرنسي، ألصقت بها الكثير من الدراسات خاصة الأنثروبولوجية منها صفة الحداثة.

إذن المجتمع الجزائري في مرحلة الاستعمار كانت تسوده ثقافتان، الأولى تقليدية أنتجت مجتمعا تقليديا شكلت القبائل، العشائر والأسر الأبوية الممتدة الوحدات الاجتماعية القاعدية لهيكله، كما خضعت العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وبين الفئات الاجتماعية لنظام القانون الإسلامي المالكي، إلى جانب الأعراف، التقاليد والعادات السائدة. بينما الثانية فرنسية أوروبية غربية.

إن التقاء هاتين الثقافتين - الجزائرية التقليدية والفرنسية الغربية الحديثة - لم ينتج عنه تحديث للثقافة الجزائرية التقليدية من قبل الثقافة الغربية الحديثة، بل حدث تصادم بينهما ولعل من بين أسباب هذا التصادم هو أن الالتقاء أو الاحتكاك بين الثقافتين لم يكن طبيعيا ولا إراديا، بل كان بصورة قهرية، بقوة السلاح وبقانون القوة. وهذا ما ينتج عنه حسب **باستيد** (Bastide) "ظاهرة تثاقف" دون اكتساب خصائص ثقافية (Phénomène d'acculturation) (Cuche, 2010).

لذلك فإن علاقة الثقافة الفرنسية الغربية الاستعمارية بالثقافة الجزائرية التقليدية لم تكن علاقة تحديث، بل كانت علاقة تدمير، اعتمدت فيها على اغتصاب أراضي الفلاحين وتفتيت النسيج الاجتماعي القبلي، لأن القبيلة باعتبارها وحدة اجتماعية سياسية، شكلت عنصر مقاومة وعرقلة لأهدافها ومخططاتها الاستعمارية التوسعية، منذ أن ولجت أقدام المستعمر أرض الجزائر سنة 1830 م.

لقد عمل الاستعمار الفرنسي في الجزائر على محاولة محو مقومات الشخصية الوطنية المتمثلة في اللغة العربية والدين الإسلامي ووحدة التراب الوطني، وبالتالي فقد سعى إلى تعزيز الغزو العسكري بغزو ثقافي وفكري، وكل ذلك بهدف محاولة تحطيم هذه الشخصية الوطنية للشعب الجزائري، حتى يجرده من أهم وسائل المقاومة المعنوية والتصدي للاحتلال. وعليه فقد حارب الاستعمار الفرنسي الثقافة وما تحويه من عناصر مادية ومعنوية مما أدى إلى تفشي الأمية بين الجزائريين (خروف، 2002).

و في هذا الصدد يذهب **أحمد طالب الإبراهيمي** إلى القول :" إن فرنسا لم تكتف بتجريد الإنسان الجزائري من أرضه ومسخ شخصيته، بل عملت كذلك على إفساد الأفئدة والعقول، وقد تجلى عملها التخريبي في إغلاق المساجد والمدارس التي كانت تعلم العربية، وفي هدم الزوايا لأنها كانت مركزا لتثقيف الشباب، وغرس روح المقاومة في نفوسهم. وهكذا قضت فرنسا على الثقافة الجزائرية عندما قطعت عن تلك الثقافة جميع الروافد التي كانت تغذيها وتنميها" (خروف، 2002، ص 189).

وضمن نفس السياق يرى **مصطفى الأشرف** "أنه من بين الآثار السلبية المترتبة عن عملية الاحتلال والغزو الثقافي وجود شخصية الفرد الأصلي في حالة عدم توازن، ذلك أن هذا الفرد لا يستطيع التوفيق بين التراث الثقافي الذي استلمه من الماضي والممارسات التي تفرضها عليه السيطرة الاستعمارية في الحاضر، ويلاحظ أن هذه السيطرة لا تتم عادة إلا عن طريق المدرسة التي تعلّم الفرد قيم المستعمر، ولهذا فان الاستعمار يعمل بالدرجة الأولى على إدخال تغييرات واسعة في كل المجالات، ولعل أولها هي إبعاد اللغة عن مكانتها الحقيقية، وجعل لغته تحل محلها" (خروف، 2002، ص 189).

لقد تواصل هذا التدمير ووصل أوجّه مع اندلاع حرب التحرير، حيث حدثت في الفترة (1954 – 1962) أكبر التفككات الاجتماعية التي شهدها المجتمع الجزائري في العهد الاستعماري، حيث قام الاستعمار الفرنسي من اجتثاث السكان الريفيين من أراضيهم وإجبارهم على المكوث في محتشدات خصصت لهم، وكان يرمي المستعمر من وراء ذلك إلى قطع الاتصال بين السكان الجزائريين والمجاهدين من جهة، وإحكام قبضته على هؤلاء السكان المجمعين في المحتشدات من جهة أخرى (Bourdieu & Sayad, 1964).

رغم محاولات بعض الدراسات خاصة الأنثروبولوجية منها إظهار جوانب إيجابية للاستعمار الفرنسي للجزائر وللاستعمار بصورة عامة، كالتحضر، التمدن والحداثة. إلا أن الاستعمار يبقى استعمارا ترفضه الطبيعة البشرية السوية رفضا مطلقا؛ فمن يحاول

تبرير الاستعمار أو إبراز بعض "محاسنه" (إن وجدت)، كمن يتباهى بذكر تحلية قطعة سكر لماء المحيط المالح، أو كمن يضيف عسلا إلى جرعة سمّ قاتل طمعا في تحلية مذاقه، فإنه لن يحوله إلى عسل بل يبقى هذا السمّ سمّا قاتلا لكل من يتناوله.

بعد الاستقلال أخذ التحديث معنى آخر يختلف عن ذلك الذي أخذه خلال المرحلة الاستعمارية، فالتحديث لم يعد مفروضا من قبل الثقافة الفرنسية الاستعمارية، بل أصبحت تضطلع به الدولة الجزائرية الوطنية. غير أن هذه العملية لم تكن بدون مشاكل حيث يرى **طوالبي-ثعالبي** في تحليله للمجتمع الجزائري أن هناك مشاكل عرفتها بلدان المغرب العربي بعد الاستقلال على غرار المغرب، الجزائر وتونس، لها علاقة بالتناقض والغموض في الهوية (Toualbi-Thaâlibi, 2001).

وفي محاولته مناقشة أسباب مختلف المشاكل السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والنفسية التي عرفتها الجزائر منذ الاستقلال؛ يرجع **طوالبي-ثعالبي** إلى مختصين مثل:"**دوركايم**" (Durkheim)، "**باستيد**" وآخرون لتفسير وشرح الحالة التي يمكن أن يصل إليها مجتمع ما عند حدوث تغيير سريع وطارئ، أي "ظاهرة التثاقف" عند "**باستيد**". نجد **دوركايم** في كتابه حول الانتحار، يرجع إلى المصطلح اليوناني "أنوميا" "Anomie" - ومعناه غياب القوانين والقيود - لوصف الأزمة الاجتماعية (Toualbi-Thaâlibi, 2006).

إن المجتمع الجزائري وجد نفسه بعد الاستقلال في وضعية تحوّل سريع، ومحصورا بين ثقافتين مختلفتين ومتضادتين، ولهذا كان لزاما عليه تطوير نظام التكيف التوفيقي (Système d'adaptation syncrétique)؛ ودائما حسب **طوالبي-ثعالبي** فإن هذا المذهب التوفيقي كشف عن انتقال المجتمع الجزائري التقليدي المشبع بالثقافة الإسلامية إلى مجتمع عصري يرمز للأيديولوجيا الغربية، بحيث يكتشف الفرد فيه أنه مقتلع من جذوره "Déraciné" بصفة مضاعفة. بالنسبة للثقافة الجديدة التي لم يستطع بعد تقبل القواعد الزمنية التي تفرضها عليه من جهة؛ ومن جهة أخرى فهو

لن يجد القيم الأمنية القديمة التي لم يعد يتقاسمها، هذا ما يولّد الشعور بالتشوّه في الهوية والاقتلاع من الجذور الثقافية (Toualbi-Thaâlibi, 2001).

قبل المواصلة في مناقشة خصائص المجتمع الجزائري بعد الاستقلال لابد أن نشير إلى كون الثقافتين المتضادتين اللتين تكلم عنهما **طوالبي-ثعالبي** والمتمثلتين في الثقافة الجزائرية التقليدية والثقافة الغربية الحديثة بنموذجها الاستعماري، لا تتعدى كونهما ترمزان لمفهومي العمودية والأفقية. لذلك فالمجتمع التقليدي يمثل العمودية والمجتمع الحديث يمثل الأفقية. وما يؤكد هذا الطرح هو أن المجتمع الجزائري التقليدي كما تم ذكره سابقا تشكل القبيلة، العشيرة والأسرة الأبوية الممتدة الوحدات الأساسية لهيكله الاجتماعي، وأن لرئيس القبيلة، سيد العشيرة والجد أو الأب أو الابن الأكبر مكانة خاصة تفرض على باقي أفراد الوحدة الاجتماعية السمع والطاعة وتنفيذ الأوامر دون نقاش يصل في كثير من الأحيان إلى حد التقديس؛ وهذا ما يمثل العلاقة العمودية.

إن هذا الشعور بالتشوه في الهوية والاقتلاع من الجذور الثقافية أدخل المجتمع الجزائري في تناقض أفقده تجانسه (Homéostasie)، ويرجع **طوالبي-ثعالبي** (2001) **وعدّي** (1999) أسباب ذلك إلى كون البنية - مهما كانت متجانسة - فإنها عندما تعيش تحولات يمكنها أن تعرف اضطرابات وهذا لكونها تقوم بإعادة الترتيب والرّبط بين مختلف العناصر المكونة لها، فالتغيير يغذّيه حاجة المجتمع إلى التطور والإثراء لكنه يتميز بأزمة الانتقال. ولكي ينتقل المجتمع من مستوى تطوري إلى آخر عليه أن يتحمل الانفتاح في محيطه وحدوده حتى يترك المجال لعناصر أخرى تنتمي لثقافات أخرى والتي تعتبر ضرورية في إثراء ثقافته الأصلية؛ هذه المرحلة التحّولية تدعى بـ"ظاهرة التحوّل الثقافي".

ويلخص **مكيري** (2011) المميزات التي يجب أن تتصف بها أزمة الانتقال لبنية ما حتى تدخل ضمن مشروع إثرائي عادي وليس في الرّكود أو الفوضى كما يلي:

- أن تكون أسباب التغيير داخلية (Endogènes) فالحاجة إلى التغيير يجب أن تكون نابعة من الدّاخل لا من ضغط خارجي، لأنه في حالة ما إذا كان سبب التغيير

خارجي فإننا نتكلم عن "التحول" (Mutation) لا عن "التغيير" (Changement)، حيث يرى **عدّي** (1999) أنه إذا كان هناك فرق بين التحول والتغير الاجتماعي فإنه يكمن في طبيعة الأسباب التي أدت إلى ظهور تلك التغييرات، حيث أن التغيير يكون نتيجة عوامل داخلية بينما التحول يكون نتيجة عوامل خارجية (Exogènes).

- يجب أن يكون هناك ما نسميه بالنواة الممثلة للبنية؛ هذه النواة تهدف إلى حفظ هوية البنية ضد محاولات الاجتياح للعناصر الخارجية التي تؤدي بها إلى فقدان طبيعتها وهويتها. تقوم هذه النواة بدور الرقابة من جهة بحيث لا تفسح المجال إلا لدخول العناصر الضرورية للبنية، ومن جهة أخرى وحسب **طوالبي-ثعالبي** (2001) فإنها تلعب دور البوصلة المخصصة لتوجيه البنية في حالة الغموض والإبهام التي تسببها الأزمة.

- يجب أن لا تكون أزمة الانتقال طويلة، حتى يتم تجنب خطر التثبيت في أزمة مستمرة ودائمة.

- يجب أن يحدث هذا التغيير بطريقة بطيئة عن طريق سلسلة من التحولات. بحيث يكون عدد العناصر التي يتم إدخالها أثناء كل انفتاح أقل من عدد العناصر الموجودة والمندمجة في السلسلة المكونة للبنية.

وبهذا الشكل نستطيع فهم لماذا نلاحظ دائما سيطرة طباع المضيف على طباع المضاف بعد انتهاء كل تغيير. فالتغيير إذن لا يحدث بزوال واندثار كل ما هو قديم ولا بإخماد وإلغاء التقاليد (Addi, 1999).

ويجدر بنا الذكر أن هذه المميزات تتكامل وتنسجم فيما بينها إلى درجة أن فقدان واحدة منها يؤدي إلى فقدان الكل واضطراب نسق الانتقال. وفي هذه الحالة نجد أنفسنا أمام حالة ازدواجية الثقافة أو ازدواجية البنية على حدّ تعبير **طوالبي-ثعالبي** (Toualbi-Thaâlibi, 2001).

يرى **عدّي** (1999) أن هناك أسباب أخرى ساهمت في وضعية التناقض الثقافي وأزمة الهوية التي وجد المجتمع الجزائري نفسه فيها بعد الاستقلال مباشرة من أهمها النزوح الريفي، إذ يؤكد على أن القطيعة الحقيقية مع النظام العمودي ظهرت بعد الاستقلال الذي شجع الهجرة من الأرياف إلى المدن، وهذا ما أدى إلى تدهور المجتمع بصفة أخطر ممّا كان عليه وهو تحت وطأة الاستعمار.

لقد ألقينا في هذا الجزء نظرة مختصرة عن بعض خصائص المجتمع الجزائري في مراحله المختلفة وذلك من أجل مساعدتنا أكثر على فهم خصائص العائلة الجزائرية، هذا المفهوم الذي سنتناوله في الجزء الموالي.

1 – **بنية العائلة الجزائرية:**

لا يمكن الوقوف على حجم وعمق التحولات التي طرأت على بنية العائلة الجزائرية المعاصرة وطبيعة العلاقات بين أفرادها ودور كل واحد منهم دون الرجوع إلى الخصائص السوسيوثقافية للعائلة التقليدية. وهذا ما يذهب إليه **سلاطنية ومالكي** (2012) حيث يؤكدان على أنه لا يمكن معرفة التحولات التي عرفتها الأسرة الجزائرية المعاصرة دون الإلمام بالخصائص السوسيولوجية للعائلة أو الأسرة التقليدية. لذلك فإننا سنعود إلى مختلف الدراسات والبحوث التي تناولت الأسرة الجزائرية التقليدية رغم قلتها، كما أننا سنتناول هذا العنصر الخاص ببنية العائلة الجزائرية وفق مفهومي العمودية والأفقية.

لقد عرّف **بوتفنوشت** (1984) العائلة الجزائرية التقليدية على أنها عائلة موسعة، حيث تعيش في أحضانها عدة عائلات زواجية وتحت سقف واحد، الدار الكبرى عند الحضر والخيمة الكبرى عند البدو، إذ نجد من 20 إلى 60 شخص أو أكثر يعيشون جماعيا.

ولقد أجمع كل من درس الثقافة الجزائرية على أنها تتميّز بالتنظيم وفق مفهوم العمودية، إذ يتعلق الأمر بـ" ثقافة النظام الأبوي (La culture patriarcale) الذي ينظم العلاقات داخل العائلة، والذي تحت شعاره يجتمع وينتظم الأفراد في الإطار العائلي. كما

ينظم كل أنواع المعاملات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية" (Addi, 1999). وما يميز هذه الثقافة هو أن الأب أو رب العائلة يمثل القانون، الحقيقة وكل ما هو مقدس؛ و ذلك لكونه يحتّل مكانة عالية (لا تماثلية) مقارنة بأفراد أسرته؛ فهو ملزم بتحمل أعبائهم، حمايتهم، وتأمينه لهم مكانا في المجموعة؛ وفي المقابل يطلب منهم الاحترام، الطاعة وحتى التقديس. في هذه الوضعية يتبع الأب ويطاع حتى وإن كان على خطأ. وبالتالي كل ماله علاقة بالديمقراطية، استقلالية الفرد، حرية التعبير والنقد، فهو مرفوض ويعتبر جحودا وارتدادا. من هذا المنظور فأفراد المجموعة لا يمكنها رؤية نفسها خارج الفائدة العامة للمجموعة، التي تتماشى فائدتها مع فائدة رب العائلة.

وفي نفس الوقت فإن العائلة في المجتمع التقليدي لا تتمتع بالحرية الكافية في اختيار طريقة حياتها، إذ يستوجب عليها إتباع وطاعة رب الجماعة (المجموعة العائلية أو القبيلة) وكل محاولة للمقاومة أو النقد تُؤوّل على أنها رفض للخضوع لإرادة المجموعة، يعني لإرادة الحاكم. هذه الوضعية يمكنها أن تكلّف هذه العائلة الطرد وسحب الاعتراف بكل ما يحمله من آلام مادية ونرجسية.

إذا ما تتبعنا تطور العائلة الجزائرية بنفس المنظور الذي تناولنا به تطور المجتمع الجزائري أي من المرحلة قبل الاستعمارية إلى الآن، للاحظنا أن في المرحلة قبل الاستعمارية أين كان المجتمع الجزائري تقليديا كانت أيضا العائلة الجزائرية من النوع التقليدي تماما حسب التعريف الذي قدمه **بوتفنوشات**، ورغم التدمير الذي أحدثه المستعمر في المجتمع بعد دخوله بقيت العائلة الجزائرية متمسكة بدينها وتقاليدها؛ وبالتالي استمرار العائلة التقليدية. إن تمسك الجزائري المفرط بالدين والتقاليد في ذلك الوقت لم يكن اختيارا فقط بل كان قضية حياة أو موت، فهذا التمسك فقط هو الذي سيمنحه القوة لمقاومة المستعمر وسيحفظه من الزوال والاندثار. وبالفعل استطاع الجزائري الحصول على حريته بعد تضحيات جسام.

إذن مع زوال خطر الاندثار بزوال الاستعمار الغاشم هل استمر الجزائري في المحافظة على تقاليده بنفس الرغبة التي كانت سابقا؟ أي هل بقيت العائلة الجزائرية التقليدية مستمرة حتى بعد الاستقلال؟

من خلال الدراسة الميدانية التي أجراها **بوتفنوشت** نهاية السبعينات من القرن الماضي في كل من الجزائر، وهران وعنابة أين وجد أن نسبة العائلات المحدودة تتساوى تقريبا مع نسبة العائلات المركبة وهي 51,3 % و48,7 % على التوالي؛ والدراسات الميدانية التي أجرتها **أوصديق** سنة 1988 م بالجزائر العاصمة، يمكن تصنيف بنية العائلة الجزائرية إلى نمطين: نمط العائلة النووية وتتشكل من الأب، الأم والأطفال؛ ونمط العائلة المركبة والتي تتشكل من عدة أزواج (Couples) مع الأطفال (Addi, 2005).

نستنتج من دراسات **بوتفنوشات وأوصديق** المشار إليها سابقا أنه حدثت تحولات في بنية العائلة الجزائرية بعد الاستقلال، حيث أنها لم تبق عائلة تقليدية موسعة حسب تعريف **بوتفنوشات**، بل تحولت إلى نمطين مختلفين، تمثل الأول في بنية عائلية محدودة (عائلة نووية)، والثاني في بنية عائلية مركبة. غير أن هناك دراسات أخرى ترفض هذا التصنيف ولا تقر بتحول العائلة الجزائرية إلى النمط النووي، إذ ترى هذه الدراسات أنه حتى وإن لاحظنا أن العائلة الجزائرية بعد الاستقلال، لم تعد تحوي نفس عدد الأجيال كما كان الحال سابقا في العائلة التقليدية، إلا أن ذلك لم يجعل حجمها يتقلص بدرجة يسمح لها بالتحول من العائلة الممتدة (الموسعة) إلى العائلة المحدودة (النووية).

ومن بين هذه الدراسات تلك التي قامت بها **لوراس- لوكو** (Lauras-Locoh) حيث أنها عند مقارنتها لمعطيات التعداد السكاني في الجزائر بين عامي 1966 و1977 لاحظت أن حجم العائلات الجزائرية انتقل من 5,9 إلى 6,6 فرد على التوالي. مما جعلها ترفض فكرة تحول العائلة الجزائرية إلى النمط المحدود (عائلة نووية). وهي ترى أن

العائلة الجزائرية تتحول إلى عائلة نووية موسعة، تتشكل من نواة عائلية مركزية ينضم إليها أفراد آخرون من الأقارب (Graine, 2006).

من بين الأسباب المقدمة لشرح ظاهرة عدم تحول العائلة الجزائرية إلى النمط النووي هي أزمة السكن، وما يدعم هذا الطرح هو أنه لوحظ أن أغلب الشباب الجزائري بعد الزواج يبقى في البيت العائلي ولا يستقل بسكن خاص به. كما أن هناك عائلات في المناطق الحضرية تقوم بإيواء أفراد من الأقارب جاءت من الريف أو القرية أو مدينة أخرى بحثا عن العمل. وفي حالة قيام الأم بعمل خارج البيت ونظرا لقلة الهياكل الخاصة باستقبال الأطفال كالروضات، فإن العائلة تضطر إلى استقبال وإيواء أحد الأقارب كالعمة، الخالة أو الجدة للتكفل بالأطفال أثناء عمل الأم.

كما يعتبر تأخر سن الزواج من بين الأسباب الأخرى المقدمة حول عدم تحول العائلة الجزائرية إلى النمط النووي. وبالفعل فإن الشباب عادة ما يجبرون على البقاء مع أوليائهم بسبب مواصلة دراستهم العليا أو بسبب البطالة التي يعانون منها. وتؤكد **سيغالن** (Segalen, 1981) على أن استمرار هذا النوع من البناء العائلي، لا يعني بأي حال من الأحوال استمرار لوضعية سابقة أي الاستمرار في المحافظة على العائلة التقليدية الموسعة بل بالعكس هو مؤشر على أزمة اقتصادية واجتماعية (Segalen, 1981).

إن الجزائر مثلها مثل بقية الدول النامية لم تنج من مختلف التحولات التي تعرضت لها بعد الاستقلال كالنزوح الريفي وآثار التصنيع. هذه التحولات قد أثرت أيضا على التنظيم العائلي. حيث بينت دراسة **بوتفنوشت** (1979) أن البطريقية لم تعد تبدو بنفس المظهر بل أصبحت رمزية فقط. فالأب وبدرجة أقل الجد، لم يعد المالك الوحيد للسلطة مثلما كان عليه منذ وقت قريب. القرارات العائلية أصبحت تتخذ بصورة تشاورية مع الأم (خاصة إذا كانت موظفة) أو مع الأبناء البالغين.

تؤكد **قران** (Graine, 2006) على أن هناك مجموعة من الملاحظات يجب أخذها بعين الاعتبار للتمكن من فهم العائلة الجزائرية، فكما أنها متأثرة بالثقافة الإسلامية

(المذهب المالكي)، الفضاء المتوسطي أين يسود النظام البطريقي، فهي أيضا متأثرة بسلسلة التغيرات والتحولات التي أصابت الدول النامية مثل: النزوح الريفي، النمو الديمغرافي وأزمة السكن. ومن وجهة نظرها دائما فإن العائلة الجزائرية لا تجد مكانا لها في النظرة السوسيولوجية التقليدية التي توزع المجموعات السكنية وفق حجمها، من أجل الوصول إلى تصنيف بسيط: "عائلة ممتدة" و"عائلة نووية". وإذا ما استعرنا عبارة (Lauras-Locoh) بخصوص العائلة الإفريقية، يمكن القول أن العائلة الجزائرية "تصنع الجديد من القديم" "Fait du neuf avec du vieux". نلاحظ بالفعل بروز عائلات مركبة أو عائلات في نصف الطريق بين العائلات الممتدة والضيقة، ميزتها المحافظة على سلوكات التعاون والتضامن بين الأجيال، واستمرار المثل الأعلى للخصوبة المرتفعة ولعديد من السلوكات الأخرى التي كان من المنتظر أن تزول وتختفي. لذلك فإن العائلة الجزائرية تقاوم التغيير.

رغم مقاومة العائلة الجزائرية التقليدية للتغيير - حسب وجهة نظر **قران سلاطنية ومالكي** (2012) يريان أنه رغم ذلك حدثت تحولات وتغيرات في بنيتها، نتج عنه بنى أسرية يغلب على بعضها طابع الحرية والتفتح ونبذ التقاليد والعادات؛ وبنى أخرى تميل للمحافظة على التقاليد ورفض المعايير الجديدة، وبنى أسرية أخرى تأقلمت مع نمط المعايير الجديدة مع الاحتفاظ بمجموعة من العادات والتقاليد والقيم الأخلاقية والدينية.

أما إذا عدنا إلى مفهومي العمودية والأفقية فإن **مكيري** (2011) يصنف العائلة الجزائرية المعاصرة وفق هذين المفهومين إلى:

1.2 - عائلة أحادية المنظور:

هذا النوع من العائلة إما أنه انغلق على نفسه في العمودية باختياره الرجوع إلى الثقافة التقليدية التي تعمل على إزالة الثقافة الدخيلة؛ وإما أنه تبنى التمرد ضد الشخصيات العمودية، المتهمة بكونها سببا في الاختناق ونقص الحرية والفقر الفكري؛ والانفتاح الكلي على الثقافة الجديدة التي تمثل العلم والعالمية، التطور والتمدن. هذه

الأخيرة أرادت محو كل ما له علاقة بالأصل، الدين والتقاليد. وحسب **بوتفنوشات** (2004) فإن هذا النظام العصري أحدث قطيعة مع التقاليد لكي يرسّخ المفهوم العقلاني في نظرته للعالم وللحياة، وكأنه تعمّد تعميق الهوّة بينه وبين الأنظمة السابقة.

2.2 - عائلة ثنائية المنظور:

وهي العائلة التي تحمل المنظور العمودي والأفقي في نفس الوقت. نستطيع هنا التفريق بين نوعين من التوظيفات التي تنتمي لهذا المنظور:

عائلة عمودية . أفقية توافقية: هذا النوع من العائلات، حاول الخروج من النظام التقليدي الذي ميّز المجتمع الجزائري التقليدي؛ والدخول في النظام المعاصر الذي جاءت به العولمة تحت اسم الحضارة والتحضّر. إلاّ أنّ هذه العائلات لم تتمكّن من اللّحاق بهذا الأخير وفي نفس الوقت فقدت مقوّمات النظام التقليدي؛ وبالتالي وجدت نفسها منحصرة بين النظامين المتناقضين، هذه الوضعية جعلتها تعيش في أزمة تحوّل دائمة.

. عائلة عمودية . أفقية منسجمة: تعرف هذه العائلات بكونها لم تشهد نفس التجارب التي شهدتها العائلات السابقة، إذ أنها لم تفرض عليها نفس الضغوطات، يعني أنها لم تتعرّض لنفس العوامل التي كانت وراء ظهور العائلة التوافقية كالهجرة الريفية والتعلق المفرط للجزائريين بالثقافة التقليدية والدينية إلى حد رفض كل تسوية.

يوضح كل من **بوتفنوشات** (1984) و**عدّي** (1985) أن هذا النوع من العائلات رغم أنه كان يعيش في الجزائر إلاّ أنه أخذ الوقت الكافي للتأقلم مع ظاهرة التغير ومواكبة العولمة. فبطريقة غير مقصودة كانت تلك العائلات تعيش وفق المنظور الاجتماعي الأفقي دون أن تنسى كونها تنتمي إلى مجتمع يسيره المنظور العمودي؛ وكذلك دون أن تتخلى عن عموديتها أي عن دينها وتقاليدها. لقد أخذت هذه العائلات الوقت الكافي للتأقلم والتكيف مع مناخ يحدده احتكاك الثقافتين والاستفادة من كليهما على حدّ سواء؛ فما قامت به هذه العائلات هو نوع من التغير وليس تحول، بحيث أنها

حافظت على ميزات الثقافة العمودية باحترام التقاليد والتمسك بالدّين؛ وفي نفس الوقت انفتحت على الأفقية بالمساواة في المعاملات بين أفراد العائلة وأفراد المجتمع.

بعد تناولنا للبنية العائلية وفق منظوري العمودية والأفقية سنحاول التطرق إلى معنى مفهوم العائلة جيدة البنية دون الخروج عن المنظورين السابقين، حيث يؤكد **مكيري** (2011) على أن مفهوم العائلة جيدة البنية لا يتحقق إلا بحضور العمودية والأفقية في العائلة، ويوضّح ذلك في النقاط التالية:

- ✓ **حضور البنية العمودية:** هذه البنية معرّفة بالزوج (الأب والأم) في نظر الطفل. وبالتالي نتحدث عن الوظيفة الأبوية أو الأمومية والتي يمكن أن تضمن من قبل شخص آخر غير الأم أو الأب البيولوجيين مثل (الخالة، العمة ، الجدة أو الحماة...) أو (الخال، العم، الجد أو الحمى...).
- ✓ **حضور العلاقات وسط البنية العمودية:** نؤكد هنا على أنه لا يكفي حضور الوظيفة العمودية، بالنسبة للطفل ولكن يجب أن يكون هناك علاقات، ممر وروابط بين الوظيفتين(الأبوية والأمومية). عندما نقول روابط، نقول أيضا حدود، وهذا ما يعني ضرورة وجود أفكار (بخصوص الطفل) والتي يتم مناقشتها بين الوظيفتين. هذا ما يجعل كل وظيفة داخل العائلة تدرك أنه هناك أشياء داخل الأسرة تفوقها وتخفى عنها.
- ✓ **حضور البنية الأفقية:** والمقصود هنا بالأفقية الإخوة؛ ولكننا نتحدث عن الوظيفة الأخوية، أي بالإضافة إلى الأخ (من نفس الوالدين)، أخ (من أحد الوالدين)، أخ متبنى، وحتى ابن العم أو ابن الخال المتواجد دائما بالبيت والذي يتقاسم أشياء مع أفراد الأسرة. كل هؤلاء يمكنهم لعب دور الوظيفة الأفقية.
- ✓ **حضور العلاقات في وسط الوظيفة الأفقية:** نتحدث هنا عن الروابط والحدود، وبالتالي فإن كل أخ أو أخت تربطه علاقات بباقي الإخوة والأخوات؛ وفي نفس الوقت فإن كل واحد منهم يعلم أنه توجد علاقات مفضلة بين بعض الأخوة ويتقبل وجود هذا النوع من العلاقات.

✓ **حضور البنيتين العمودية والأفقية في نفس الوقت:** وهذا ما يبعث إلى بنية العائلة الكاملة، وهذا لكون وجود البنية العمودية دون الأفقية أو العكس يولد توظيفا مستقيما أي أحادي الاتجاه. وهذا النوع من التوظيف عادة ما يكون صلبا ولا يمتاز بتنوّع دفاعاته.

✓ **حضور العلاقة بين البنية الأفقية والعمودية:** هنا يمكننا الحديث عن الوظيفة البنيوية (la fonction structurante) للعائلة. تعرّف هذه الوظيفة بسلسلة من النشاطات تشكّل فيها العلاقات وتحترم الحدود. مع العلم أنه لا قيمة للعلاقة في ضلّ غياب الحدود.

خاتمة

تشير جميع الدراسات التي تناولت العائلة الجزائرية أنها كانت خلال المرحلة قبل الاستعمارية عائلة تقليدية، من النمط الممتد حسب تصنيف علم الاجتماع، تخضع للثقافة البطريقية. ومع دخول الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر بثقافته الغربية الاستعمارية ازداد تمسك الجزائري بهذا التنظيم العائلي التقليدي، حيث اعتبره الوسيلة الوحيدة التي تسمح له بمقاومة الزوال والاندثار وبالتالي الاستمرار في الوجود.

بعد الاستقلال في بداية الستينات، الجزائر مثلها مثل باقي المجتمعات النامية التي تحصلت على استقلالها حديثا، بدأت تحدث فيها تحولات عميقة أثرت على مختلف مناحي الحياة. رغم مقاومة العائلة الجزائرية التقليدية لتلك التحولات إلا أنها لم تبق محافظة على نفس النمط الممتد الذي كان معروفا سابقا، وفي نفس الوقت لم تتحول إلى النمط النووي، بتلك الخصائص التي يتفق عليها السوسيولوجيون. لذلك ظهرت تصنيفات جديدة مثل عائلة نووية موسعة، عائلة مركبة وعائلة متحولة لتعريف العائلة الجزائرية المعاصرة.

ومن أجل فهم أكثر للعلاقات بين أفراد العائلة تم اللجوء إلى مفهومي العمودية والأفقية، ومن خلالهما تم تقديم العائلة الجزائرية التقليدية على أنها عائلة تخضع للمفهوم العمودي، ومن أجل أن تكون العائلة جيدة البنية يستوجب عليها في نفس الوقت حضور الوظيفتين العمودية والأفقية دون غياب الحدود.

قائمة المراجع

أولا- المراجع باللغة العربية:

1- خروف، حميد. (2002). سياسة التنمية في الجزائر رؤية سوسيولوجية. *مجلة الفكر السياسي*، (17)، 186 – 205.

2- سلاطنية، بلقاسم، ومالكي، حنان. (2012، مارس). أساليب التربية المتغيرة في الأسرة الجزائرية. *مجلة علوم الإنسان والمجتمع*، (01)، 65 – 86.

ثانيا- المراجع الأجنبية:

3- Addi, L. (1985). *De l'Algérie précoloniale à l'Algérie coloniale, Economie et société.* Alger : ENAL.

4- Addi, L. (1999). *Les mutations de la société algérienne, Famille et lien social dans l'Algérie contemporaine.* Paris : La découverte.

5- Addi, L. (2005). Femme, famille et lien social en Algérie. *in* A. Kian-Thiébaut & M. Ladier-Fouladi (Ed.). *Famille et mutations socio-politiques. L'approche culturaliste à l'épreuve* (pp.71-88). Paris : éditions de la maison des sciences de l'Homme.

6- Adler, A. (1975). *Le sens de la vie ; étude de psychologie individuelle.* Paris : Payot.

7- Bourdieu, P. & Sayad, A. (1964*). Le Déracinement : La crise de l'agriculture traditionnelle en Algérie*. Paris : Minuit.

8- Boutefnouchet, M. (1979). *Les travailleurs en Algérie*. Alger : S.N.E.D.

9- Boutefnouchet, M. (1984). *La famille algérienne, évolution et caractéristiques modernes*. Alger : OPU.

10- Boutefnouchet, M. (2004). *La société algérienne en transition.* Alger : OPU.

11- Cuche, D. (2010). *La notion de culture dans les sciences sociales* (4e éd.). Paris : Editions la découverte.

12- Graine, L. M. (2006). *Etre une femme en Algérie, action sociale*. Thèse de doctorat en sociologie, Université Paris 8, St Denis (93), Paris.

13- Green, A. (1990). *La folie privée*. Paris : Gallimard.

14- Mekiri, K. (2011). *Adolescent et traumatisme de guerre : résilience et liens familiaux. Rôle des représentations familiales dans le processus de résilience*. Thèse de Doctorat en psychologie clinique et psychopathologie, Université de Rouen, Rouen.

15- Toualbi-Thaâlibi, N. (2001). *L'identité au Maghreb : L'errance* (2e ed.). Alger : Casbah éditions.

16- Toualbi-Thaâlibi, N. (2006). *L'ordre et le désordre*. Alger : Casbah éditions.

17- Winnicott, D.W. (1989). L'angoisse liée à l'insécurité. (Jeannine Kalamanovitch, trad.). *in De la pédiatrie à la psychanalyse* (pp. 198-202). Paris : Payot.

الدافعية : أهميتها ودورها في عملية التعلم

د. جديدي عفيفة جامعة البويرة

ملخص:

الدوافع بالنسبة لسلوك الفرد هي المحرك، فلا معنى للسلوك بدون دافع.. فعادة ما يسأل الإنسان نفسه عن السبب الذي دفعه للقيام بتصرف معين دون آخر، أو قد يوجه سؤاله إلى فرد آخر: ما الذي دفعك للالتحاق بالجامعة؟ أو ما الذي دفعك لاختيار هذه المهنة تحديدا؟

إن علم النفس يهتم بدراسة السلوك الكلي أو المركب عند الفرد، والذي يتألف من عمليات عقلية معرفية (كالإحساس والإدراك واللغة والتفكير والتعلم والذاكرة والانتباه والتخيل والذكاء)، وظيفتها الأساسية معرفية، كذلك وصف السلوك وتنظيمه. وعمليات عقلية غير معرفية كالدافعية والانفعالات، إذ تتمثل وظيفة الدافعية الأساسية في تفسير السلوك المركب.

Résumé :

Les motivations sont pour le comportement de l'individu ce qui est un moteur pour un véhicule, autrement dit, un comportement sans motif n'a aucun sens. Aussi, Il est courant qu'une personne s'interroge sur les raisons qui l'ont poussé à se comporter d'une façon au lieu d'une autre, ou à interroger une autre personne sur ce qui l'a conduit à intégrer tel université? Ou à opter pour une profession bien précise ?

La psychologie s'intéresse à étudier le comportement global ou composé de l'individu, cela inclue le processus mental cognitif (tel la sensation, la cognition, le langage, la pensée, l'apprentissage, la mémoire, l'attention, l'imagination et l'intelligence), dont la fonction principale est la connaissance, ainsi que la description du comportement et son organisation. Ajouté à ceci le processus mental non-cognitif à l'instar de la motivation et des émotions, d'ou la fonction fondamentale de la motivation est l'explication du dit comportement composé.

Abstract:

The motives for the individual behavior is the engine, there is no meaning of behavior without motif... Usually man asks himself for the reason that led him to behave in a way without the other, or ask someone: what inspired you to go to college? Or what inspired you to choose this profession in particular?

Psychology is interested to studying the global behavior or composed of the individual, which consists of cognitive mental processes (such as sensation, cognition, language, thinking, learning, memory, attention, imagination and intelligence), its main function is knowledge, also describe the behavior and organize it. And non-cognitive mental processes such as motivation and emotions, as well as the basic function of motivation is to explain the complex behavior.

مقدمة:

تعمل الدافعية كقوة داخلية ؛تحرك السلوك وتوجهه نحو تحقيق الهدف الذي حدد مسبقا، حيث تحافظ هذه القوة الداخلية على استمرارية السلوك طالما الحاجة إليه ما زالت قائمة.

سنتطرق عبر هذا المقال، إلى التعرف على مفهوم الدافعية من خلال وجهات نظر المهتمين بدراستها، أيضا خصائص الدافعية ووظائفها، كذلك أبرز المفاهيم المرتبطة بها.

كما سنتطرق إلى مفهوم دافعية الإنجاز وعلاقته بعملية التعلم؛ من خلال إبراز أهميتها ودورها في مسار عملية التعلم.

1. تعريف الدافعية:

يستخدم مفهوم الدافع لوصف ما يستحث الفرد ويوجه نشاطه، كما يستخدم بشكل عام لتفسير ما يدور داخل الفرد ولا يمكن ملاحظته بصورة مباشرة، وإنما يمكن استنتاجه والاستدلال عليه كديناميات تحرك سلوك الفرد وتوجهه، فالدافع يجمع بين وظيفتي استثارة السلوك وتوجيهه.

وينظر جونسون *(Johnson, 1969)* للدافعية على أنها ميل أو نزوع لبذل الجهد لتحقيق الأهداف، بينما يرى جاج وبرلنر *(Gage & Berliner, 1984)* أن الدافعية مفهوم يستخدم لوصف ما ينشط الفرد أو يستحثه أو يدفعه وما يوجه نشاطه[1].

ويقصد بالدافعية في أحد معانيها: العوامل التي تدفع الفرد وتوجه سلوكه نحو هدف. وتعرف أيضا بأنها القوة الذاتية التي تحرك سلوك الفرد وتوجهه لتحقيق غاية معينة يشعر بالحاجة إليها أو بأهميتها المادية أو المعنوية "النفسية" بالنسبة له. وتستثار هذه القوة المحركة بعوامل تنبع من الفرد نفسه (حاجاته، خصائصه، ميوله، اهتماماته) أو من البيئة المادية أو النفسية المحيطة به (الأشياء، الأشخاص، الموضوعات، الأفكار، الأدوات).

تعرف الدافعية بأنها طاقة كامنة في الكائن الحي تعمل على استثارته ليسلك سلوكا معينا في العالم الخارجي، ويتم ذلك عن طريق اختيار الاستجابة المفيدة وظيفيا

[1] مصطفى حسين باهي وأمينة إبراهيم شلبي، 1998: الدافعية (نظريات وتطبيقات)، مركز الكتاب للنشر – مصر

له في عمليلة تكيفية مع بيئته الخارجية ووضع هذه الاستجابة في مكان الأسبقية على غيرها من الاستجابات المحتملة مما ينتج عنه إشباع حاجة معينة أو الحصول على هدف معين[2].

إن الدافعية مفهوم نظري يستخدم لتفسير المبادرة والاتجاه والشدة والمثابرة في السلوك، وخاصة السلوك الموجه نحو هدف. وفي نطاق حجرة الدراسة يستخدم مفهوم دافعية الطالب لتفسير الدرجة التي يقوم عندها الطلاب باستثمار انتباههم ومجهودهم في مختلف الاتجاهات التي قد تكون مرغوبة أو غير مرغوبة من قبل المدرسين. وترجع الدافعية إلى تجارب شخصية لدى الطلاب وخاصة رغبتهم في المشاركة في الدروس وأنشطة التعلم وأسبابهم في ذلك. ويكون دور المدرس التركيز على تشجيع الطلاب على الاشتراك في أنشطة حجرة الدراسة عن طريق الدافعية للتعلم؛ أي بنيّة اكتساب المعرفة أو المهارات التي تقوم الأنشطة بتنميتها[3].

وتعرف الدافعية للتعلم بأنها الحالة النفسية الداخلية أو الخارجية للمتعلم، التي تحرك سلوكه وتوجهه نحو تحقيق غرض معين وتحافظ على استمراريته حتى يتحقق ذلك الهدف. فالدافعية حالة حتمية، إذ لا سلوك دون دافع، وهي توجه انتباه المتعلم وتعمل على استمراره وتزيد من الاهتمام والحيوية لدى المتعلم، وتستثير العمليات الذهنية لديه وتوجه نشاطه نحو هدف معين، وتقلل من فرص التشتت والسرحان وتهيء الاستعداد للتعلم وتقوي النشاط الذهني والجسمي[4].

والدافعية للمذاكرة مرادفة للدافعية للتعلم؛ لذلك تقع مهمة تحديد أسلوب الدراسة والاستذكار وبلورتها على ما يعرض على الطلبة من نماذج تعلم وتعليم أمامهم، والمراقبة والإشراف على ما يمارسون من إجراءات ذاتية مستقبلية تحت إشراف المدرسين في حجرة الدراسة، إذ تسهم المراقبة الصفية للتعلم والتحصيل في تطور

---

[2] نفس المرجع السابق

[3] Brophy.J, 1998: Motivating Students to Learn, Boston - USA, McGraw - Hill

4 نبيل محمد زايد، 2003: الدافعية والتعلم، ط1، توزيع مكتبة النهضة المصرية

أساليب مذاكرة مناسبة، وتشجعه على تحقيق التحصيل المرتفع الذي يسعى نحو تحقيقه عادة معظم الطلبة[5].

وفي ضوء التفسيرات السابقة نستطيع تعريف مصطلح الدافعية كتكوين نفسي، على أنها حالة تغير ناشئة في نشاط الكائن الحي بالاستثارة وبالسلوك الموجه نحو تحقيق الهدف.

وعليه، فإن الدافعية تتضمن ثلاثة خصائص أساسية:

1. تبدأ الدافعية بتغير في نشاط الكائن الحي، وقد يشمل ذلك بعض التغيرات الفيزيولوجية التي ترتبط بالدوافع الأولية مثل دافع الجوع.

2. تتميز الدافعية بحالة استثارة فعالة ناشئة عن هذا التغير، بحيث تقوم هذه الاستثارة بتوجيه سلوك الفرد وجهة معينة تحقق اختزال حالة التوتر الناشئ عن وجود الدافع، وتستمر حالة الاستثارة طالما لم يتم إشباع الدافع.

3. تتميز الدافعية بأنها توجه السلوك نحو تحقيق الهدف، ولذلك فإنها تتضمن استجابات الهدف المتوقع الوصول إليه أو استجابات الهدف التوقيعية التي تهدف إلى اختزال حالة التوتر الناشئة عن وجود الدافع، أو أنها تؤدي إلى استجابات البحث عن الهدف حتى يتم اختزال حالة الدافعية.

والخصائص التي تتميز بها الدافعية كعملية، تبدأ باستثارة النشاط وتنتهي بتحقيق الهدف. وتتضمن خمسة عناصر رئيسية هي[6]:

- *محددات الدافع أو استثارة الكائن الحي:* تعبر محددات الدوافع عن الحاجات الفيزيولوجية التي تعتبر ضرورية لستمرار الحياة الطبيعية للفرد كالحاجة إلى الطعام والشراب والتنفس.. وتؤثر هذه المحددات بشكل حاد ومباشر في تشكيل السلوك وصياغته.
- *حالة الدافع أو الحافز:* حرمان الكائن الحي من الحاجات الفيزيولوجية تزيد من شدة الدافع وتضاعف من حدة النشاط الباحث عن الإشباع لهذه الحاجة، وذلك

5 نفس المرجع السابق

6 م.ح.باهي وأ.إ.شلبي، المرجع السابق

يسبب حدوث نوع من عدم التوازن البيولوجي لدى الكائن الأمر الذي يؤدي إلى تنشيط واستثارة الكائن سعيا وراء خفض هذا التوتر واستعادة حالة التوازن.

- *سلوك البحث عن هدف:* ويهدف هذا السلوك إلى خفض التوتر واستعادة الاتزان. وفي حالة الكائن المحروم من الطعام مثلا يكون السلوك موجها نحو الحصول على الطعام.
- *مرحلة تحقيق الهدف:* وهي مرحلة تحقيق الإشباع، كأن يأكل الحيوان الجائع أو يصل الفرد لحل مسألة الرياضيات التي صعب عليه فهمها.
- *مرحلة خفض التوتر واستعادة التوازن:* وهي تنشأ نتيجة الحصول على الهدف أو الأثر الذي يعقب تحقيق الإشباع، وهي مرحلة في غاية الأهمية بالنسبة لتثبيت وتدعيم التعلم.

وبوجه عام فإن هناك عددا من الملامح التي يتسم بها أي تعريف يقدم لمفهوم الدافعية. ومن أهم هذه الملامح ما يأتي:

1. **للدافعية وظيفة تنشيطية *Arousing or Activation Function***: فهي تعمل على تعبئة الطاقة *Energizing* لدى الفرد وتحفزه نحو الهدف، وتستمر هذه الطاقة معبأة إلى أن يشبع الفرد حاجته أو يحقق هدفه. وعلى أساس أن الدافعية في شكلها العام ما هي إلا صورة من صور الاستثارة فقد اتضح أن تعبئة الكائن بدرجة شديدة قد تؤدي إلى تشتته، ولهذا فإن زيادة الدافعية فوق حد أمثل يعوق الأداء أكثر مما ييسره. وبوجه عام فإن المستوى المتوسط من الدافعية أو الاستثارة الانفعالية هو أفضل المستويات التي يكون الفرد خلاله على درجة ملائمة من اليقظة والتنبه للقيام بأعماله ونشاطاته.

2. **للدافعية وظيفة توجيهية *Directive***: حيث تعمل الدافعية كمخطط؛ فهي توجه سلوك الفرد وما ينوي القيام به في المستقبل نحو تحقيق الهدف، وهذا ما أوضحه ميلر وآخرون *Miller & al* في نظرية السلوك الموجه نحو الهدف حيث يقوم الفرد بالمقارنة بين البيئة والهدف، ثم يقوم بمعالجة البيئة حتى يقلل من التفاوت بينها وبين الهدف، ثم يختبر مرة أخرى التفاوت بين البيئة والهدف، ثم يسعى بعد ذلك لتحقيق الهدف.

3. **الدافعية تعمل كتوجه *as Orientation* عام لدى الفرد**: وفي هذا الشأن فإن هناك من يميز بين التوجه الثابت والتوجه الدينامي، كما أن هناك من يميز بين توجه الفعل *Action* وتوجه الحالة *State* حيث يكون توجه الفرد ديناميا في حالة وجود ضغوط من البيئة نحو السلوك الفعلي المناسب لمتطلبات البيئة[7].

4. **يتفاوت الأفراد في مستويات الدافعية**: وذلك نظرا لتأثر الدافعية بالعديد من العوامل سواء الداخلية مثل الاهتمامات والقيم، أو العوامل الخارجية والمتمثلة في البيئة التي يعيش فيها الفرد، وما يوفره السياق الاجتماعي من ميسرات أو عقبات بالنسبة للفرد حيث تحدد خبرة الفرد والسياق الذي يعيش فيه مدى تعبئته لطاقته في اتجاه أو آخر[8].

وبناء على ما سبق، فإن مفهوم الدافعية يتضمن قسمين أساسيين: القسم الأول وهو النشاط العام أو الطاقة العامة، أما القسم الثاني فهو استقطاب هذا النشاط العام في اتجاه معين بحيث يتم توظيفه لخدمة هدف محدد بعد أن كان غير محدد وعاما؛ فسعي التلميذ إلى النجاح في الدراسة مثلا هو الذي يمكننا أن نفترض أن لديه دافعية نحو التعلم. وهذا يعني أن وظيفة الدافع لا تقتصر على مجرد استثارة السلوك وتنشيطه فحسب، بل تمتد إلى توجيهه الوجهة الملائمة لإشباع الدافع.

2. تصنيف الدوافع:

إذا اتخذت نشأة الدوافع أساسا للتصنيف، فإنه يمكن حصر مختلف الدوافع لدى الإنسان في فئتين: دوافع فطرية أولية ودوافع ثانوية مكتسبة، فالفرد يولد ولديه عدد محدد من الدوافع الأولية في نوعها، والعامة في انتشارها والبيولوجية في جوهرها وهدفها. وهذه الدوافع هي التي تعمل على قيام الفرد بأنواع الأنشطة التي تهدف إلى حفظ بقائه ككائن حي. وخلال حياة الفرد وما يتعرض له من ظروف وخبرات، يرتبط بهذه الدوافع الأولية المحدودة العدد الكثير من الدوافع الأخرى التي اكتسبها الفرد خلال

7 Jacoby (L.L) & Kelly (C.M), 1990 : An Episodic View of Motivation, Handbook of Motivation and Cognition, Foundations of Social Behavior, Vol. 2, The Guilford Press – New York

8 محي الدين أحمد حسين، 1988: دراسات في الدوافع والدافعية، دار المعارف – القاهرة

تلك الخبرات، ومن الطبيعي أن تتعدد وتتباين هذه الدوافع الثانوية المكتسبة وتختلف باختلاف الأفراد وما يتعرض له كل منهم خلال حياته[9].

وهذا التصنيف من أكثر التصنيفات شيوعا واستخداما، حيث تنقسم الدوافع إلى فئتين: **الدوافع بيولوجية المنشأ:** ويطلق عليها الدوافع الفيزيولوجية أو الأولية، ومنها دافع الجوع، دافع العطش، دافع الجنس، ودافع الأمومة. **الدوافع الاجتماعية:** والتي يكتسبها الفرد من البيئة والإطار الحضاري الذي يعيش فيه. وتتأثر بالسياق النفسي الاجتماعي للفرد، ويطلق عليها البعض أحيانا الدوافع السيكولوجية، ومن أمثلتها دافع الإنجاز، دافع الاستقلال، دافع السيطرة، دافع التملك، ودافع حب الاستطلاع[10].

أ. الدوافع بيولوجية المنشأ (الدوافع الأولية): وهذا النمط من الدوافع يعبر عن حاجات فيزيولوجية أولية وتشمل الحاجة إلى الطعام والشراب وحفظ النوع، ويترتب على إشباعها استعادة التوازن البيولوجي للكائن الحي. وتستثير هذه الحاجات دافع الجوع ودافع العطش ودافع الجنس على الترتيب. وتتصف هذه الدوافع بعدة خصائص منها الشدة والحدة في طلب إشباعها، فطرية وموروثة ولا تختلف باختلاف النوع أو الإطار الثقافي. وهذه الدوافع يصعب الاعتماد عليها في التعلم الإنساني.

ب. الدوافع سيكولوجية المنشأ (الدوافع الثانوية): وتمثل دوافع النمو الإنساني وتكامل الشخصية الإنسانية، ويتم تعلمها واكتسابها من الإطار الثقافي الخاص لها. ولذلك فإن أساليب التعبير عنها وإشباعها تختلف باختلاف الإطار الثقافي والنسق القيمي للفرد ومستوى تعليمه ونسبة ذكائه وثقافته[11].

ويمكن تقسيم الدوافع سيكولوجية المنشأ إلى فئتين متمايزتين هما: الدافعية الداخلية والدافعية الخارجية، فقد عنى المعرفيون *Cognitive Approach* بالجانب الدافعي في التعلم، وممن أبرزوا ذلك في أولى محاولات فهم هذا المتغير الشخصي المهم

---

[9] سيد محمد خير الله وممدوح عبد المنعم الكناني، 1996: سيكولوجية التعلم (بين النظرية والتطبيق)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر – مصر

10 ع.م.خليفة، المرجع السابق

11 م.ح.باهي وأ.إ.شلبي، المرجع السابق

في التعلم هو هايدر *(Heider, 1958)*؛ إذ أظهر نوعين من الدافعية في الأداء وميز نوعين من المتعلمين: المتعلم المدفوع ذاتيا والمتعلم بدوافع خارجية.

■ *الدوافع الداخلية الفردية Intrinsic Motivations:* وتمثل أهم الأسس الدافعة للنشاط الذاتي التلقائي للفرد، وتقف خلف إنجازاته الأكاديمية أو المهنية العامة. فالفرد الذي يهوى القراءة من أجل متعة شخصية ذاتية تقوم على الدافع للمعرفة والفهم يكون مدفوعا بدافع داخلي أكثر ثباتا وقوة لأنه يحقق لنفسه إشباعا ذاتيا، ومن ثم فإن تأثير الدوافع الداخلية الفردية على مستوى الأداء والإنجاز الفردي يفوق تأثير الدوافع الخارجية الاجتماعية. ويندرج تحت الدوافع الداخلية الفردية دافع حب الاستطلاع *Curiosity.M*، دافع الكفاءة أو المنافسة *Competence.M*، دافع الإنجاز *Achievement.M*. ولعل من أهم أساليب تعبير الأفراد عن دافع المنافسة والكفاءة ودافع الإنجاز ما يلي:

- أنهم يفضلون العمل على مهام تتحدى قدراتهم بحيث تكون هذه المهام واعدة بالنجاح، ولا يقبلون المهام التي يكون فيها النجاح مؤكدا أو مستحيلا.

- أنهم يفضلون المهام التي يقارن فيها أداؤهم بأداء غيرهم، ولديهم قدرة عالية على التوفيق بين قدراتهم والمهام التي يختارونها.

- أنهم يفضلون اختيار مهام يكون لديهم قدر من الاستبصار بالنتائج المتوقعة من العمل فيها، وبمقدار الوقت والجهد المطلوب لها[12].

■ *الدوافع الخارجية الاجتماعية Extrinsic Social Motivations:* وهي دوافع مركبة تعبر عن نفسها في مختلف المواقف الإنسانية، وهي خارجية لكونها تخضع لبواعث وحوافز تنشأ خارج الفرد، كما أنها اجتماعية لأنها متعلمة ومكتسبة من المجتمع. ومن أهم الدوافع الاجتماعية، دافع أو حاجة الانتماء *Need for Affiliation* وهو دافع مركب يوجه سلوك الفرد كي يكون مقبولا كعضو في الجماعة التي ينتمي إليها، وأن يكون محل اهتمام الآخرين وتقبلهم والحرص على إنشاء وتكوين صداقات والمحافظة عليها. ودوافع القوة أو السيطرة *Need for Power* ويتعلق بالميل إلى السيطرة

[12] م.ح.باهي وأ.إ.شلبي، المرجع السابق

والتأثير في الآخرين والشعور بالقوة لإثبات الذات والشهرة وتولي المناصب القيادية ومقاومة تأثير الآخرين[13].

يعمل الطلبة في بعض الأحيان بتأثير الدوافع الداخلية، بمعنى أن طاقتهم وتوجيههم نابعين من رغبتهم الذاتية في المشاركة في نشاط معين. والأنشطة المحكومة بدوافع داخلية تعزز نفسها بنفسها، فيمكن لطفل الروضة أن يلعب في صندوق الرمل أوقاتا طويلة لا لسبب ظاهر سوى أنه يحب أن يختبر الرمل، ويمكن لطالب الثانوي أن يقرأ كل ما يقع تحت يديه عن رياضة ما لا لسبب سوى إشباع اهتماماته. ويمكن لطفل الروضة وطالب الثانوي أيضا أن يعملا تحت تأثير الدوافع الخارجية، وهي التي تكون بمثابة طاقة واتجاه وحوافز تنبع من الرغبة في ترك انطباع حسن لدى الآخرين. ولكن ستكون هذه الدوافع من مستوى أدنى بالمقارنة بالدوافع المنبعثة من داخل الفرد[14].

وقد افترح ماسلو *Maslow* عام 1943 نظاما لتطور الرغبات معبرا عنه بتاريخ الفرد في إشباع حاجاته. وطبقا لهذا التنظيم تنمو حاجات الإنسان تتابعيا وفق تنظيم هرمي للدوافع له عدة مستويات، وذلك على التوالي -من القاعدة إلى القمة- كما يلي:

أ. حاجات فيزيولوجية *Physiological needs*

ب. حاجات الأمن *Safety needs*

ج. حاجات الانتماء والحب *Belongingness and love needs*

د. حاجات تقدير الذات *Esteem needs*

هـ. حاجات تحقيق الذات *Self Actualization need*

وتشتمل الحاجات الفيزيولوجية (كما حددها ماسلو)، على الحاجات التي تكفل بقاء الفرد مثل الحاجة إلى الهواء والشراب والطعام. أما الحاجة إلى الأمن فتشير إلى رغبة الفرد في الحماية من الخطر والتهدد والحرمان. وحدد الحاجات الاجتماعية بأنها الرغبة في الانتماء والارتباط بالآخرين. أما الحاجة إلى التقدير فتتمثل في الرغبة في تقدير الذات وتقدير الآخرين لها. وأخيرا حدد الحاجة إلى تحقيق الذات بأنها رغبة الفرد في

13 نفس المرجع السابق

14 عبد الرحمن عدس، 1999: علم النفس التربوي (نظرة معاصرة)، دار الفكر، الأردن

تحقيق إمكاناته وتنميتها، ويعتمد تحقيق الذات على الفهم والمعرفة الواضحة لدى الفرد بإمكاناته الذاتية وحدودها[15].

ويرى ماسلو في الترتيب التتابعي (أو الهرمي) للحاجات أن المستويات المتتالية للحاجات تظهر تباعا وتحتل مكانها كلما تقدم الفرد في العمر الزمني، فالمستوى الأول من الحاجات الفيزيولوجية يظهر مع بداية الحياة ويحتل مكان الصدارة في الدافعية ثم لا تلبث المستويات التالية من الحاجات في الظهور على التوالي وتكتسب الصدارة واحدة بعد الأخرى حتى تصل إلى مستوى تحقيق الذات لدى الفرد البالغ الناضج متصدرة دوافعه، بينما تكون المستويات السابقة على التوالي أقل تأثيرا في دافعية الفرد[16].

3. بعض المفاهيم المرتبطة بالدافعية:

هناك عدة مفاهيم مرتبطة بالدوافع، وكثيرا ما تكون موجِّهة له. ومن أمثلة هذه المفاهيم نجد: الحاجة، الميل، القيم، الاتجاهات والطموح. وفيما يلي سيتم ذكر نبذة عن كل هذه المفاهيم وعلاقتها بالدوافع:

1.3 الحاجة *Need*:

الحاجة هي حالة توتر أو اختلال في التوازن يشعر به الفرد بخصوص هدف معين، ويرغب في عمل شيء لبلوغ هذا الهدف وإزالة التوتر واستعادة التوازن[17].

والحاجة رغبة طبيعية يهدف الكائن الحي إلى تحقيقها بما يؤدي إلى التوازن النفسي والانتظام في الحياة. وتظهر أهميتها في حياة الكائن الحي عندما توجد صعوبات أو ظروف تحول دون إشباع هذه الحاجة، إذ يظهر عليه الاضطراب والقلق وعدم الشعور بالسعادة في الحياة. وقد افترض ماسلو في تصنيفه للحاجات والدوافع، وجود نظام هرمي للحاجات يبدأ من الحاجات الأساسية التي يولد بها الإنسان، ويتصاعد إلى حاجات نفسية أكثر تعقيدا. ولا تصبح الحاجات النفسية هامة وذات دور فعال إلا بعد إشباع الحاجات الأساسية[18].

---

15 ع.م.خليفة، المرجع السابق

16 س.م.خير الله وم.ع.الكناني، المرجع السابق

17 أحمد زكي صالح، 1959: الأسس النفسية للتعليم الثانوي، مكتبة النهضة المصرية: ص58

18 رجاء محمود أبو علام،1986: علم النفس التربوي، دار القلم – الكويت

وتشير الحاجة إلى شعور الكائن الحي بالافتقاد إلى شيء معين (English & English, 1958) ويستخدم مفهوم الحاجة للدلالة على مجرد الحالة التي يصل إليها الكائن نتيجة حرمانه من شيء معين، إذا ما وجد تحقق الإشباع. وبناء على ذلك فإن الحاجة (معتز عبد الله، 1990) هي نقطة البداية لإثارة دافعية الكائن الحي، والتي تحفز طاقته وتدفعه في الاتجاه الذي يحقق إشباعها[19].

2.3 الميل *Interest* :

الميل هو: "استعداد لدى الفرد يدعوه إلى الانتباه والاستمرار في نشاط ما يثير شيئا في نفسه، أو هو القوة التي يشعر بها الفرد وتدفعه إلى الاهتمام بشيء ما والانتباه له، أو هو القوة التي تدفعه إلى التفضيل بين أوجه النشاط المختلفة"[20].

وقد تعرضت نظريات متعددة لتفسير أصل وطبيعة الميل، فنظرية كارتر التي تقوم على التفسير البيئي للميول ترى أن الفرد في محاولاته للتكيف لتحقيق ذاته مع بيئته الثقافية يكتسب خبرات لازمة لتكامل شخصيته وبذلك يتكون الميل بحيث يكون محققا لذات الفرد في بيئة معينة. ويرى دارلي أن الميول تتكون نتيجة لنمو الشخصية، أما بوردن وسترونج وبردي وسوبر فهم يرون أن الميول تتكون نتيجة تفاعل العوامل الوراثية (الاستعدادات الموروثة) مع العوامل البيئية (الفرص المتاحة للفرد وتعليمه وتقييمه الاجتماعي)[21].

واستغلال ميول التلاميذ في توجيه الدرس يلعب دورا هاما، فهو من ناحية يشبع هذا الميل لدى التلميذ ويحقق أهدافنا التعليمية من ناحية أخرى. كما أن الاهتمام بالميول وإشباعها يساعد على الكشف على الميول الكامنة لدى التلميذ وإيقاظها[22].

ويجدر بنا أن نشير إلى نمط ومحتوى مواد التعلم نفسها ينبغي أن تكون وسيلة لخلق وتنمية ميول جديدة كلما تقدم المتعلم في دراسته. ولا يعتبر التعليم مجديا إلا إذا شارك فيه المتعلم بدور نشط فعال، ولا يستطيع المتعلم أن يأخذ هذا الدور إلا إذا رأى

19 ع.م.خليفة، المرجع السابق: ص78

20 محمد أيوب الشحيمي، 1994: دور علم النفس في الحياة المدرسية، ط1، دار الفكر اللبناني: ص192

21 سيد محمد خير الله، 1981: بحوث نفسية وتربوية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت

22 ر.م.أبو علام، المرجع السابق

أن ما يدرسه ذا صلة بحاجاته وميوله الحقيقية. ويمكننا القول أن مراعاة حاجات وميول الطلاب يعطي قوة دافعة تعجز أي وسيلة أخرى عن أن تمدهم بها. ولا يفهم من هذا أن الاهتمام يكون منصبا على الطالب فقط دون مراعاة لمطالب المجتمع واحتياجاته، وإنما يكون الاهتمام بالطالب في حدود الإطار العام لمطالب المجتمع لأن ذلك سيؤدي في النهاية إلى مخرجات يحتاجها المجتمع وتسهم في بنائه وسد احتياجاته وتلبية مطالبه. وبهذا يصبح التعليم نوع من الاستثمار إذا راعى ميول الطلاب التي تعكس رغبات الفرد الدائمة وإمكاناته الحقيقية التي يمكن بواسطتها توجيه الطالب تربويا ومهنيا بما يحقق له أكبر قدر ممكن من احتمالات النجاح[23].

3.3 القيم *Values*:

مفهوم القيمة من المفاهيم التي اهتم بها الكثير من الباحثين في مجالات مختلفة كالفلسفة والتربية والاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم النفس وغير ذلك من المجالات، وقد ترتب على ذلك نوع من الخلط والغموض في استخدام المفهوم من تخصص لآخر. وتختلف نظرة علماء علم النفس الاجتماعي لمفهوم القيمة عن علماء الاقتصاد والاجتماع، فعلماء الاجتماع مثلا يوجهون عنايتهم ببناء النظم الاجتماعية ووظيفتها، ويهتمون بأنواع السلوك التي تصدر عن جماعات أو فئات من الأشخاص في علاقتها فقط بنظم اجتماعية أخرى وتحلل مختلف الأحداث السلوكية (مثل الشراء والبيع، والانتخاب، والتردد على دور العبادة،..) التي تصنف أنواع معينة من النشاط لدى الأفراد.

فالقيم عبارة عن تنظيمات عقلية انفعالية معممة نحو الأشخاص والأشياء والمعاني وأوجه النشاط، ومن أمثلة القيم: القوة، الثروة، النظافة، العلم، الإيمان، ... وهي تقترب من المثل. ويمكن أن ننظر إلى القيمة على أنها اهتمام أو اختيار أو تفضيل أو حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتديا بمجموعة المبادئ أو المعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه والذي يحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه. والقيم نتاج اجتماعي يتعلمها الفرد ويكتسبها، وعن طريق التفاعل الاجتماعي يتعلم الفرد أن بعض الدوافع والأهداف تفضل عن غيرها؛ أي أنه يقيِّمها على أنها أحسن من غيرها أو أكثر أهمية[24].

23 علم الدين عبد الرحمن الخطيب، 1988: الأهداف التربوية (تصنيفها وتحديدها السلوكي)، ط1، مكتبة الفلاح – الكويت

24 محي الدين مختار، 1982: محاضرات في علم النفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر

إلا أن هناك خلطا شائعا لدى بعض الباحثين في استخدام كل من القيمة والدافع، والنظر إلى القيم على أنها ما هي إلا أحد الجوانب لمفهوم أشمل هو الدافعية. وقد تستخدم القيم بالتبادل مع الدافعية *(Sibulkin, 1983)* فعلى سبيل المثال اعتبر ماكليلاند الدافع للإنجاز بمثابة قيمة *(McClelland, 1961)* وأيد ذلك ولسون *(Wilson, 1981)* من خلال نتائج دراساته التي أوضحت أن هناك ارتباطا مرتفعا بين دافع الأمن *Safety-Motive* وقيمة الأمن القومي على مقياس القيم لروكتش *Rokeach*.

ويرى بنجستون *Bengston* أنه عندما تؤثر القيم في سلوك الفرد وتؤدي به إلى اختيار بديل دون آخر فهي تعتبر كدافع. كما يتعامل فيذر *Feather* مع القيم على أنها مرادفة أو مكافئة للدوافع، فهو يعرف القيم بأنها بناء مترابط يتضمن الوجدان والموقف الحالي الذي يوجد فيه الفرد، وأنها تتكون مما يراه الفرد حسنا أو سيئا، إيجابا أو سلبا، ويرى أن ذلك يتسق مع النظرية المعرفية-الدافعية *Cognitive-Motivational Theory* التي تدعم الافتراض بأن دوافع الأفراد نحو الموضوعات أو الأنشطة في موقف معين تكون مختارة حسب رغبتهم لما هو مفضل أو غير مفضل من هذه الموضوعات أو الأنشطة، لما هو إيجابي ويحاولون الوصول إليه وما هو سلبي ويحاولون الابتعاد عنه[25].

وبوجه عام فإن القيم ليست كالبواعث أو الدوافع مجرد ضغوط تعمل على توجيه السلوك في اتجاه معين، بل تعني القيم نظاما من الضغوط لتوجيه السلوك، ومن الأفكار والتصورات لتأويل هذا السلوك بإعطائه معنى وتبريرا معينا *(Rokeach, 1976)* ؛ فالتوقع المنخفض لقيمة الإنجاز يترتب عليه نقص في قيمة السلوك الموجه نحو الإنجاز، أما التوقع المرتفع لقيمة الإنجاز فيؤدي إلى زيادة هذا السلوك[26].

ويمكن المقارنة بين القيمة والدافع على أساس نوع الهدف في كل منهما، حيث أن الهدف في القيمة من النوع المطلق ويتسم بالوجوب؛ فيقول الشخص مثلا: يجب أن أعمل هذا الشيء، كما يقارن بينهما على أساس أن الفرد يوجه إليه النقد إذا فشل في السعي نحو إشباع الدوافع لموضوع معين. فالدافع يتولد عنه قيمة معينة، ففي حالة عدم وجود قيمة للدافع (كالحاجة للطعام) فإننا لا نشعر بالرغبة نحوه. وفي ضوء ذلك

25 ع.م.خليفة، المرجع السابق

26 ع.م.خليفة، 2000، المرجع السابق

يتضح أن هناك فرقا بين مفهوم القيمة ومفهوم الدافع، فالدافع هو حالة توتر أو استعداد داخلي يسهم في توجيه السلوك الداخلي نحو غاية أو هدف معين، أما القيمة فهي عبارة عن التصور القائم خلف هذا الدافع.

4.3 الاتجاهات *Tendencies*:

الاتجاه يعبر عن شعور الشخص نحو أشخاص آخرين ونحو ظروف ومواقف وأشياء مختلفة. ويعرفه ألبورت *G.Allport* بأنه حالة من الاستعداد أو التهيؤ النفسي، تنتظم من خلال خبرة الشخص، وتمارس تأثيرا توجيهيا وديناميا على استجابته لكل الموضوعات والمواقف المرتبطة بهذه الاستجابة.. ويقترب تعريف وارن *H.Warren* من ذلك، حيث يرى أن الاتجاه استعداد نفسي يتكون بناء على ما يمر به الشخص من خبرات يمكن أن تؤدي في نهاية الأمر إلى إحداث تغييرات في مجال الاتجاه.. والاتجاه من وجهة نظر رايتسمان ودوكس *L.Wrightsman & K.Deaux* هو "توجه ثابت أو تنظيم مستقر للعمليات المعرفية والانفعالية والسلوكية[27].

إلا أن هناك خلط في استخدام القيم والاتجاهات بشكل ربما يقلل من أهمية استخدام مفهوم القيم، إذ يرى البعض أن مفهوم القيم حالة خاصة من مفهوم الاتجاه، وبالتالي فهو يستخدم بصورة غير رسمية *informal*. بينما رأي كامبل *D.T.Campbell* أن القيم والاتجاهات مفهومان متشابهان يستخدمان بالمعنى نفسه. إلا أن عددا من الباحثين اهتموا بإبراز أوجه الفروق بين الاتجاهات والقيم في العديد من الجوانب بالشكل الذي يحفظ لمفهوم القيم مكانته المحورية في تراث علم النفس الاجتماعي، وذلك على النحو التالي[28]:

– بينما تعبر القيمة عن معتقد فردي، يشير الاتجاه إلى تنظيم من المعتقدات العديدة التي تركز على موضوع معين أو موقف ما.

– تتجاوز القيمة حدود الموضوعات والمواقف، بينما يركز الاتجاه على بعض الموضوعات أو المواقف النوعية.

27 معتز سيد عبد الله، 1989: الاتجاهات التعصبية، عالم المعرفة - الكويت: ص39-40

28 م.س.عبد الله، المرجع السابق

– تمثل القيمة معيارا *standard* بالنسبة لسلوك صاحبها، بينما الاتجاه لا يعد كذلك. فالتقويمات المفضلة وغير المفضلة لموضوعات الاتجاه أو مواقفه المتعددة تقوم على أساس عدد صغير من القيم التي تمثل هذه المعايير.

– يتناسب عدد القيم التي يعتنقها الشخص مع المعتقدات التي تعلمها بخصوص أشكال السلوك المرغوب فيها أو أهداف الحياة. ويتوقف عدد الاتجاهات التي يتبناها على ما واجهه بصورة مباشرة أو غير مباشرة من موضوعات أو مواقف معينة. وبالتالي تقدر القيم التي يعتنقها الشخص بالعشرات مقارنة بعدد الاتجاهات التي يتبناها والتي تتعدى الآلاف.

– القيم أكثر عمومية وشمولا من الاتجاهات. فطبقا لتصور آيزنك *Eysenck* العاملي للاتجاهات الاجتماعية، تمثل الإيديولوجية (القيم) مستوى النمط (العوامل العليا)، بينما تمثل الاتجاهات مستوى السمات (العوامل الأولية). بمعنى أن كل مجموعة من الاتجاهات تعبر عن إيديولوجية معينة (قيمة) على المستوى العاملي.

– تحتل القيم مكانة أكثر مركزية من الاتجاهات داخل بناء الشخصية والنسق المعرفي، وبالتالي فهي تمثل المحددات الأساسية للاتجاهات فضلا عن السلوك. أي هي التي تقدم المضمون النوعي للاتجاهات، بمعنى أن النسق القيمي العام للشخص هو الذي ينطوي على نسق اتجاهاته المتعددة.

– تعد القيم مفهوما أكثر دينامية من الاتجاهات، وذلك على أساس ارتباطها المباشر بالدافعية. ورغم أن للاتجاهات مكونا دقيقا (تقويما) إلا أنه يدرَك كوسيلة لتحقيق القيمة سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

– تعبر القيم غالبا عن تقويمات إيجابية (أي تعبر عما هو مرغوب فيه)، بينما الاتجاهات يمكن أن تعبر عن تقويمات إيجابية (التفضيل) أو تقويمات سلبية (عدم التفضيل).

– تنتظم القيم في نسق متدرج حسب الأولويات في ضوء متصل الأهمية-عدم الأهمية، كما يحمل هذا المفهوم خاصية الانتقائية، وهي خاصية تكشف عن نفسها من خلال الاختيار بين بدائل أو توجهات متعددة في الحياة. وهذا لا يوجد بالنسبة للاتجاهات التي يستجيب الشخص للعديد منها في الوقت نفسه.

5.3 الطموح *Aspiration*:

نسمي مستوى الطموح، الهدف الذي يضعه الفرد في سياق سلوك مدفوع ويسعى إلى الوصول إليه والذي يعتبره كهدف محقق، مع الأخذ بعين الاعتبار اتجاهاته والشروط الموضوعية. وهو يناسب المعايير التي يحددها الفرد. ونستطيع القول أن مستوى الطموح هو المستوى الذي يضعه الفرد لنفسه كي يبلغه مستقبلا في عمل معين، إذ يمكن تفسير النجاح على أنه أداء يساوي أو يفوق المستوى الذي كان يطمح إليه الفرد، في حين أن الإخفاق يمثل دون المستوى الذي كان الفرد يهدف إلى بلوغه.

إن وضع مستويات طموح، تمثل الأهداف التي ينبغي الوصول إليها. وهذه المستويات الموضوعة المنشودة التي يتوق الفرد لإنجازها، تحفز الفرد إلى تجنيد كل طاقاته وإمكاناته لتحقيق تلك المستويات، فالطالب الطموح هو الذي لا يكتفي بمجرد النجاح بل يسعى إلى التفوق[29].

وهناك عوامل كثيرة تؤثر في مستوى الطموح منها: توقع النجاح له أثر طيب على مستوى الطموح، في حين أن توقع الفشل له تأثير معوق. إذا كان مستوى الطموح أعلى من قدرة الفرد فقد يكون العمل الذي يواجهه الطالب معقدا جدا وصعبا بحيث لا يستطيع تحقيق الهدف الذي حدده مستوى طموحه، كما أن مستوى الطموح إذا كان أقل من قدرته فإنه قد يجد العمل سهلا جدا بحيث لا يتحدى المتعلم ولا يستثيره. وكثيرا ما يضع الأفراد غير الآمنين لأنفسهم أهدافا عالية بعيدة ليشعروا بالنجاح حتى ولو أدركوا أنهم عاجزين عن تحقيقها. كما قد يحدد الطالب لنفسه مستوى من الطموح منخفضا، وذلك ليحمي نفسه من الفشل، ذلك لأنه بتحديده لهدف يعرف أنه يستطيع تحقيقه لا يجازف بتعريض نفسه للفشل.

وتؤثر الأسرة والمدرس وغيره من الراشدين في مستوى الطموح أحيانا، ولذلك يجب على المدرس أن يساعد تلاميذه في وضع أهداف واقعية قابلة للتحقيق ومتناسبة مع قدراته واستعداداته. وكثيرا ما يؤثر أقران التلميذ في تحديد مستوى الطموح، ولذلك نجده يضع لنفسه مستوى من الطموح يلائم معايير الجماعة التي ينتمي إليها[30].

---

29 يوسف مصطفى القاضي ولطفي محمد فطيم ومحمود عطا حسين، 1981: الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي، ط1، دار المريخ – الرياض

30 ر.م.أبو علام، المرجع السابق

6.3 الباعث *Incentive*:

إن أبرز مفهوم في مجال الدافعية اليوم هو مفهوم الباعث، وقد أورد هذا المفهوم العالم روبرت.س.وودورث *(Robert.S.Woodworth, 1918)* ليصف "الطاقة" التي تضطر الكائن العضوي إلى الحركة وذلك في مقابل العادات التي توجه السلوك في هذا الاتجاه أو ذاك. وعلى الرغم من أن وودورث كان يعني بالمصطلح ذلك المخزن العام من الطاقة، إلا أن الناس سرعان ما بدؤوا يتحدثون لا عن الباعث ولكن عن عدة بواعث مختلفة من قبيل الجوع والعطش والجنس وما إلى ذلك، وكانوا يقصدون بذلك الميل للتوجه نحو أهداف معينة أو للابتعاد عنها. وبذلك أصبحت فكرة البواعث تشبه من عدة وجوه فكرة الغرائز[31].

والباعث هو موقف خارجي مادي أو اجتماعي يستجيب له الدافع فيؤدي إلى إشباعه؛ أي يعمل على خفض التوتر المصاحب للدافع فيؤدي إلى إشباعه، وبالتالي العمل على استعادة توازن الكائن الحي. والدافع لا يوجه السلوك بمفرده وإنما يساعده الباعث الخارجي. والفرق بين الباعث والمنبه الخارجي هو أن المنبه يثير الدافع ولكن لا يرضيه، بينما الباعث وهو خارجي أيضا يثير الدافع ويرضيه في نفس الوقت؛ فسماع صوت جرس الغذاء بالنسبة لتلاميذ المدرسة يثير دافع الجوع ولكنه لا يشبعه، بينما الطعام وهو الباعث الخارجي هو وحده الذي يشبع هذا الدافع[32].

ويعرف فيناك *W.E.Vinacke* الباعث بأنه يشير إلى محفزات البيئة الخارجية المساعدة على تنشيط دافعية الأفراد سواء تأسست هذه الدافعية على أبعاد فيزيولوجية أو اجتماعية. وتقف الجوائز والمكافآت المالية والترقيات كأمثلة لهذه البواعث، فيعد النجاح والشهرة مثلا من بواعث الدافع للإنجاز[33].

31 إدوارد.ج موراي، 1988: الدافعية والانفعال، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة، ط1، دار الشروق – بيروت

32 حلمي المليجي، بدون سنة طبع: علم النفس المعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت

33 م.أ حسين، المرجع السابق

والبواعث نوعان: بواعث إيجابية تجذب إليها المرء كأنواع الثواب والمديح والمكافأة وغيرها، وبواعث سلبية تحمل المرء على تجنبها وتفاديها مثل التوبيخ واللوم والعقاب والقوانين الرادعة والنواهي الاجتماعية وغيرها[34].

7.3 الحافز *Drive*:

الحوافز عبارة عن دوافع تنشط السلوك بهدف إشباع الحاجات ذات الأصول الفيزيولوجية المرتبطة بالبقاء على قيد الحياة. وتنشأ الحوافز لتحقيق الحاجة إلى الأكسجين، الماء، الطعام، الجنس وتفادي الألم. ويقال: إن الحاجة تنشأ عندما تكون الميكانيزمات الآلية في الجسم غير قادرة على إبقائه في حالة متزنة وبافتراض أن الحافز الذي تم تنشيطه عندئذ يؤدي إلى قيام الكائنات بفعل ما من أجل تصحيح حالة عدم الاتزان[35].

يشير الحافز إلى العمليات الداخلية الدافعة التي تصحب بعض المعالجات الخاصة بمنبه معين، وتؤدي بالتالي إلى إصدار السلوك *(Marx, 1976)*. ويرادف البعض بين مفهوم الحافز ومفهوم الدافعية على أساس أن كل منهما يعبر عن حالة التوتر العامة نتيجة لشعور الكائن الحي بحاجة معينة.

وفي مقابل ذلك فإن هناك من يميز بين هذين المفهومين على أساس أن مفهوم الحافز أقل عمومية من مفهوم الدافع، حيث يستخدم مفهوم الدوافع للتعبير عن الحاجات البيولوجية والاجتماعية، في حين يقتصر مفهوم الحوافز للتعبير عن الحاجات البيولوجية فقط[36].

وبوجه عام فإن الحافز والدافع يشيران إلى الحاجة بعد أن ترجمت في شكل حالة سيكولوجية تدفع الفرد إلى السلوك في اتجاه إشباعها.

---

34 ح.المليجي، المرجع السابق

35 ليندا دافيدوف، 2000: الدافعية والانفعالات، ترجمة سيد الطواب ومحمود عمر، موسوعة علم النفس، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية – مصر

36 ع.م.خليفة، المرجع السابق

4. الدافعية للإنجاز:

يكاد يُجمع علماء النفس على أنه يمكن تفسير معظم أنماط السلوك الإنساني من خلال إحدى المكونات الدافعية الهامة وهي الحاجة أو الدافع للإنجاز. فيرى علماء النفس أن الدافع للإنجاز ليس من الشروط الضرورية لبدء التعلم والعمل فحسب، بل إنه ضروري للاحتفاظ باهتمام الفرد وزيادة جهده، بحيث يؤدي إلى تركيز الانتباه وتأخير الشعور بالتعب فيزيد الإنتاج. كما رأوا أن الدافع للإنجاز مصدر هام من مصادر تباين التحصيل الدراسي لدى الطلاب، فقد يغير الدافع طالبا فاشلا فيجعله متفوقا. وقد يكون الافتقار للدافع سببا وراء رسوب طالب آخر، بينما يجعل الدافع طالبا ثالثا يؤدي عمله بنجاح[37].

يرجع الفضل إلى موراي *(Murray, 1938)* في بدء تحديد مفهوم الحاجة إلى الإنجاز *Need of Achievement* وإرساء الأسس التي يمكن أن تستخدم في قياسه. وقد عرف موراي الدافع للإنجاز باعتباره حرص الفرد على تحقيق الأشياء التي يراها الآخرون صعبة، السيطرة على البيئة الفيزيقية والاجتماعية، التحكم في الأفكار وحسن تناولها وتنظيمها، سرعة الأداء، الاستقلالية، التغلب على العقبات وبلوغ معايير الامتياز، التفوق على الذات ومنافسة الآخرين والتفوق عليهم، والاعتزاز بالذات وتقديرها بالممارسة الناجحة للقدرة.

وفي ضوء هذا التعريف أوضح موراي أن شدة الحاجة للإنجاز تتمثل في عدة مظاهر من أهمها: سعي الفرد إلى القيام بالأعمال الصعبة، وتناول الأفكار وتنظيمها مع إنجاز ذلك بسرعة وبطريقة استقلالية، وتخطي الفرد لما يقابله من عقبات وتفوقه على ذاته، ومنافسة الآخرين، والتفوق عليهم، وتقدير الفرد لذاته من خلال الممارسة الناجحة لما لديه من قدرات وإمكانيات. وأشار موراي إلى أن الحاجة للإنجاز قد أعطيت إسم إرادة القوى *Well to Power* في كثير من الأحيان. وافترض أنها تندرج تحت حاجة كبرى وأشمل هي الحاجة إلى التفوق *Need for Superiority*[38].

37 أمينة إبراهيم شلبي، 1993: العلاقة بين اختلاف التفسير السببي لدافعية الإنجاز وتقدير الذات والاتجاه نحو الدروس الخصوصية لدى طلاب المرحلة الثانوية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة المنصورة – مصر

38 ع.م.خليفة، المرجع السابق

فتعريف موراي للحاجة للإنجاز يشير إلى الحرص متضمنا معنى المثابرة والإتقان آخذا الطموح في الاعتبار وفهم الفرد لذاته. ويركز التعريف على عاملين هامين: يتناول العامل الأول الإتقان مع الأهمية في توفير رغبة لدى الفرد للقيام بالعمل واستعداده لبذل الجهد أملا في تحقيق النجاح، أما العامل الثاني فيتمثل في السرعة نظرا لتقدير أهمية الوقت بالنسبة للشخص المنجز.

ويعرف ماكليلاند وزملاؤه (1953) الدافع للإنجاز بأنه الأداء في ضوء مستوى محدد من الامتياز والتفوق أو هو ببساطة الرغبة في النجاح يترتب عنها نوع من الرضى وذلك في المواقف التي تتضمن تقييم الأداء في ضوء مستوى محدد من الامتياز. كما عرفوا النشاط المنجز الذي يقوم به الفرد ويتوقع أن يتم بصورة ممتازة، وأنه محصلة الصراع بين هدفين متعارضين عند الفرد هما الميل نحو تحقيق النجاح، والميل إلى تحاشي الفشل[39].

كذلك يعرف فاروق عبد الفتاح (1987) دافعية الإنجاز على أنها الرغبة المستمرة للسعي إلى النجاح وإنجاز أعمال صعبة والتغلب على العقبات بكفاءة وبأقل قدر ممكن من الجهد والوقت وبأفضل مستوى من الأداء. ويشتق فتحي الزيات (1996) تعريفا لدافعية الإنجاز من نظرية أتكنسون، حيث يعرفها على أنها دافع مركب يوجه سلوك الفرد كي يكون ناجحا في الأنشطة التي تعتبر معايير للامتياز، والتي تكون معايير النجاح والفشل فيها واضحة ومحددة؛ ومن أمثلة ذلك: الأنشطة التنافسية سواء كانت أنشطة معرفية كالامتياز في التحصيل أو الذكاء أو الابتكار أو أنشطة حركية كالألعاب الرياضية الفردية أو أنشطة اجتماعية كالقيادة أو الزعامة[40].

بينما يعرفه أتكنسون بأنه استعداد ثابت نسبيا في الشخصية، يحدد مدى سعي الفرد ومثابرته في سبيل تحقيق أو بلوغ نجاح يترتب عليه نوع من الإشباع وذلك في المواقف التي تتضمن تقييم الأداء في ضوء مستوى محدد للامتياز[41].

39 نفس المرجع السابق

40 م.ح.باهي وأ.إ.شلبي، المرجع السابق

41 نفس المرجع السابق

1.4 علاقة الدافعية للإنجاز بالتعلم:

توصل بروسيك وبريك *(Prociuk & Breck, 1974)* إلى أن الأفراد الذين عزوا (نسبوا) درجاتهم في المقررات التي يدرسونها إلى القدرة والجهد عكسوا عادات دراسية فعالة واتجاهات موجبة نحو الدراسة، كما كان تحصيلهم الدراسي أعلى من الأفراد الذين عزوا درجاتهم في المقررات التي يدرسونها إلى الآخرين (المدرسين) والصعوبة أو عوامل الصدفة بفروق دالة إحصائيا[42].

كذلك أظهرت الدراسات التجريبية أنه إذا كان لدينا مجموعتان من الأفراد متساويتان في الذكاء، ولكن إحداهما مرتفعة في الدافع للإنجاز والأخرى منخفضة في هذا الدافع فإن المجموعة الأولى تحصل على درجات أفضل في الاختبارات المدرسية أو الجامعية؛ أي أن الطلاب الذين يحصلون على تقديرات مرتفعة في الجامعة يكون لديهم عادة دافع قوي للإنجاز ما دامت القدرات اللازمة لذلك متوفرة. ويؤكد مورجان *Morgan* هذه النتيجة بقوله: "في الدراسات العديدة التي نشرت عن العلاقة بين الأداء والدافع للإنجاز، توجد علاقة ارتباطية جيدة بين هذين المتغيرين سواء في الأعمال المدرسية أو في الأعمال التجريبية وأن الأفراد مرتفعي الدافع للإنجاز يؤدون أعمالهم بصورة أفضل من منخفضي الدافع لإنجاز"[43].

وجدير بالذكر أن الدافع للإنجاز ليس من الشروط الضرورية لبدء التعلم فحسب، بل إنه ضروري للاحتفاظ باهتمام المتعلم وزيادة جهده. وهناك العديد من البحوث التي توصلت إلى أن الدافع لا يزيد من الرغبة في زيادة العمل والإنتاج فحسب ولكنه يزيد من القدرة على زيادة الإنتاج أيضا، فالدافع القوي غالبا ما يؤدي إلى تركيز الانتباه وتأخير ظهور التعب.

خاتمة:

الدافعية مفهوم شامل، وهي عبارة عن مصفوفة تتكون من مجموعة من العناصر المتداخلة فيما بينها والمستقلة عن بعضها البعض، لكنها متكاملة.

42 إبراهيم جيد جبرة، 1988: علاقة دافعية الإنجاز ببعض متغيرات الشخصية، رسالة دكتوراه، جامعة الزقازيق – مصر

43 م.ح.باهي وأ.إ.شلبي، المرجع السابق

والدافعية كعملية عقلية غير معرفية لها خصائص ومكونات ووظائف مختلفة، إذ تتمثل أهم خاصية لها في أنها عملية ديناميكية متغيرة متطورة ومتجددة، كما أنها تفسر السلوك ولا تصفه. وهي ترتبط بعلاقات وثيقة بكل من العمليات العقلية المعرفية وغير المعرفية.

من خصائصها كذلك أن الدافع يؤدي إلى أنواع من السلوك تختلف باختلاف الأفراد؛ فالحاجة إلى الأمن مثلا قد تدفع الفرد إلى جمع الثروة وقد تدفع فردا آخر إلى الانتماء إلى حزب سياسي بينما تؤدي بفرد ثالث إلى الابتعاد عن الناس واعتزالهم. كما يؤدي الدافع إلى أنواع مختلفة من السلوك لدى الفرد نفسه، وذلك تبعا لوجهة نظره وإدراكه للموقف الخارجي.

وأهم مكونات الدافعية:

– الحوافز الداخلية (كالأهداف والرغبات والاهتمامات) والتي تمثل الجانب الداخلي المثير لها، والذي يشمل المكونات المعرفية والانفعالية والفيزيولوجية معا.

– والحوافز الخارجية (كالجوائز والتهديد واللوم والثناء) والتي تمثل الجانب الخارجي المثير لها، ويتضمن المكونات المادية (الفيزيائية، الكيميائية والبيولوجية) والمكون الاجتماعي.

كما أن أي خلل في عمل أي دافع سواء كان أوليا أو ثانويا، يؤدي إلى ظهور أعراض نفسية وفيزيولوجية في سلوك الإنسان.

وعلى العموم، فإن الدافعية تقوم بإطلاق الطاقة واستثارة النشاط من خلال تعاون الحوافز الخارجية مع الحوافز الداخلية في تحريك السلوك، وتدفعه نحو تحقيق أهداف معينة؛ سواء كانت في مجال الدراسة أو المهنة.

المراجع:

1. (رجاء محمود) أبوعلام، 1986: علم النفس التربوي، دار القلم – الكويت
2. (محمد مرسي) إسماعيل، 1984: العلاقة بين القدرة على التفكير الابتكاري وبعض جوانب الدافعية، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الزقازيق – مصر
3. (مصطفى حسين) باهي و(أمينة إبراهيم) شلبي، 1998: الدافعية (نظريات وتطبيقات)، مركز الكتاب للنشر – مصر
4. (إبراهيم جيد) جبرة، 1988: علاقة دافعية الإنجاز ببعض متغيرات الشخصية، رسالة دكتوراه، جامعة الزقازيق – مصر
5. (ميشيل تكلا) جرجس و(رمزي كامل) حنا الله، 1998: معجم المصطلحات التربوية (إنجليزي-عربي)، ط1، مراجعة د.يوسف خليل يوسف، مكتبة لبنان ناشرون – لبنان
6. (حسن علي) حسن، 1989: ضعف التوجه الإنجازي العام لدى الأفراد في المجتمع المصري (محاولة تفسيرية في ضوء خمسة نماذج نظرية معاصرة في علم النفس)، مجلة علم النفس، العدد9 (مارس)، الهيئة العامة للكتاب – مصر
7. (محي الدين أحمد) حسين، 1988: دراسات في الدوافع والدافعية، دار المعارف – القاهرة
8. (علم الدين عبد الرحمن) الخطيب، 1988: الأهداف التربوية (تصنيفها وتحديدها السلوكي)، ط1، مكتبة الفلاح – الكويت
9. (عبد اللطيف محمد) خليفة، 2000: الدافعية للإنجاز، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة
10. (عبد اللطيف محمد) خليفة، 1992: إرتقاء القيم «دراسة نفسية»، عالم المعرفة - الكويت
11. (سيد محمد) خير الله، 1981: بحوث نفسية وتربوية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت

12. (سيد محمد) خير الله و(ممدوح عبد المنعم) الكناني، 1996: سيكولوجية التعلم (بين النظرية والتطبيق)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر – مصر

13. (ليندا) دافيدوف، 2000: الدافعية والانفعالات، ترجمة سيد الطواب ومحمود عمر، موسوعة علم النفس، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية – مصر

14. (نبيل محمد) زايد، 2003: الدافعية والتعلم، ط1، توزيع مكتبة النهضة المصرية

15. (فتحي مصطفى) الزيات، 1989: دافعية الإنجاز والانتماء لدى ذوي الإفراط والتفريط التحصيلي من طلاب المرحلة الثانوية، منشورات مركز البحوث التربوية والنفسية، كلية التربية، جامعة أم القرى – السعودية

16. (فؤاد البهي) السيد، 1956: الأسس النفسي للنمو، دار الفكر العربي – القاهرة

17. (محمد أيوب) الشحيمي، 1994: دور علم النفس في الحياة المدرسية، ط1، دار الفكر اللبناني

18. (أمينة إبراهيم) شلبي، 1993: العلاقة بين اختلاف التفسير السببي لدافعية الإنجاز وتقدير الذات والاتجاه نحو الدروس الخصوصية لدى طلاب المرحلة الثانوية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة المنصورة – مصر

19. (أحمد زكي) صالح، 1959: الأسس النفسية للتعليم الثانوي، مكتبة النهضة المصرية

20. (معتز سيد) عبد الله، 1989: الاتجاهات التعصبية، عالم المعرفة - الكويت

21. (عبد الرحمن) عدس، 1999: علم النفس التربوي (نظرة معاصرة)، دار الفكر، الأردن

22. (يوسف مصطفى) القاضي و(لطفي محمد) فطيم و(محمود عطا) حسين، 1981: الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي، ط1، دار المريخ – الرياض

23. (رشدي) لبيب، 1974: التغير في الميول العلمية بين جيلين من التلاميذ، مكتبة الأنجلو المصرية

24. (إبراهيم أبو المجد) مجاهد، 1987: العلاقة بين المستوى الثقافي للأسرة ودافعية الإنجاز، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الزقازيق – مصر

25. (محي الدين) مختار، 1982: محاضرات في علم النفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر

26. (حلمي) المليجي، بدون سنة طبع: علم النفس المعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت

27. (إدوارد.ج) موراي، 1988: الدافعية والانفعال، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة، ط1، دار الشروق – بيروت

28. Beck.R.C, 1978 : Motivation (Theories and Principles), New Jersey, Prentice - Hall, Inc

29. Brody.N, 1983: Human Motivation (Commentary on goal directed action), New York, Academic Press

30. Brophy.J, 1998: Motivating Students to Learn, Boston - USA, McGraw - Hill

31. Deci.E.L, 1975 : Intrinsic Motivation, New York, Plenum Press

32. Delay.J & Pichot.P, 1990: Abrégé de Psychologie 3ème édition, Masson Editeur – Paris

33. Dweck.C.S, 1986 : Motivational Processes Affecting Learning, Journal of the American Psychological Association, Vol.41, N°10

34. Jacoby (L.L) & Kelly (C.M), 1990 : An Episodic View of Motivation, Handbook of Motivation and Cognition, Fondations of Social Behavior, Vol. 2, The Guilford Press – New York

35. Korman.A.K, 1974: The Psychology of Motivation, New York, Prentice – Hall, Inc

36. McClelland (D.C), 1985 : Human Motivation, Scott Foresman – Glenview II

37. Sears.D.O,Feedman.J.L,Peplau.L.A, 1985: Social Psychology, London, Prentice – Hall, Inc

38. Stipek.D.J, 1998: Motivation to Learn from Theory to Practice, 3rd edition, Boston – USA, Allyn and Bacon

39. Weinberger (J) & McClelland (D.C), 1990 : Cognitive Versus Traditional Motivational Models, Handbook of Motivation and Cognition, Vol. 2, The Guilford Press - New York

دور البيئة الاجتماعية في توجيه الفعل العمالي

عائشة مخلوفي جامعة البويرة

ملخص:

تحاول هذه الدراسة الوقوف على مفهوم البيئة الاجتماعية المحيطة بالمؤسسة وكيفية تأثيرها في بناء وتوجيه الفعل العمالي ، خاصة بعد انفتاح الجزائر على اقتصاد السوق وتبني سياسة الاستثمارات الأجنبية ، لاسيما الشراكة التي تحمل قيم ومعايير مختلفة على قيم ومعايير المجتمع الجزائري . وعلى هذا الأساس تسعى هذه الدراسة لفهم تأثير هذه المتغيرات الجديدة على توجيه سلوكات العمال من أجل بناء فعل موحد للحفاظ على المؤسسة.

الكلمات المفتاحية : البيئة الاجتماعية ، الحركة العمالية ، الفعل العمالي ، التنظيم النقابي، التضامن الاجتماعي، الثقة.

RESUME :

Cette étude tente de cerner le concept de l'environnement social entourant l'entreprise et son impact sur la construction et l'orientation de l'acte travailleur, en particulier après de l'ouverture de l'Algérie sur l'économie du marché et l'adoption de la politique des investissements étranger notamment le partenariat qui détient des valeurs et des normes différentes des valeurs et des normes de la société Algérienne .

Et c'est sur cette base, que cette étude cherche à concevoir l'impact de ces nouvelles variables dans l'orientation des comportement des travailleurs et ceci dans le but de construire un acte unifié afin de sauvegarder l'entreprise .

ABSTRACT:

This study is trying to stand on the concept of social environment surrounding the firm, and how it impact in building and directing the labor act, especially in light of the opening of Algeria on the market economy and the adoption of foreign investments policy, particularly the partnership that hold the values and the criterions that are different from the values and the criterions of the Algerian society.

On this basis, this study aims to understand the impact of these new variables in directing workers behavior in order to build a unified action essential to maintain the firm.

مقدمة

ساهمت التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدها العالم في ظل تطور النظام الرأسمالي ، الذي تتحكم في سيرورته الدول الصناعية في ظهور المدن أو المجتمع الحضري بعلاقاته وتفاعلاته المعقدة والتي أثرت بشكل مباشر على بنية المجتمع والعلاقات الإجتماعية ، فالعلاقات الاجتماعية في شكلها الأولي مرتبطة بالثقة والتضامن الاجتماعي المتبادل بين أفراد المجتمع ، وبالتالي الثقة تبدأ من العلاقات الدموية لتمتد للمجتمع ككل ، فالأفراد لا يرتبطون إلا بمن يثقون فيهم ، لهذا فالثقة والتضامن متغيران يحددان العلاقات الاجتماعية وبالتالي الفعل الاجتماعي .

إن الاتجاه نحوى تأثير البيئة الاجتماعية لا سيما البيئة الخارجية في توجيه الفعل العمالي وبناء الثقة تعطي نتائج مهمة وهذا ما أكده مختلف الباحثين لاسيما الفن قولدنر ، محمد بومخلوف وغيرهم.

غير أن التحولات التي حدثت في العالم في إطار ما يسمى بعصر العولمة ، والتي ألغت الحدود بين الدول وجعلت من هذا العالم قرية واحدة عن طريق انتشار وسائل الإعلام المختلفة السمعية والبصرية ، الانترنت ،وكذلك انتشار النظام الرأسمالي وتبني سياسة الاستثمارات الأجنبية لا سيما الشراكة ، والتي أدت إلى تغير القيم والمعايير الاجتماعية بشكل عام ، مهما كانت البيئة الاجتماعية المتواجدة فيها (ريفية ، حضرية)، وحطمت الروابط الاجتماعية التقليدية التي كانت مبنية على التضامن الاجتماعي والثقة في التفاعل بين أعضائه.

تتأثر العلاقات الاجتماعية والفعل الاجتماعي بالبيئة المحلية للتنظيم بمختلف أبعاده الاجتماعية، الثقافية، الاقتصادية والسياسية والإدارية، وكذلك الصراعات الإيديولوجية والسياسية، وبالتالي كل هذه الأبعاد لها دور في توجيه السلوك العمالي، سواء لتوحيده أو لتشتيته حول مختلف القضايا التي تهم التنظيم وتهمهم.

يعتبر موضوع الفعل العمالي والثقة من الموضوعات الحديثة في العالم عامة وفي الجزائر على وجه التحديد، لما له من أهمية في تنظيم عمل المنظمات وتحقيق أهدافها.

1- مقدمة

ساهمت التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدها العالم في ظل تطور النظام الرأسمالي ، الذي تتحكم في سيرورته الدول الصناعية في ظهور المدن أو المجتمع الحضري بعلاقاته وتفاعلاته المعقدة والتي أثرت بشكل مباشر على بنية المجتمع والعلاقات الإجتماعية ، فالعلاقات الاجتماعية في شكلها الأولي مرتبطة بالثقة والتضامن الاجتماعي المتبادل بين أفراد المجتمع ، وبالتالي الثقة تبدأ من العلاقات الدموية لتمتد للمجتمع ككل ، فالأفراد لا يرتبطون إلا بمن يثقون فيهم ، لهذا فالثقة والتضامن متغيران يحددان العلاقات الاجتماعية وبالتالي الفعل الاجتماعي .

إن الاتجاه نحوى تأثير البيئة الاجتماعية لا سيما البيئة الخارجية في توجيه الفعل العمالي وبناء الثقة تعطي نتائج مهمة وهذا ما أكده مختلف الباحثين لاسيما الفن قولدنر ، محمد بومخلوف وغيرهم.

غير أن التحولات التي حدثت في العالم في إطار ما يسمى بعصر العولمة ، والتي ألغت الحدود بين الدول وجعلت من هذا العالم قرية واحدة عن طريق انتشار وسائل الإعلام المختلفة السمعية والبصرية ، الانترنت ،وكذلك انتشار النظام الرأسمالي وتبني سياسة الاستثمارات الأجنبية لا سيما الشراكة ، والتي أدت إلى تغير القيم والمعايير الاجتماعية بشكل عام ، مهما كانت البيئة الاجتماعية المتواجدة فيها (ريفية ، حضرية)، وحطمت الروابط الاجتماعية التقليدية التي كانت مبنية على التضامن الاجتماعي والثقة في التفاعل بين أعضائه.

تتأثر العلاقات الاجتماعية والفعل الاجتماعي بالبيئة المحلية للتنظيم بمختلف أبعاده الاجتماعية، الثقافية، الاقتصادية والسياسية والإدارية، وكذلك الصراعات الإيديولوجية والسياسية، وبالتالي كل هذه الأبعاد لها دور في توجيه السلوك العمالي، سواء لتوحيده أو لتشتيته حول مختلف القضايا التي تهم التنظيم وتهمهم.

يعتبر موضوع الفعل العمالي والثقة من الموضوعات الحديثة في العالم عامة وفي الجزائر على وجه التحديد، لما له من أهمية في تنظيم عمل المنظمات وتحقيق أهدافها.

2- **الإشكالية:**

تعتبر الثورة الصناعية نقطة تحول هامة في تاريخ المجتمعات الحديثة بحيث أدت هذه الأخيرة إلى ظهور ما يسمى بالمدن أو المجتمع الحضري، ذو العلاقات والتفاعلات الاجتماعية المعقدة، بعدما كان المجتمع يعيش في إطار النظام الحرفي الزراعي المبني على العلاقات والتفاعلات الاجتماعية البسيطة، هذا التحول أثر بشكل مباشر على بنية المجتمع والعلاقات الاجتماعية وهذا ما أدى إلى تغيرات اجتماعية جذرية في المجتمع ككل، مست مختلف التقاليد، العادات و القيم التي تربط الأفراد كما أثرت هذه التغيرات في الفعل الاجتماعي لأفراد المجتمع.

ترتبط العلاقات والتفاعلات الاجتماعية في شكلها الأولى بالثقة والتضامن الاجتماعي المتبادل بين أفراد المجتمع، فلا يمكن تصور وجود علاقة أو تفاعل بدون ثقة، فالأفراد يرتبطون ويتفاعلون ببعضهم بعض بناء على الثقة والتضامن المتبادل بينهم، فالثقة تبدأ من العلاقات الدموية لتمتد إلى المجتمع ككل، فالأفراد لا يرتبطون ولا يتفاعلون ولا يتضامنون إلا بمن يثقون فيهم ويثبتون جدارتهم في كسب ثقتهم، لذلك فكسب ثقة الآخرين يستدعي بذل جهد.

تعتبر الثقة والتضامن متغيران أساسيان يحددان نوع العلاقات الاجتماعية التي تربط بين أفراد المجتمع وطبيعة التفاعل بينهم وتساهم في توطيد العلاقات بينهم، لذلك

فهما يعتبران رأس مال اجتماعي مهم يتميز بالتجديد والتطوير و التحويل إلى رأس مال مادي[1].

عملت التغيرات التي شهدتها البيئة الاجتماعية على انتشار الفقر والبطالة لاسيما في أوساط الطبقة ذات المستوى التعليمي الجامعي. وطبيعة الظروف الاقتصادية المبنية على النظام الاقتصادي الحر التي ترجمت أفكاره الاستثمارات بمختلف أنواعها لا سيما الاستثمارات الأجنبية التي تسعى إلى استغلال الموارد الطبيعية والبشرية للبلد المضيف و في سياسة التوسع الحضري على توسيع العلاقات الاجتماعية التي تتميز بالأنانية وعدم الثقة حسب فوكوياما.

إذن العلاقات الاجتماعية القائمة داخل التنظيمات الاقتصادية المبنية على التضامن والثقة المتبادلة بين أعضائه تعتبر رأس مال مهم في فعالية التنظيم،لاسيما و أن هذه الأخيرة تواجه منافسة شديدة في ظل الإقتصاد الرأسمالي الحر، وباعتبار أن العلاقة بين العامل ورب العمل مبنية على التعاون من جهة من اجل تحقيق الإنتاجية وبالتالي تحقيق الأرباح، و من جهة أخرى الصراع بسبب ما يسمى بنظام الأجرة. لذلك تسعى النقابات العمالية للدفاع عن مصالح الطبقة العمالية دون الضرر بمصالح أرباب العمل أو التنظيمات الصناعية. فدور النقابة هو نشر مبدأ التضامن الاجتماعي بين العمال وتوجيه وتوحيد الفعل الاجتماعي وبالتالي توجيه العلاقات الاجتماعية إلى علاقات يسودها التضامن والثقة، من أجل الحفاظ على مكتسبات الطبقة العمالية بشكل خاص، ومكتسبات المجتمع بشكل عام، لذلك فالتضامن الاجتماعي و العلاقات الاجتماعية المبنية على الثقة المتبادلة بين الأفراد يسعى إلى تحقيق التوافق بين التنظيم الصناعي وأعضائه، وهذا التوافق يحقق الفعالية، من خلال توحيد الفعل الاجتماعي للعمال وتنظيم نشاط أعضاءه.

[1] محمد بومخلوف. الروابط الاجتماعية ومشكلة الثقة. **الروابط الاجتماعية في المجتمع الجزائري** . فعاليات الملتقى الوطني الرابع لقسم علم الاجتماع ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،الجزائر،2007-2008، ص25.

مع تراجع دور المحرك الأساسي للمجتمع وهو المصنع، أصبحت النقابات العمالية غير قادرة على توحيد الطبقة العمالية بسبب ضعف نسبة انخراط الطبقة العمالية فيها وهذا ما جعلها بعيدة عن القاعدة ومرتبطة بالقيادات الإدارية وبرب العمل ، خاصة بعدما امتلكت هذه النقابات أموالا كثيرة ما جعلها تخشى فقدانه ، مما جعل صفتها النضالية تتضاءل[1] .

فالجزائر كدولة من دول العالم الثالث التي شهدت تغيرات جذرية على مستوى بنية المجتمع من جهة بسبب التحولات الاقتصادية و السياسية، وهذا بسبب انتقالها من النظام الاشتراكي إلى النظام الرأسمالي، في ظل تبني سياسة الإصلاحات الاقتصادية و الاستثمارات الأجنبية بمختلف أنواعها، لاسيما الخوصصة و الشراكة ، والنية الحقيقة للدخول في شراكة مع الاتحاد الأوربي، وبعد اكتظاظ المدن الكبرى كالجزائر العاصمة ، والذي أدى إلى ارتفاع مستوى الفقر والبطالة خاصة في أوساط الطبقة أو الفئة الاجتماعية المتعلمة ، وتحول مختلف المناطق الريفية الجزائرية إلى منطق حضرية أو شبه حضرية ، في إطار إعادة التوازن الجغرافي للجزائر خاصة في إطار المخططات الرباعية والخماسية ، وكذلك انتشار وسائل الإعلام السمعية و البصرية و المكتوبة، والتي أدت إلى تغيرات عديدة في العلاقات الاجتماعية وبالتالي على مختلف الأفعال الاجتماعية خاصة على مستوى المصنع باعتباره مجتمع في حد ذاته . ومن جهة أخرى تعتبر النقابة تنظيم يستمد قوته من الحزب الحاكم منذ نشأتها ، فهي تسعى لتنفيذ مخططات السلطة

بحيث تعتبر امتدادا لها ، فالاتحاد العام للعمال الجزائريين يسعى لتجنيد العمال لتنفيذ مخططات الدولة فهو يقوم بدور الوسيط بين العمال والسلطة ، في ظل الأحادية النقابية والحزبية [2]، لكن بعد صدور دستور 1989 ، أصبحت المركزية النقابية تصف نفسها بالمنظمة النقابية المستقلة عن كل وصاية سياسية وإدارية ، ولكن بعد تفاقم

[1] محمد بومخلوف. **التنظيم الصناعي والبيئة**. ط1، دار الأمة، الجزائر،2001، ص75.

[2] عبد الناصر جابي . **الجزائر من الحركات العمالية إلى الحركات الاجتماعية** .معهد الوطني للعمل ، الجزائر،2001ص90.

مشاكل العمال وارتفاع نسبة البطالة خاصة بعد التسعينيات ، وخوصصة المؤسسات ، وإفلاس بعضها وحل 88 مؤسسة سنة 1994[1]، هذا ما جعل النقابة تجد نفسها في موقع المدافع عن مكاسب العمال ، باعتبار أن العامل والمؤسسة كلاهما في موقع الخطر ، وهذا ما جعلها تعجز عن انفصالها عن السلطة مما زاد في الهوة بينها وبين الطبقة العمالية .

اعتبرت الجزائر الاستثمار الأجنبي من المحاور الأساسية للتنمية، لاسيما الشراكة سواء بالنسبة للمؤسسات العمومية أو الخاصة، فقامت باستصدار عدة قوانين ومراسيم تشريعية من أجل ترقية الاستثمارات، وعلى إثر ذلك قامت الجزائر بإمضاء عدة عقود شراكة خارج قطاع المحروقات، ولعل أهمها هو العقد المبرم بين مجمع اناد E.N.A.D الجزائر وهنكل الألمانية في بعض فروع المجمع، والتي تخصخصت فيما بعد لتصبح تابعة لمؤسسة لهنكل.

من خلال الدراسة التي قمنا بها في مجمع اناد E.N.A.D الجزائر فرع سيدات المتواجد ببيئة شبه ريفية حول موضوع انعكاس تحول الشريك الأجنبي إلى منافس لاحظنا بأن خصائص أعضاء هذا التنظيم تتميز بعدم الثقة في التفاعل الاجتماعي بين العمال فيما بينهم وحتى بين العمال والنقابة *.

وبالتالي على ضوء ما سبق يمكننا أن نتساءل.

1- ما هو دور التضامن التقليدي في تحقيق مبدأ الثقة وتوحيد الفعل العمالي للحفاظ على المؤسسة؟.

2- هل للثقة التي يمكن أن تكون بين العمال دور في بروز فعل عمالي ونقابي موحد ؟.

---

[1] ناصر دادي عدون ، محمد متناوي. **الجزائر والمنظمة العالمية للتجارة** . دار المحمدية العامة ، الجزائر،2003، ص122.

* لمزيد من المعلومات انظر. عائشة مخلوفي . **ردة الفعل العمالية اتجاه تحول الشريك الأجنبي إلى منافس** .رسالة ماجستير، علم الاجتماع تنظيم وعمل ، جامعة الجزائر ، 2008-2009. رسالة غير منشورة.

1- الفرضيات:

1- للتضامن التقليدي دور في تحقيق مبدأ الثقة وتوحيد الفعل العمالي .

2- كلما كانت هناك ثقة بين العمال كلما ساعد ذلك على بروز فعل عمالي ونقابي موحد.

3- تحديد المفاهيم والمصطلحات :

1-3 - التنظيم النقابي : يري الفكر البرجوازي النقابة هي وسيلة حماية اقتصادية للطبقة العاملة وجوهر هذه الحماية هو المساومة الجماعية التي ترفع العمال إلى مركز قوى في مجابهة صاحب العمل [1]. على هذا الأساس التنظيم النقابي يعتبر مركز لتضامن العمال لمنافسة المشرع والدولة وسلطتهما الاقتصادية.

غير أن الفكر الاشتراكي يرى التنظيم النقابي تنظيم يوجه عمله نحوى تأمين النهوض بجميع فروق الاقتصاد الوطني وتنفيذ خططه ، ورفع إنتاجية العمل، وجذب العمال والمستخدمين لإدارة الإنتاج ، وتخطيط الاقتصاد الوطني وتطوير الأشكال الاجتماعية لمساهمة الجماهير في النضال من اجل تحسين الإنتاج ، وبالتالي فان النقابات في الفكر الاشتراكي ، منظمات عمالية جماهيرية تلعب دورا كبيرا في حياة المجتمع ، كما تلعب دورا كبيرا في تنظيم علاقات العمل من خلال مساهمتها في حسم نزاعات العمل ومشاكله ومراقبة تطبيق قانون العمل [2].

[1] منظمة الوحدة العربية. **أهمية الثقافة العمالية وأثرها في التنمية وكيفية إدارة وتسيير أجهزة ومراكز الثقافة العمالية.** المعهد العربي للثقافة العمالية وبحوث العمل، الجزائر، 1978، ص276.

[2] **نفس المرجع**.. ص276.

المفهوم الإجرائي للتنظيم النقابي : يمكن القول بأن التنظيم النقابي هو منظمة عمالية دائمة، تهدف لحماية مصالح ومكتسبات الطبقة العاملة و تحسين أحوال معيشتهم ، وهو يعتبر مركز لتضامن العمال لمنافسة المشرع والدولة وسلطتهما الاقتصادية .

2-3 - المفهوم الإجرائي للحركة العمالية : إن الحركة العمالية هي عكس التنظيم النقابي فهي منظمة مؤقتة غير دائمة وهي الشكل الأولي الذي عبر العمال من خلاله عن وجودهم وعن استيائهم من الأوضاع المزرية التي كانوا يعيشونها قبل تكتلهم وتشكيلهم للتنظيمات النقابية ، فالحركة العمالية هي حركة احتجاجية تظهر في وقت معين نتيجة استياء العمال اتجاه الأوضاع السائدة في العمل وتختفي وهذا ما يجعلها حركة مؤقتة غير دائمة.

3-3- الثقة : تعتبر الثقة عند ستيفن أر. كوفي، الرصيد العاطفي الذي يمتلكه شخصان، والذي يعينهما على التوصل إلى اتفاق على أداء مصلحة الطرفين، فالثقة المتبادلة تقود إلى التعاضد والتعاون المثمر، وتجعل الطرفين يتمتعان بحسن التواصل المبني على الشفافية، والتعاون والمشاركة العاطفية والوجدانية [1].

كما أن الثقة حسب فوكوياما هي منتج قانوني مهم للأعراف الاجتماعية التعاونية التي تشكل رأس مال اجتماعي ، وفي حالة إمكانية الاعتماد على الأشخاص في الوفاء بالالتزامات وغير ذلك ، فان الجماعات سوف تتشكل بشكل مطرد، وهذه الجماعات سوف تكون قادرة على تحقيق الأهداف المشتركة بشكل أكثر فاعلية [2]، وبالتالي فان الثقة مقياس مهم للرأسمال الاجتماعي .

---

[1] ستيفن أر، كوفي . **القيادة المرتكزة على مبادئ** ، ط1 ، مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية ، 2005 ، ص45 ، نقلا عن محمد بومخلوف. الروابط الاجتماعية ومشكلة الثقة. **الروابط الاجتماعية في المجتمع الجزائري. المرجع السابق** ، ص 21.

[2] توماس ادوارد اولورنس العرب . **تفجر الجريمة والاضطراب الاجتماعي ، وفقدان الثقة أهم مظاهر الانهيار الغربي العظيم في أواخر القرن العشرين.** مجلة الراية ، العدد (6475) ، 29 يناير 2000، ص7.

المفهوم الإجرائي للثقة : من خلال تعريف فوكوياما للثقة نقول بأن الثقة هي العلاقة التي تسمح باتصال مختلف الأشخاص من اجل تحقيق أهداف مشتركة ، فإذا انعدمت الثقة كانت هذه العلاقة هشة قابلة للزوال ، وكان الاتصال بين الأفراد قليل أو منعدم ، لذلك تعتبر الثقة أهم شيء من أجل الحفاظ على الأهداف المشتركة بين الأفراد .

3-4- الفعل الاجتماعي :عرف ماكس فيبر الفعل الاجتماعي بأنه سلوك إنساني ظاهر ومستمر يمنحه الفاعل معنى ذاتيا.

كما يعتبر الفعل الاجتماعي عند نكلاس لومان بأنه تفاعل الأفراد فيما بينهم بادراك ، بحيث يبلورون لغة مشتركة ورموز عامة ذات معاني مستنبطة من محيطهم وتسهل عليهم تفاهمهم ونقاشهم وحديثهم وحوارهم الذي يتغير مع تغير الزمن وتطوره [1].

3-5 - البيئة الاجتماعية : تشمل البيئة الاجتماعية للفرد، الأسرة وكذلك شبكة العلاقات الاجتماعية لارتباطات الشخص مع أفراد آخرين، والتي تعتبر الوسط الاجتماعي الذي يوضح ارتباط الفرد مع الآخرين ، بحيث أن البيئة الاجتماعية تشمل كل ما يتعلق بالفرد سواء العائلة أو المجتمع، وبالتالي فهي كل ما يتعلق ويحيط بالفرد.

وتتضمن البيئة الاجتماعية للتنظيم باعتباره مجال مفتوح ليس مجالا مغلقا ثلاث مستويات وهي [2]:

أ- البيئة الداخلية للتنظيم وتشمل جميع العاملين في المنظمة وتتضمن خلق بيئة عمل ايجابية داعمة للعاملين ، لضمان تقديم أقصى جهد مطلوب في العمل .

ب- العلاقات السائدة بين المنظمة والمنظمات المماثلة أو المنافسة في البلد أو القطاع الذي تعمل فيه المنظمة.

---

[1] معن خليل عمر .**نظريات معاصرة في علم الاجتماع** . ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2001 ، ص 141.

[2] منير نوري . **تسيير الموارد البشرية**. ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،2010 ، ص26.

ت- العلاقات مع البيئة الخارجية، وتتمثل في محصلة تفاعل الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

إن البيئة الاجتماعية تؤثر على عمل الأفراد داخل التنظيم لان العاملين جزء لا يتجزأ من المجتمع الذي يعيشون فيه ، يؤثرون عليه ويتأثرون بما يجري فيه ، ومع زيادة مستوى وعي العاملين وزيادة ثقافتهم تصبح البيئة الاجتماعية جزء من البيئة التي يجب أن تدركها الإدارة حتى تستطيع التعامل مع العاملين بطريقة أفضل تمكنها من بعث الثقة والدافعية لتقديم أفضل الأعمال.

4- المنهج وتقنيات البحث:

1-4 - المنهج: هو طريقة التصور وتنظيم البحث[1]، أي ينص على كيفية تصور وتخطيط العمل حول موضوع الدراسة.فالمنهج هو الذي يحدد مجموع التصورات والممارسات التي يهتدي إليها الباحث، وبالتالي يمكن التمييز في البحوث الإنسانية بين المناهج التي تهدف إلى قياس الظواهر المدروسة وهي تعرف بالمناهج الكمية، والمناهج التي تسمح بأخذ معطيات كيفية لا يمكن قياسها أو عدها، وهي المناهج الكيفية ولهذا فكل منهجا يتطلب مجموعة من الإجراءات تختلف عن الآخر.

وبالتالي من خلال بحثنا سنسعى لتطبيق المنهج الكمي المقارن الذي هو اصطلاح عام يشير إلى إجراءات تهدف إلى توضيح وتصنيف عوامل سببية في ظهور ظواهر معينة وتطورها، و كذلك ا أنماط العلاقة المتبادلة بين هذه الظواهر وذلك بواسطة توضيح التشابهات والاختلافات التي تبينها الظواهر المختلفة القابلة للمقارنة [2]، وبالتالي سنعتمد على المنهج المقارن، وذلك بإجراء مقارنة بين جماعات البحث.

---

[1] أنجرس موريس .**منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية** . ترجمة بوزيد صحراوي، كمال بوشرف ، سعيد سبعون ، دار القصبة ، الجزائر، 2004، ص99.

[2] علي عاطف.**المنهج المقارن مع دراسات تطبيقية** . ط1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، بيروت ، لبنان، 2006 ،ص132.

2-4 - تقنيات البحث: باعتبار المنهج المعتمد عليه في البحث هو المنهج الكمي. لهذا فقد قمنا بالاعتماد على الاستمارة كتقنية أساسية لجمع المعطيات، المدعمة بالمقابلات والملاحظة الميدانية وهو ما يدرج في إطار المنهج الكيفي.

5 - المعاينة :

1-5 - مجتمع البحث : يتطلب إجراء أي بحث ميداني وجود مجتمع البحث، فهو يمثل مجموعة منتهية أو غير منتهية من العناصر المحددة مسبقا التي ترتكز عليها الملاحظات، فنقول مجتمع البحث لأننا نستطيع أن نحدد مقياس يجمع بين الأفراد والأشياء، ويميزهم عن غيرهم من الأفراد والأشياء [1].

وبالتالي يتمثل مجتمع بحثنا في موظفي و عمال وعاملات مركب سور الغزلان التابع لمجمع إناد E.N.A.D. فالمقياس الذي يمكن الاعتماد عليه لتحديد مجتمع البحث ، هو الانتماء إلى هذه المؤسسة، باعتبار أننا سنقوم بمقارنة بين إجابات مختلف الفئات السوسيو مهنية.

جدول رقم 1 : يبين توزيع مجتمع البحث حسب الفئات المهنية

الفئات المهنية	تكرارات	النسبة %
إطارات	155	24,76
مشرفين	333	53,33
منفذين	137	21,91
المجموع	625	100

[1] MAURICE (A.). **Initiation Pratique A' la Methdologie , des sciences humaines,** Casbah Universite', Alger , 1997,p 226.

2-5 - العينة : العينة هي مجموعة فرعية من العناصر مجتمع البحث، بحيث تسمح لنا بالوصول إلى تقديرات يمكن تعميمها على كل مجتمع البحث الأصلي، فالعينة هي ممثلة لمجتمع البحث[1]، وباعتبار أن مجتمع البحث هو مجتمع معروف ومحدد في المكان، أخذنا أسلوب المعاينة الاحتمالية وهي العينة العشوائية الطبقية، حيث في هذه الحالة قسمنا المجتمع إلى مجموعات حيث كل مجموعة لها خصائص تميز عناصر المجتمع، وتسمح بإنشاء مجموعات صغيرة أو طبقات لها بعض الانسجام، وبالتالي كل طبقة لها خصائص أو مجموعة من الخصائص المتشابهة، وبعدها قمنا باختيار العينة عن طريق القرعة .

جدول رقم جدول رقم 2 يبين توزيع عينة البحث حسب الفئات المهنية

الفئات المهنية	تكرارات	النسبة %
إطارات	26	24,76
مشرفين	56	53,33
منفذين	23	21,91
المجموع	105	100

6- المقاربة النظرية

1-6- **التضامن الاجتماعي لاميل دوركايم** : قام إميل دوركايم بتحضير رسالته عن تقسيم العمل الاجتماعي عام 1893، في نفس الوقت الذي أعلن فيه تايلور نتائج بحوثه عن الوقت والحركة، فدوركايم يعتبر تقسيم العمل ظاهرة ضرورية من ظواهر التطور في الحياة، بحيث يعتمد في رسالته على نظرية هربرت سبنسر، التي ذاع صيتها في ذلك الحين، والتي تقول بأن الكائن الذي تعلو مرتبته في تدرج الكائنات، وظيفته محددة ومتخصصة، وبهذا المعنى تكون ظاهرة تقسيم العمل ظاهرة معاصرة لنشأة الحياة على الأرض، وبالتالي فإن تقسيم العمل في جوهره مصدر للتضامن، أي أن تقسيم العمل يفرض على العامل التأثير و التأثر بزملائه.

[1] Ibid. p22.

وبالتالي حتى يكون الأفراد متضامنون يجب أن يكونوا على اتصال دائم ببعضهم البعض وان يدوم هذا الاتصال فترة طويلة، بحيث إذا اشتغل العمال في عزلة عن بعضهم البعض ولم يكن هناك اتصال بينهم فان هذا يؤدي إلى فساد نظام تقسيم العمل، وبالتالي زوال التنظيم [1]، لذلك فالتضامن هو الذي يمكن أعضاء جماعة ما من أن يختبر بعضهم بعضا، ويتجلى التضامن في جميع التصرفات الجماعية، المتبطنة إلى حد ما، وفي نفس الوقت تقوية هذا التضامن بضرب من رد الفعل الدوري، فكل سلوك يعبر عن الانتماء إلى الجماعة، يخبر عن حالة تلك الجماعة، واستعداداتها، وفي نفس الوقت يقوي تلك الحالات والاستعدادات وبالتالي فان الحاجة للانتماء إلى الجماعة تظهر عند كل إنسان[2]. وبكونه مقبولا من طرفها يعد أهم منابع الإرضاء بالنسبة إليه، فالجماعة هي الواسطة التي تمكن الفرد من بلوغ أهدافه وإرضاء حاجاته التي تقتضي علاقات بين الأشخاص، والتضامن يتجلى في مجموعة من السلوكيات الجماعية يمكن التنبؤ بها، بحيث تضعها الجماعة بصفة تلقائية .

فحسب دوركايم التضامن الاجتماعي ناتج عن تقسيم العمل، وبالتالي فالحياة الصناعية احتوت على ظروف جديدة للعمل لم تكن موجودة من قبل، أهمها اتساع نطاق الصناعة مع اتساع نطاق الأسواق، والتدخل المتزايد للآلة في ميدان العمل، والإرهاق العصبي،وانفصال العامل عن أسرته وعن رئيس العمل، فهذه الظروف أوجدت خللا في التنظيم، إذ أنها أحدثت تغيرات سريعة في محيط العمل، ولم تستطع محاولات التنظيم أن تلاحق تلك التغيرات، و تحدث التوازن بين المصالح المتضاربة للعمال ورؤساء العمل . ويقول دوركايم أن تقسيم العمل نتيجة هذه الظروف الجديدة له نتائج ضارة، قد ظهرت وأصبحت تدعوا علماء الاجتماع إلى الاهتمام بها، وبالتالي ننظر إلى الظروف التي أوجدتها،

[1] السيد محمد البدوي. **علم الاجتماع الاقتصادي**. منشورات جامعة قاريونس، القاهرة، 1977 ، مصر، ص ص (434-432)

[2] باساغانا. **مبادئ في علم النفس الاجتماعي** . ترجمة بوعبد الله غلام الله ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر، 1983، ص172.

لهذا الفرد لا يصبح حبيس النطاق الضيق لتخصصه، بل على العكس من ذلك يصبح في علاقة مستمرة مع العمال الذين يقومون بوظائف قريبة من وظيفته، ويشعر بحاجتهم وبالتغيرات التي تطرأ على أعمالهم.

فتقسيم العمل الحقيقي حسب دوركايم، يتضمن أن لا يكون العامل منطويا على نفسه وعلى عمله بل أن يظل دائما متجها نحو من يحيطون به، يؤثر فيهم ويتأثر بهم، فالتضامن حسب دوركايم يعتمد على فكرة النشاط، إضافة إلى فكرة الاستمرار، فالنقص الذي يصادف النشاط قد يؤثر على استمرار العمل[1].

2-6- المدخل الايكولوجي : يعكس تاريخ العمل مع الجماعات مسؤولياتها في مواجهة التحديات والمشكلات والأفكار المتغيرة مع مرور الوقت، والتعامل مع هذه المشكلات والأفكار المتغيرة مستعينة بذلك على ما تقدمه العلوم الاجتماعية والسلوكية من حلول، حتى يمكنها الفهم والتعرف على حاجات الناس ومشكلاتهم.

فحسب منظور السوسيولوجي ونظرية التنظيم، المصنع ليس هو المكان الذي يتجسد فيه النشاط الاقتصادي فقط، وإنما هو قبل كل شيء تنظيم اجتماعي يتوقف عليه تحقيق الأهداف الاقتصادية للصناعة عامة، لذلك فتحقيق أهداف التنظيم يتأثر أساسا بالبيئة التي يتواجد فيها، والتي تؤثر بدورها على العلاقات الداخلية للتنظيم، باعتبار أن المصنع هو تنظيم اجتماعي يدخل في علاقة عضوية مع المجتمع المحلي، هذا ما يتطلب انسجام بين متطلبات التنظيم والإمكانيات التي تتيحها البيئة من اجل تحقيق أهداف التنظيم[2] .

ويؤكد المدخل الايكولوجي على العلاقة بين الأفراد والبيئة في ممارسة العمل في إطار الجماعات، نحو تحسين التحولات التي تحدث بين الافراد والبيئة، حتى تزداد قدراتهم،

[1] السيد محمد البدوي . **مرجع سابق**. ص ص (435- 437).

[2] محمد بومخلوف. **التنظيم الصناعي والبيئة** . ط1، دار الأمة ، الجزائر ، 2001 ، ص85.

ويمكنهم التوافق مع البيئة التي يعيشون فيها. ويؤدون فيها وظائفهم وأدوارهم الاجتماعية، فيسهم المدخل الايكولوجي بالمعرفة العلمية، التي تتعلق بالعلاقات الإنسانية، والتي تتأثر بالتغيرات السريعة التي تحدث في البيئة الاجتماعية .

ويرى هارتمان أن المدخل الايكولوجي يوجهنا لفهم الأحداث والسلوك الذي تنطوي عليه الأحداث والمتغيرات، وفهم هذا السلوك والأحداث يساعدنا على إيجاد نوع من التوافق والتوازن بين الفرد والبيئة التي يعيش فيها، ويؤدي هذا بدوره إلى تقوية المسؤوليات الإنسانية التي ستساهم في التوافق والتكامل [1].

لذلك فإننا نرى أن أصحاب هذا الاتجاه اهتموا أساسا في فهمهم و تفسيرهم للسلوك الإنساني في نطاق التنظيم، بأثر البيئة المحلية في سلوك أعضاء التنظيم، من حيث توحدهم وتفرقهم حول مختلف القضايا التي تهم التنظيم وتهمهم، وكذلك من حيث البناء الاجتماعي والثقافي للتنظيم على سلوك الأفراد داخل التنظيم والإستراتيجية التي يمكن أن يتبعها.

فالبيئة الخارجية للتنظيم تأخذ عدة أبعاد، أهمها البعد الاجتماعي والثقافي المتمثل في نمط العلاقات الاجتماعية، من حيث الفردية والجماعية والتعاون وكذلك العادات والتقاليد، والبعد الاقتصادي ويتعلق بمدى تكامل أهداف التنظيم والأهداف المحلية واحتياجات المجتمع المحلي، وسوق العمل، والبعد السياسي والإداري والمتعلق بالكفاءة الإدارية المحلية والتسهيلات المتاحة، إلى جانب الصراعات الإيديولوجية والسياسية، وكذلك البنى التحتية المتمثلة في التسهيلات الضرورية لممارسة أعضاء التنظيم وظائفهم على الوجه المطلوب[2].

---

[1] عبد الحميد عطية، **نظريات ونماذج تطبيقية في طريقة العمل مع الجماعات**. دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ، مصر، 2004 ، ص ص (76- 78).

[2] محمد بومخلوف . **التنظيم الصناعي والبيئة** . **المرجع السابق** . ص 85 .

وبالتالي حسب المدخل الايكولوجي توجد مصادر أساسية لتكوين أهداف الجماعة وهي الفرد، الجماعة، المؤسسة والبيئة، بحيث تتبلور هذه الأهداف وتتكون من خلال عمليتين أساسيتين في طريقة العمل مع الجماعات، الأولى هي استقبال الأفراد، والعملية الثانية هي عملية التعاقد معهم أو الاتفاق معهم، فأهداف الفرد يمكن معرفتها من خلال ما يقوله الأعضاء وما لا يقولونه ويعبرون عنه بالحركات أو إشارات أو غيرها، أما أهداف الجماعة، فقد تحددها السلطة العليا أو قد تصدر عن الجماعة كلها وهي التي تقرر الهدف، ومن المسلم به أن الأفراد ينظمون إلى الجماعات لتحقيق أهداف معينة، ويمكن أن تطغى هذه الأهداف الفردية عن الأهداف الاجتماعية وتتجاوزها، أما بالنسبة للمؤسسة فإنها تملك أهدافا تتصل بسياستها وترتبط مباشرة بالبيئة الاجتماعية التي توجد فيها [1]. وبالتالي فان لهذه النظرية عدة أهداف، يتمثل الهدف الأول في إيجاد نوع من التوازن بين أعضاء التنظيم وبيئاتهم الاجتماعية، وبالتالي فان المدخل الايكولوجي يوضح بان تنظيم الفرد يتكون من القدرات التي تشمل المعرفة، والسلوك، والجوانب الاجتماعية الأخرى، وتتكون هذه القدرات من خلال تفاعل الفرد مع بيئته الاجتماعية، كما يوضح هذا المدخل أن الجماعة ليست مستقلة ذاتيا بل أنها تقع بين التأثيرات الداخلية للجماعة، والتأثيرات الخارجية، كما أن هناك تداخل في عضوية الجماعة بسبب انتماء الفرد لكثير من الجماعات (الأسرة، المؤسسة، المجتمع...لخ)، رغم وجود لكل جماعة حدودها، فالفرد عندما يكون في جماعة ما، فانه ينقل إليها الكثير من العادات والقيم والسلوكات التي تعلمها من أسرته وجماعاته الأولية [2].

ونجد أهم الدراسات في إطار هذه النظرية :

1- دراسة فليب سلزنيك (1948-1949)، عن إحدى المنظمات الأمريكية (منظمة التنسي فالي)، في إحدى مشاريعها الذي كان يهدف إلى تنمية وتطوير الحياة الاجتماعية لإحدى

[1] السيد عبد الحميد عطية. **المرجع السابق**. ص90.

[2] نفس المرجع . ص ص(132 - 133).

القرى، من خلال تطوير الأساليب الزراعية وتقديم الإرشادات اللازمة، واعتبر فيليب سلزنيك المشروع تنظيما، وبين كيف أن بناء المجتمع المحلي أثر في أهداف التنظيم، مما اضطره إلى التكيف والتغيير في بعض أهدافه، ويستنتج بذلك ضرورة تحليل السلوك التنظيمي في ضوء استجابة التنظيم لحاجات الأفراد وتلبيتها [1]..

وقد جاءت دراسة فليب سلزنيك على منظمة "التنسي فالي " تطبيقا واقعيا للأفكار النظرية التي عرضها في مقاله الشهير" أسس نظرية التنظيم " فدرس هذه المنظمة لما كانت في قمة مجدها ، بوصفها تنظيما ديمقراطيا يعبر عن مكاسب تحققت خلال هذه الفترة بإدخال مشروعات إصلاحية عديدة.

لقد طبق فليب سلزنيك مفاهيم وظيفية على هذه الدراسة ، فأوضح أن هذه المنظمة كانت تسعى للدفاع عن سياستها وأعمالها ، حتى تتمكن من تحقيق حاجياتها المتمثلة في الاستقرار والدوام وتحقيق الأهداف ، لذا كان على المنظمة أن تتكيف مع الظروف البيئية التي تمارس فيها نشاطاتها بمواجهة التهديدات الصادرة عنها ، كما كان على البيئة أن تواجه مطالب المنظمة. ويرتب سلزنيك على هذا الأساس نتيجة هامة هي أن الأفعال الشعورية الواعية الصادرة عن الأفراد لا تواجه ولا تشبع بالضرورة حاجيات التنظيمات بل إن الإشباع يتحقق من خلال النتائج غير متوقعة المترتبة عن أفعالهم ، لذلك نجده يقول "...علينا في مثل هذه الظروف أن نحلل السلوك الصادر عن أعضاء التنظيم لحاجياته وتلبيته لها...". [2]ثم يؤكد ذلك بعبارة أخرى في مقاله النظري " ...إنني لعل يقين هو الذي يستشعر الحاجات، وهو الذي يستجيب لها، وهذا ما جعلني أؤكد الطابع العضوي

---

[1] السيد الحسيني. **نظرية الاجتماعية و دراسة التنظيم** . ط4 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر، 1983، ص(85- 89)

[2] ELKZNIK (P) . Foundation of the Theory of Organisations. Amer, Social, Rev, Vol 13, pp(25-35). Sنقلا عن السيد الحسيني . **المرجع السابق**،ص 90.

للتنظيم ، وانظر إليه بوصفه نسقا تعاونيا. أن التنظيم ككل هو الذي يصل إلى القرارات، وهو الذي يقوم بالأفعال، وهو الذي يحقق التكيف على أوسع نطاق والى ابعد مدى ..." [1].

من خلال ما سبق يمكن القول بان الأفعال لا يمكن أن تفهم بالنظر إلى نتائجها فحسب وإنما تفهم أيضا بإرجاعها إلى طبيعة الفاعلين ودوافعهم وظروفهم التي يتحركون من خلالها .

2- دراسة الفن جولدنر 1955، عن أنماط البيروقراطية الصناعية من خلال دراسة مقارنة بين مواقف عمال مصنع الجبس، من القرارات الإدارية الرسمية ، لكل من عمال المصنع وعمال المنجم ، فوجد فروقا في مواقف العمال، وفسر الفن جولدنر هذه الفروق بعدة عوامل تتعلق بالبيئة الخارجية للتنظيم، بحيث أن العمال يتمتعون بعلاقات اجتماعية قوية خارج نطاق العمل في مجتمعهم المحلي، وهناك عمال أكثر تبعثرا وتفرقا في المصنع، وفي حياتهم الاجتماعية خارج نطاق التنظيم، ومن هنا جاء تأكيده على اثر البيئة المحلية الخارجية على سلوك الأفراد داخل التنظيم[2].

3- دراسة محمد بومخلوف: سنة 1982، لمصنعين مختلفين في العوامل البيئة الخارجية، فمصنع ذا طبيعة ريفية (الجلفة)، ومصنع آخر في (سيدي موسى) في الجزائر العاصمة ذو طبيعة حضرية، وتوصل إلى أن هناك مواقف مختلفة تبعا للبيئة الخارجية، فالمصنع المتواجد في بيئة ذات طبيعة ريفية اظهر عماله تماسكهم للدفاع عن مصالح وحدتهم الإنتاجية، بحكم العلاقات الاجتماعية القوية التي يتمتعون بها خارج التنظيم، والتي هي من النوع القرابي العشائري. في حين وجد في مصنع سيدي موسى بالعاصمة المتواجد ببيئة حضرية ، عكس ما لوحظ في المصنع الأول، نظرا لتفرد وتبعثر العمال وقلة تماسكهم واختلاف مصالحهم، مما زاد من هذا الاختلاف كثرة عددهم، بحيث كانوا يلاحظون تعرض

[1] S ELKZNIK (P) .TVA and the Grass Roots. Berkeley, California University press,1949. نقلا عن السيد الحسيني . . المرجع السابق ص 90

[2] محمد بومخلوف . **التنظيم الصناعي والبيئة**. المرجع السابق. ص 73.

مصنعهم للتخريب بأبعاده وأشكاله المختلفة، ولم يستطيعوا المقاومة والدفاع عن مصالح المصنع التي هي من مصالحهم [1].

3-6- نظرية نسق الفعل الاجتماعي

أ- نظرية نسق الفعل الاجتماعي لتالكوت بارسونز: تالكوت بارسونز هو منظر أمريكي، نظرلسلوك الفرد الاجتماعي، وصفه وحلله من خلال حدوثه بين فردين أو أكثر، ثم شخص المحددات والضوابط والمعايير الاجتماعية التي تؤثر فيه وتصوغه على نموذج معين، وبالتالي فقد قام بارسونز بربط الجزئية الاجتماعية (سلوك الفرد الاجتماعي)، والكلية الاجتماعية وهو البناء الاجتماعي. ويرى بارسونز أن سلوك الفرد الاجتماعي لا يصدر من فراغ ولا من رغبته الذاتية بل من تفاعله مع الآخرين وببصمة من بصمات المؤسسات الاجتماعية (الأسرة، الجماعات المهنية، وسائل الإعلام ...لخ)، لتقنن تصرفاته مع الآخرين حسب معاييرها، ليصبح سلوك الفرد على شكل تصرف منتظم وملتزم وموجه، لذلك من خلال هذه النظرية يركز بارسونز على الفعل الاجتماعي، والذي يعني به سلوك الفرد الاجتماعي، والفاعل الاجتماعي والذي يعني به الفرد. فنظرية نسق الفعل الاجتماعي، تبدأ من تفاعل الفاعل الاجتماعي مع الآخرين، الذي يلتزم بمعايير المؤسسات الاجتماعية التي كان فيها حاملا معاييرها وقيمها، بحيث يرى بارسونز أن هناك أكثر من مؤسسة تقوم بتحميل معاييرها وقيمها للفاعل الاجتماعي منها :

ا- المؤسسات العلائقية : بحيث هذه المؤسسات تقوم بتعليم الفرد ما هو مطلوب منه من تصرف وتعامل مع الآخرين حسب موقعه فيها، وما هو ممنوع ومحرم و غير مرغوب فيه، وما هو محبب ومطلوب، وبالتالي تطبيع هذه التصرفات وتعليمها للفرد أو الفاعل الاجتماعي، لذا

[1] نفس المرجع . ص ص (73، 74).

فانه لا يتطلب من الفاعل الاجتماعي التفكير والتمعن، بل عليه أن يكتسب تلقائيا دون رفض أو تردد حتى يستطيع أن يتعايش مع الآخرين[1].

ب- **المؤسسات المنظمة** : إن المؤسسات التي توجه فعل الفاعل الاجتماعي ضمن حدود وضوابط أخلاقية ودينية وعرقية، غايتها في ذلك توجيه دوره نحو أهداف انضباطية، وكذلك وضع تصرفه الاجتماعي تحت أنماط منسقة مقبولة اجتماعيا ، وهذه المؤسسة هي مكملة للمؤسسة السابقة.

ج- **المؤسسة الثقافية :** هي التي تقدم توجيهات وضوابط رمزية وتعبيرات الخاصة بثقافة المجتمع، لتضع فعل الفاعل الاجتماعي في إطار ثقافي.

هذه المؤسسات الثلاثة التي قدمها بارسونز تقوم ببناء الفعل الاجتماعي بحيث يحمل معظم معاييرها وضوابطها، وبالتالي فهي عملية (تطبيع اجتماعي)، من قبل هذه المؤسسات عبر ممارسة أدوارها لتطبيع سلوك الفرد بطابع خاص بها حاملا خواصها، فعند تفاعل الفاعل الاجتماعي مع الآخرين فهو يتصرف حسب المعايير والضوابط التي اكتسبها من المؤسسات التي عاش فيها أو يتعايش معها. وعلى هذا الأساس صنف بارسونز الفعل الاجتماعي إلى ثلاث أنواع :

1- **الفعل التمهيدي:** أي التصرف الذي يوجه نحو انجاز هدف أولي لكي يساعد الفاعل على تحقيق هدف اكبر، أي هو تصرف ممهد للقيام بتصرف أكثر أهمية بالنسبة للفاعل[2].

2- **الفعل التعبيري:** أي التصرف الذي يحقق الهدف الأكبر مرادا ويأتي بعد تحقيق الفعل التمهيدي.

3- **الفعل المعنوي:** أي التصرف الذي يعكس مصالح الفاعل الذاتية و القيمية والثقافية.

---

[1] معن خليل عمر .**مرجع سابق**. ص ص (80 - 83).

[2] **نفس المرجع** . ص ص(83-82).

على ضوء ما سبق، يمكن أن نقول بأن بارسونز يرى أن الفعل الاجتماعي يمثل نسقا اجتماعيا نابعا من مجموعة انساق فرعية داخل المجتمع الكبير، وكل نسق اجتماعي يتكون من مؤسسات اجتماعية، علائقية، منظمة، وثقافية، وأن الفعل الاجتماعي للفرد يخضع لمؤثرات المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه، مكتسبا رموز ثقافة المجتمع لكي يعيش ويتفاعل مع الناس .

ب- **نسقية الفعل الاجتماعي لنكلاس لومان :** نكلاس لومان هو منظر ألماني معاصر تتلمذ على يد تالكوت بارسونز، تعلم منه الاتجاه البنائي الوظيفي لكن بعد عودته إلى ألمانيا من الولايات المتحدة انقلب على الاتجاه الذي تعلمه وأصبح من ابرز نقاد نظرية تالكوت بارسونز للفعل الاجتماعي، بحيث تكشف نظرية لومان الجوانب المعقدة في الحياة الاجتماعية المعاصرة، ووضع الفرد فيها، هذا بعد أن وجد ت الحالات الآتية.

1- تنوع ، وتعدد مصالح وأهداف ومواقف الفرد.

2- تعدد وتنوع التنظيمات الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية ...لخ [1].

وبالتالي حسب لومان ينشأ النسق الاجتماعي من خلال الأفراد متفاعلين ومترابطين ايجابيا ومكتسبين خواص محيطهم الاجتماعي بشكل منسق، وبالتالي إن هدف تفاعل الفرد مع متغيرات محيطه هو بلورة فعل اجتماعي منسق وليس بناء نسق اجتماعي، من اجل إصدار فعل منتظم بضوابط محيطه الذي يعيش فيه، وبذلك يستطيع أن يسترشد ويتوجه إراديا نحو الأهداف المستقاة من محيطه، ومن خلال هذا الانتظام المنسق والتوجه المحيطي يكتسب الفرد رموز ومعاني ثقافة مجتمعه، تساعده في تسهيل اتصاله وتفاعله مع الآخرين المحيطين به، وبالتالي فإن جهوده الفكرية تنحصر في التفاهم والتواصل معهم وبالتالي تساعده في رؤياه الاجتماعية للأمور والقضايا التي يواجهها ويتعايش معها[2].

[1] **نفس المرجع**. ص ص (140 - 141).

[2] معن خليل عمر. **مرجع سابق**.ص 143 .

وبالتالي فإن لومان يكشف بان المحيط الاجتماعي لا يجبر ولا يلزم الفرد على التماثل مع ضوابطه الاجتماعية، بل يترك له الخيار في ذلك لكي يستخدم تفكيره في اختيار وانتقاء المعايير المحيطة التي يراها مناسبة لوصوله إلى أهدافه المحيطية، وفي نفس الوقت تسهل عليه عملية التفاعل مع الآخرين والنقاش معهم بإدراك وإرادة تحت غطاء نسق التفاعل الاجتماعي .

ومن جهة أخرى عندما يدخل الفرد في إطار التنظيمات الرسمية ويسجل فيها رسميا كعضو فانه يلتزم بضوابطها، وهنا يضاف إلى فعله الاجتماعي فعل منسق منتظم بحوافز تنظيمية أو مادية يكافئه على التوافق معها، أي يصبح فعله أكثر ميلا نحو الفعل الجمعي المنتظم يخدم تجمعات المجتمع [1].

و يوضح لومان بان الفرد العصري في حالة تقاطع مع الآخرين في تفاعله معهم وتصارعه مع بعض التنظيمات التي ينتمي إليها، لأنه يدرك بأن الأنساق المجتمع ذاتها تتصارع، غير أن هذا التصارع لا يؤدي إلى تكسير روابطها أو انهيار هياكلها، بل إلى تجديد تعليماتها وأهدافها من أجل المحافظة على وجودها داخل محيطها، وانتماءات الفرد المتعددة والمتنوعة، إضافة إلى هذا أن الفرد لا يعتمد على هذه التنظيمات بشكل مطلق، لكي لا يسمح لها أن تؤثر على كفاءته وطموحه، إذ يعمل على تنسيق ما يصبو إليه مع الآخرين الذين يمثلون طموحه وأهدافه في الحياة لتنمية نسقهم الفعلي .

في هذه الحالة لا تقف التنظيمات عند حدودها، بل تنمي وتطور فلسفتها وأهدافها ونظامها الداخلي، لكي لا تخسر أعضائها وتجلب أعضاء جدد، أي هناك تنافس بين طموحات الأفراد المتنامية ومستقبل التنظيمات الرسمية، وعبر هذا التنافس بين الأفراد والتنظيمات يتغذى الفعل الاجتماعي بعناصر سلوكية جديدة.

[1] **نفس المرجع** . ص 144 .

4-6- الثقة عند فوكوياما :إن التغيرات القيمية الكاسحة في الأعراف والقيم خلال العقود الأخيرة خاصة منذ بداية الخمسينيات، أصبحت تتسم بالتعقيد خاصة في أمريكا، بحيث يمكن وصفها بالفردية المتزايدة، وحسب تعبير داهارنوروف فان المجتمعات التقليدية لديها قليل من الخيارات وكثير من الأواصر والعلاقات الاجتماعية التي تربطها، فالأفراد لديهم خيار فردي قليل متعلق مثلا باختيار شريك في الحياة في الزواج أو مكان المعيشة، وفي الوقت نفسه هو مكبل بالأواصر القمعية وعلاقات الأسرة، الجماعة ...الخ.

ففي المجتمعات الحديثة، فان الخيارات أمام الأفراد تزيد بدرجة أكبر، بينما تتسم الأواصر والعلاقات الاجتماعية بنسيج الالتزام الاجتماعي بدرجة من المرونة وعدم الإحكام، وبالتالي فان الحياة الحديثة لا تلغي كل الأواصر والعلاقات، ولكن العلاقات التي يختارها الأفراد بإرادتهم تحل محل العلاقات والالتزامات المفروضة غير المختارة، وفقا للطبقة الاجتماعية، الدين، الجنس، النوع والعرق...الخ، وبالتالي الأفراد لا يصبحون أقل اتصالا ولكن يختارون من يتصلون بهم ويتشاركون معهم.

والمشكلة التي تحدث من جراء تطورات المجتمع الحديث التكنولوجية والعلمية الاقتصادية والاجتماعية، هي أن العلاقات الرابطة لا يتوقف تأثيرها على العلاقات القمعية التي تتصف بها المجتمعات التقليدية، بل إلى القضاء على العلاقات الاجتماعية المتصلة بالمؤسسات الاختيارية التي توجد في المجتمعات الحديثة، وبالتالي أصبح الناس يشككون في كل شيء حتى في العلماء والمعلمين، ويشككون حتى في الأشياء التي كانت من اختيارهم المحض، ولا يرغبون في الالتزام بشكل مفرط بالتقاليد الأخلاقية المفروضة عليهم.

لذا فإن الفردية وهي الفضيلة الأساسية في المجتمعات الحديثة، تحولت من فخر بالكفاءة الذاتية إلى نوع من الأنانية، بحيث تصبح الحرية الشخصية المتعاظمة دون اعتبار للمسؤوليات اتجاه الآخرين [1]. وبالتالي هنا تنعدم الثقة لأن الثقة هي مقياس مهم للرأسمال

[1] توماس ادوارد اولورنس العرب . **المرجع السابق**. ص 7 .

الاجتماعي، وبالتالي هنا الدلائل واضحة على تراجع هذا الرأسمال الاجتماعي، لذلك فان الثقة في المؤسسات بمختلف أنواعها بدء بالحكومة في تدن مطرد ومستمر، لذلك يمكن القول بأن الثقة لدى الأفراد مرتبطة بالظروف الاجتماعية والسياسية والأمنية والاقتصادية التي يعيشونها، فكلما كانت هذه الظروف سيئة ومتأزمة فإن الثقة لدى الأفراد تقل حتى في أمور اختارها الأفراد بأنفسهم[1].

من خلال تطرقنا إلى مختلف المقاربات النظرية والتي رأينا أنها يمكن أن تساعدنا في عملية توجيه البحث من اجل دراسة الموضوع دراسة علمية، وفي عملية تحليل النتائج، خاصة إذا اعتبرنا أن مختلف النظريات التي تطرقنا إليها تنطوي في إطار النظرية السوسيولوجية العامة وهي النظرية البنائية الوظيفية، وبالتالي فإن الفعل الاجتماعي أو الفعل العمالي، يتأثر بعدة متغيرات وعليه أردنا في اطار هذه النظريات أن نعرف ما هي أهم العوامل التي تتحكم في توجيه الفعل العمالي، هل النسق الاجتماعي

هو من يفرض قيمه على العمال مثلما جاءت به نظرية بارسونز، أو العامل أو الفرد يأخذ من النسق ما يراه ملائما أي الفرد يكيف قيم النسق على حسب ما يراه مناسبا مثلما جاءت به نظرية نكلاس لومان، هل الفعل الاجتماعي مبني على التضامن الاجتماعي مثلما يبينه اميل دوركيم، وهل هو مبني على مبدأ الثقة، خاصة في ظل التطورات الاجتماعية والاقتصادية، والتكنولوجية، وفي ظل انفتاح العالم وانتشار العولمة بكل مقاييسها، وما هو دور البيئة الاجتماعية في توجيه الفعل العمالي وبناء الثقة بينهم.

نتائج الدراسة :

من خلال جمع و تحليل للمعطيات الميدانية ، استطعنا أن نتوصل إلى عدة نتائج نقدمها في النقاط التالية:

[1] **نفس المرجع**. ص 7.

- إن انفتاح الجزائر على السوق الحرة والشراكة التي كانت بين اناد الجزائر وهنكل الألمانية، لم تؤثر في مبادئ القطاع العمومي والمبنية اساسا على الاهتمام بالجوانب الاجتماعية على حساب الجوانب الاقتصادية، وهذا بتشغيل عدد هائل من العمال وهو العدد الذي يفوق كمية الإنتاج، وبذلك فقد انشغلت بجانب التوظيف خاصة في إطار عقود محدودة المدة على أن تقوم بالاهتمام بمواردها المتاحة لديها وتحسين ظروفهم الاقتصادية، لاسيما تحسين الأجر باعتبار عمال الوظيف العمومي قد تحسنت رواتبهم وهذا ما أكده مختلف المبحوثين.

- العلاقات الاجتماعية في المؤسسة لاسيما العلاقات الرسمية مبنية على العلاقات الشخصية،خاصة فيما يخص التوظيف والترقية، مما أدى إلى توترها بين العمال والمسؤولين، كما أدت إلى صراع الأجيال نتيجة لتباين المواقف، وجعل العمال يتخوفون من المستقبل المهني خاصة في إطار عرض المركب للخوصصة.

- عدم فعالية الاتصال لاسيما الاتصال الرسمي جعل المعلومات تصل إلى العمال عن طريق غير رسمي.

- فئة جنس الإناث أكثر الفئات الاجتماعية التي تقبل العمل في أقل الظروف ملاءمة.

- سوء العلاقات الاجتماعية، بعد النقابة عن القاعدة العمالية وارتباطها بالقيادات العليا، لم يساهم في جمع وإشراك العمال لاسيما الطبقة القاعدية من أجل الحفاظ على مكتسباتها و في توحيد الفعل العمالي لمواجهة التحولات الاقتصادية، لاسيما مواجهة المنافسة ليس هنكل فحسب وإنما مواجهة عدة منافسين في السوق خاصة بعد تبني الجزائر سياسة الانفتاح الاقتصادي.

- تغير البيئة الاجتماعية للعمال في ظل تراجع الممتلكات لاسيما الممتلكات الفلاحية، وفي ظل انتشار وسائل الإعلام السمعية والبصرية والمكتوبة، جعلت العمال يفقدون قيمهم الأصلية الريفية ،ويكتسبون قيما جديدة مبنية على الأنانية واللاثقة.

- البيئة الاجتماعية الريفية مازالت تحافظ على تقاليدها وقيمها، المبنية على التضامن الاجتماعي، وتبجيل الممتلكات، ولكن التوسع الحضري، الذي مس المنطقة جعل المبحوثين ذو الأصول الريفية، يفقدون قيم ومبادئهم الأصلية ويكتسبون مبادئ وقيم جديدة والمثملة أساسا في مبدأ الأنانية الذي حل بدل مبدأ التضامن، ومبدأ اللاثقة بدل مبدأ الثقة .

- سوء العلاقات الاجتماعية، تدهور مستوى الأجر الذي يتقاضونه،جعل العمال يفضلون العمل في القطاع الأجنبي رغم وعيهم بأنهم يعتبرونه تهديدا للاقتصاد الوطني، ويعمل على استغلال اليد العاملة.

- سوء العلاقات الاجتماعية وابتعاد التنظيمات النقابية عن القاعدة العمالية، جعل العمال لاسيما عمال التنفيذ غير واعون بالدور الذي يلعبه هنكل سواء قبل، أثناء أو بعد دخوله للجزائر كشريك لمجمع اناد .

- رغم أن الأغلبية العمال واعون بحقيقة الاستثمار الأجنبي، بحيث يرونه تهديدا للاقتصاد الوطني، إلا أنهم يفضلون العمل في القطاع الأجنبي، أملا في تحسين ظروفهم الاقتصادية وأوضاعهم الاجتماعية.

- رغم أن معظم العمال يفضلون العمل في القطاع الأجنبي، إلا أنهم لا يفضلون خوصصة المؤسسة، وبالتالي يفضلون بقاءها في القطاع العمومي، باعتبار أن القطاع العمومي يقدم حوافز لا يمكن أن يقدمها القطاع الخاص من جهة، ومن جهة أخرى السهولة التي يتعامل بها القطاع العمومي، جعلت العمال لا يفضلون خوصصتها رغم سوء العلاقات الاجتماعية، وسوء التسيير.

- رغم سوء العلاقات الاجتماعية، وسوء التسيير إلا أن المنتوج استطاع أن يحتل المرتبة الثالثة على المستوى الوطني وتحصل على علامة الجودة وفق المقاييس العالمية، وبالتالي فقدت المؤسسة ريادتها للسوق لاسيما الوطنية.

- سوء العلاقات الاجتماعية، التخوف من المستقبل المهني، الظروف الاجتماعية والاقتصادية خاصة في ظل غلاء المعيشة وفي ظل إنتشار الواسع لوسائل الإعلام المختلفة، كلها ظروف ساعدت على أن يكون الفعل العمالي مبني على الأنانية واللا ثقة.

يمكن القول بصفة عامة بان التحولات الاقتصادية التي تعيشها خاصة المؤسسة، لاسيما في ظل العلاقات الاجتماعية المبنية على أساس العلاقات الشخصية وفي ظل بعد التنظيم النقابي عن الطبقة العمالية، وبالتالي فقدان الطبقة العاملة لتنظيم رسمي تثق فيه من اجل تمثيلها تمثيلا رسميا في الدفاع عن حقوقها وإيصال مطالبها، لمعالجة مختلف مشاكلها، ما جعل العلاقات الاجتماعية متوترة، لاسيما في ظل تحول الشريك الاقتصادي إلى منافس رغم أن الشراكة لم تكن بصفة مباشرة مع المركب وفي ظل ارتفاع مستوى الفقر وفي ظل انتشار الواسع لوسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة،كل هذه العوامل جعلت الفعل العمالي يتميز بالاستسلام و باللاثقة .

الخاتمة:

يمكن اعتبار الاستثمار الأجنبي موضوعا اقتصاديا، بحيث أن محتواه مبني أو يقوم على أساس الإنتاج وتحسينه وبالتالي الربح من اجل تحسين الاقتصاد الوطني لأي دولة ما ، لذلك فهو هدف يتخذ لتنمية البلد لاسيما البلد المستضيف لهذه الاستثمارات، ولكن إذا أخذنا بعين الاعتبار العنصر المهم في العملية الإنتاجية وهو المورد البشري، هنا لا يصبح موضوعا اقتصاديا فحسب وإنما موضوعا اجتماعيا، بحيث أن المورد البشري يؤثر ويتأثر بالبيئة الاجتماعية وبالتطورات الحاصلة في المجتمع سواء التطورات التكنولوجية أو السياسية أو الاقتصادية، وبذلك فهو يتأثر بالاستثمار خاصة إذا كان مثلما يعبر عنه الكثير من المبحوثين بأنه استعمار اقتصادي، باعتبار أن مبادئه هي مبادئ النظام الرأسمالي المبنية على تحقيق الربح وبأقل تكاليف ممكنة، في ظل استغلال الموارد البشرية والطبيعية لاسيما للبلد المستضيف له كما انه يتأثر بالعوامل الداخلية للتنظيم لاسيما العلاقات الاجتماعية، درجة الاتصال لاسيما الاتصال الرسمي في المؤسسة.

وبالتالي فان أهمية الموضوع تمثلت في ربط الاستثمار كأحد متغيرات البيئة الاجتماعية لاسيما في ظل التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي تتميز باشتداد الفقر وارتفاع معدل البطالة خاصة بعد الإصلاحات الاقتصادية التي تبنتها الجزائر ابتدءا من منتصف الثمانينات وفي ظل عجز المؤسسات الوطنية لاسيما العمومية على النهوض بالاقتصاد الوطني، وبالتالي ربط التحولات الاقتصادية بالفعل العمالي والعلاقات الاجتماعية سواء الرسمية أو غير الرسمية في التنظيم.

في الأخير يمكن القول بان الفعل العمالي تتحكم فيه عدة عوامل اجتماعية سياسية واقتصادية خاصة في ظل التحولات الراهنة في ظل انفتاح الجزائر إلى اقتصاد السوق ونيتها في الانضمام إلى المنظمة العالمية للتجارة مما يجعل العبء كبير على كاهل المؤسسة، لأنها هي الأولى المعنية بهذا التحول، وبالتالي فان تسييرها بالشكل الحالي وهو

اللاعقلانية في التسيير يجعلها غير قادرة على مجابهة التحولات وبالتالي فعلى المؤسسة أن تراجع طرق تسييرها وتهتم بعمالها لاسيما الإهتمام الاقتصادي في ظل غلاء المعيشة، وارتفاع مستوى الفقر، وبالتالي هل يمكن فعلا للمؤسسة أن تغير طرق تسييرها في ظل تشبع مسؤوليها بمبادئ القطاع العمومي ؟.

هل يمكن للعمال أن يقوموا حقا بواجباتهم وبكل صرامة، باعتبار أن مبادئهم الأصلية تغيرت بتغير البيئة الاجتماعية، باعتبار أن معظم العمال هم ذو أصول ريفية؟.

في ظل التغيرات الاجتماعية والبيئية وفي ظل بعد التنظيم النقابي عن الطبقة العمالية، ما هو البديل الذي يجعل العمال يحافظون على مكتسباتهم؟.

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية

1- السيد الحسيني. **نظرية الاجتماعية و دراسة التنظيم** . ط4 ، دار المعارف ، القاهرة، مصر، 1983.

2- السيد محمد البدوي. **علم الاجتماع الاقتصادي**. منشورات جامعة قاريونس، القاهرة، 1977.

3- أنجرس موريس .**منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية** . ترجمة بوزيد صحراوي، كمال بوشرف ، سعيد سبعون ، دار القصبة ، الجزائر، 2004.

4- باساغانا. **مبادئ في علم النفس الاجتماعي** . ترجمة بوعبد الله غلام الله ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، 1983.

5- توماس ادوارد اولورنس العرب . **تفجر الجريمة والاضطراب الاجتماعي ، وفقدان الثقة أهم مظاهر الانهيار الغربي العظيم في أواخر القرن العشرين.** مجلة الراية ، العدد (6475) ، 29 يناير 2000.

6- ستيفن أر، كوفي . **القيادة المرتكزة على مبادئ** ، مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية ،ط1 ،2005 .

7- عبد الحميد عطية. **نظريات ونماذج تطبيقية في طريقة العمل مع الجماعات**. دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2004.

8- عبد الرزاق بن حبيب **اقتصاد وتسيير المؤسسة**. ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر، 2002.

9- عبد الناصر جابي . **الجزائر من الحركات العمالية إلى الحركات الاجتماعية** .معهد الوطني للعمل ، 2001، الجزائر.

10- علي عاطف.**المنهج المقارن مع دراسات تطبيقية** . ط1 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، بيروت ، لبنان، 2006 .

11- محمد بومخلوف. الروابط الاجتماعية ومشكلة الثقة. **الروابط الاجتماعية في المجتمع الجزائري** . فعاليات الملتقى الوطني الرابع لقسم علم الاجتماع ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،الجزائر،2007-2008.

12- محمد بومخلوف. **التنظيم الصناعي والبيئة**. ط1، دار الأمة، الجزائر،2001،.

13- معن خليل عمر .**نظريات معاصرة في علم الاجتماع** .دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط1، 2001، الاردن .

14- منظمة الوحدة العربية. **أهمية الثقافة العمالية وأثرها في التنمية وكيفية إدارة وتسيير أجهزة ومراكز الثقافة العمالية.** المعهد العربي للثقافة العمالية وبحوث العمل، الجزائر.، 1978.

15- منير نوري . **تسيير الموارد البشرية**. ديوان المطبوعات الجامعية ،2010، الجزائر.

16- ناصر دادي عدون ، محمد متناوي. **الجزائر والمنظمة العالمية للتجارة** . دار المحمدية العامة ، 2003، الجزائر.

المراجع باللغة الأجنبية

17- MAURICE (A.). **Initiation Pratique A' la Methdologie , des sciences humaines,** Casbah Universite', Alger , 1997

18- SELKZNIK (P) . Foundation of the Theory of Organisations. Amer, Social, Rev, Vol 13.

19- SELKZNIK (P) .TVA and the Grass Roots. Berkeley, California University press,1949 .

Etre frère ou sœur d'un enfant autiste : Effets et enjeux psychiques à l'adolescence

Nini Mohamed Nadjib et Lounés LALLEM

Résumé :

Cet article veut explorer quelles fragilités psychologiques peuvent être induites par le contexte de vie des adolescents issus de fratries avec autisme. Pour ce faire nous avons utilisé une approche clinique, dans laquelle nous avons eu recours à l'analyse de contenu d'un entretien clinique durant notre pratique. A la lumière du matériel clinique recueilli, cette analyse confirme la fragilité du fonctionnement psychique chez ces adolescents; marquée par des difficultés relatives au rang dans la fratrie et à un fort sentiment de culpabilité traduisant l'incapacité à élaborer la situation dépressive.

Mots-clés : Adolescents- autisme- - frère et sœur – rang dans la fratrie- sentiment de culpabilité.

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى الكشف انطلاقا من التناول الديناميكي التحليلي عن التنظيمات النفسية المتعلقة بصيرورة المراهقة لدى المراهقين المتواجدين في وضعية أخ لفرد متوحد. إنطلاقا من المقاربة العيادية والتي عن طريقها تم الإعتماد على تحليل محتوى لمقابلة عيادية من ممارستنا اليومية أثبتت هذه المقاربة، هشاشة على مستوى التوظيف النفسي ، الذي له علاقة بالرتبة بين الإخوة و الإحساس بالذنب مترجما عدم القدرة على إرصان الوضعية الإكتئابية.

الكلمات المفتاحية: الإخوة و الأخوات- الرتبة بين الإخوة - التوحد- المراهقة- الإحساس بالذنب

ABSTRACT:

Being a brother or a sister of a child with autism: Effects and psychological issues in adolescence

This article will explore how psychological vulnerabilities can be induced by the life context of teenagers from siblings with autism. To do this, we used a clinical approach, in which we used the content of a clinical interview analysis during our practice. In the light of clinical material collected, this analysis confirms the fragility of psychic functioning in teenagers, who were marked by rank-related difficulties in siblings and has a strong sense of guilt resulting inability to develop depressive situation.

Keywords: Autism-Teenagers trained - brother and sister - sibling rank- guilt feeling.

Introduction:

L'Algérie compte actuellement 300 000 personnes autistes, un handicap sous-estimée mais qui s'étend de manière alarmante, loin des préoccupations des pouvoirs publics, le manque de structures médicales adaptées et de personnel qualifié, complique sérieusement la tâche. Ils sont des centaines de parents à la recherche d'une prise en charge, mais en vain. Un drame familial que l'on peut pourtant soulager si le diagnostic est posé précocement .

Cependant les structures prenant en charge la personne autiste, jugées insuffisantes, ne répondent pas aux nombres de demande de prise en charge, c'est pourquoi on relève souvent des parcours incohérents puis asilaires, ce qui a suscité depuis peu une volonté politique pour une prise en charge interdisciplinaire de la personne autiste et un accompagnement adapté au type de handicap. Toutefois, les retentissements sur l'entourage demeurent encore souvent sous estimées .

Si la famille est généralement prise en compte, elle l'est souvent de manière indifférenciée ou se limitant au couple parental. Or on ne vit pas la maladie de la même façon selon la place que l'on occupe auprès de la personne qui en est atteinte (Scelles, 2006). Alors qu'en est-il pour les frères et sœurs qui entretiennent avec elle la relation la plus longue au cours de leurs vies؟

Pour reprendre la fratrie de l'enfant handicapé, la recherche clinique fait l'objet d'un intérêt récent en psychologie, l'évolution du statut de l'enfant dans la famille amorce une saisie de conscience progressive du lien particulier qui unit l'enfant à sa fratrie (Bourguignon, 1999, 2006) et du rôle que peut jouer ce lien dans le développement de l'enfant (Debry, 1999).

Cependant la majorité des recherches cliniques nous éclairent sur la nature des difficultés psychiques, le type de mécanismes de défense utilisés, les différentes modalités d'adaptation pour faire face au handicap, ces travaux nous renseignent également sur les difficultés spécifiques, déstabilisantes et parfois déstructurantes, que ce syndrome peut générer pour les personnes en relation avec l'enfant autiste. (Vivanti, 2001 ; Wintgens et Hayez 2003 ; Montreynaud et Cossart, 1999)

A ce stade de description nous savons que le type de handicap dont souffrent une personne, sa sévérité et le degré de dépendance qu'il entraîne vont avoir un impact majeur sur la fratrie.

Par ailleurs, la fratrie partage avec les personnes handicapées le fait qu'on ne parle d'elle que durant l'enfance, alors que ce lien joue un rôle important bien au-delà. Les questions que se posent les frères et sœurs, les difficultés auxquelles ils peuvent se trouver confrontés, varient au fil du temps, et particulièrement à l'adolescence. (Scelles, 2001)

L'adolescence en l'occurrence est l'âge du changement comme l'étymologie du mot l'implique: adolescere signifie en latin «grandir». Entre l'enfance et l'âge adulte, l'adolescence est un passage, ainsi que le souligne E. Kestemberg (1962), on dit souvent à tort que l'adolescent est à la fois un enfant et un adulte; en réalité il n'est plus un enfant, et n'est pas encore un adulte. Ce double mouvement, reniement de son enfance d'un côté, recherche d'un statut stable adulte de l'autre, constitue l'essence même de «la crise», du «processus psychique» que tout adolescent traverse. (p.441)

Aussi nous supposons que l'adolescence, période bouleversante dans l'histoire d'un sujet où la manière dont l'autisme du frère ou de la sœur peut affecter l'adolescent au fil du temps est liée à une dynamique fraternelle troublées chez les adolescents frère ou sœur d'un enfant autiste .

De ce fait, après cette description qui d'emblée mobilise l'inconscient dans ses liens à l'autre, nous prendrons en compte l'adolescent se développant dans un milieu atypique face à l'autisme d'un frère ou une sœur.

Adoptant la méthode clinique et se référant essentiellement à la théorie psychanalytique, l'étude de cas par le biais d'un entretien clinique auprès d'une adolescente issu de fratrie avec autisme, que nous verrons les portées et limites du fraternel à l'épreuve de l'autisme .

Présentation de la patiente:

Nous exposerons ici le cas d'une adolescente issue de fratrie avec autisme, Maya est âgé de 19 ans, étudiante en 3éme année médecine à l'université d'Alger. Elle est l'aînée d'une fratrie composée de enfants

dont une sœur autiste âgée de 12 ans, et deux frères. Elle ne présente aucun antécédent de pathologie mentale ou organique.

Elle décrit son enfance comme une enfance sans problème, plutôt heureuse, stable sans difficultés. Son père à des engagements professionnels, il est navigateur. La mère de Maya est professeure de français au lycée.

Dès lors, la situation familiale est allée en se dégradant et la relation avec le père est devenue de plus en plus distanciée, un conflit non élaboré face à la proximité de son père avec sa sœur autiste qui intervient dans sa relation avec lui dès ses 14 ans. Précisons enfin que le père de Maya s'est montré attentionné à l'égard de sa sœur, à son égard aussi, alors que les garçons encore moins. D'après Maya, le père était tendre et même gentil avec elle pendant son enfance.

Description de la rencontre avec le réel de l'autisme:

Le plus souvent, les difficultés rencontrées ne sont, en fait, qu'une réactivation de questions angoissantes qui avaient plus ou moins été mises de côté entre l'annonce de l'autisme, temps de sidération et de souffrance intense, et le début de la puberté.

A ce moment, a lieu une nouvelle prise de conscience de sa part et de celle de sa sœur concernant l'importance et les conséquences de la pathologie, qui s'accompagne d'une inquiétude face à l'aggravation de certains comportements et à l'augmentation de son auto/hétéro-agressivité. Les questions, si complexe et composite durant les premières années de la vie, peuvent se reposer alors dans une actualité inquiétante : comment vivre avec elle ; que peut-elle faire ; que doit-on faire ; qui doit le faire ; comment la connaître, savoir ce qu'elle veut, ce qu'elle pense ?… Maya se sent, en effet, seule avec sa famille pour gérer ces incertitudes et tenter d'imaginer un devenir.

Evidemment, dans sa famille, comme dans toutes les familles, l'adolescence se déroule en fonction de ce qui a été vécu auparavant. Dans tous les cas, l'impossibilité à communiquer de façon univoque avec sa sœur autiste est une source de grande souffrance.

Circonstance et cadre de la rencontre avec notre patiente:

Maya se présente au Service de l'Observation et de l'Education dans le Milieu Ouvert (Soemo) Bouira, auprès de ma collègue Mme X

qui me l'adresse pour un examen psychologique voire même une prise en charge psychologique. Déjà préparée par sa psychologue à l'orientation chez un autre collègue, la patiente, met en avant ses difficultés d'être, de vivre et surtout de parler. Elle risque, suite à cette situation de fratrie avec autisme de se perdre selon ses dires à chaque fois qu'elle y repense, ce qui attise son angoisse d'ailleurs.

Clinique de l'entretien:

Notre rencontre avec cette adolescente est située dans une perspective de la clinique thérapeutique basée sur l'étude de cas. Sous le terme « d'étude de cas » apparait notre orientation dans cet entretien. La consigne de départ était : « Pouvez-vous me parler de votre expérience de sœur d'un enfant autiste ? ». L'entretien était enregistré, afin de pouvoir repérer les éléments significatifs liés à l'énonciation, lapsus, silences répétition…considérés comme indices des mécanismes psychiques. Les entretiens non-directifs « sont le fruit d'une élaboration mettant en jeu les désirs, les investissements, les motivations des deux protagonistes de l'échange » (Scelles, 1998, p.65) .

L'écoute du psychologue est guidée par sa formation, ses hypothèses de départ, ses référentiels théorique, ses affects réveillés par l'entretien dont il importe qu'il prenne conscience. L'entretien rend compte de la manière dont les sujets ont effectué une relecture et une reconstruction de leur propre passé, et de la manière dont il évoque cette reconstruction avec le psychologue. Le fait qu'il s'agisse d'une reconstruction n'est pas un obstacle dans cette rencontre, car dans l'approche clinique nous nous intéressons à l'histoire subjective de la personne, et non aux informations objectives sur son passé. En ce sens les faits dits bruts ne nous permettraient pas d'accéder à des éléments de sa construction psychique singulière.

Dans la presente illustration le cas est donc finalement une production qui s'organise autour d'un reste, à partir de la trace laissée par une question restée en latence que le clinicien a besoin de clarifier, de rendre consciente en l'explicitant. (Marty, 2009, p.74)

Démarche d'analyse de l'entretien:

Nous avons choisi une analyse de contenu qui nous a semblé adéquate et qui est basée sur l'analyse classique de Mucchielli(1977) dont la démarche se fonde comme il l'a décrite (p.51) sur l'analyse des

catégories du discours énoncé par un sujet à l'issu d'une rencontre balisé par un cadre éthique et déontologique. L'analyse est portée sur un entretien d'une durée respective de 1h30.

Impact de l'autisme sur la famille et la fratrie:

L'impact dépressif de l'annonce du handicap, chez les parents, a aussi une incidence sur les membres de la fratrie (Eiguer, 2004). La dégressivité des parents se transmet psychiquement à l'ensemble de la fratrie, amenant Maya à dire qu'elle avait pensé à cesser d'exister, dans la période consécutive à l'annonce de l'autisme de sa sœur:

»Je ne sais pas … hhh… maman se frottait les mains …pleurait tout le temps… tapait sur ses cuisses … tournait en rond … elle n'arrivait plus à cuisiner … Angoissée tout le temps«

Etant l'ainée, Maya a pris un rôle de parent, d'adulte dans une dynamique familiale sidérée:

Cette maturité permet de rattraper là où ses parents ont des manques. C'était à elle de jouer le rôle d'une niche affective suffisamment sécurisante par rapport à leur besoin d'un moment de répit. Une attention permanente existe envers les mouvements affectifs des parents. Lorsque les parents ne sont plus psychiquement disponibles, l'annonce de l'autisme s'étant révélée traumatique, les membres de la fratrie peuvent assumer une position de soutien à la fonction parentale ; ils occupent « un poste », comme le dit Maya : « j'étais son ange gardien durent ses moment-là vous savez« ؟

L'entame corporelle : marquer pour se démarquer à l'adolescence face à une sœur autiste؟

On retrouve dans le ressenti de la personne qui s'entaille, surtout si l'acte est peu différé au regard de la souffrance éprouvée, les éléments décrits par D.W.Winnicott (1974) comme relevant d'une « agonie primitive » ou d'une « angoisse impensable » : le sentiment de morcellement, de chute, une perte de la relation au corps sur fond d'absence d'orientation. Sans doute, pour nombre d'adolescents, les circonstances qui produisent l'attaque corporelle sont-elles la reviviscence de la « crainte d'un effondrement qui a déjà été éprouvé ». Le manque de holding, d'un environnement soutenant en soi et au dehors, amène à la recherche d'un cran d'arrêt de la chute à travers

l'incision corporelle. Le soulagement est provisoire et il convient de reproduire l'acte pour repousser encore la détresse afin de tenir le coup.

) Winnicott, 1974, p.p38, 39(

»Effraction pubertaire du narcissisme infantile », écrit Ph. Gutton (2004), les entames corporelles sont aussi un moyen de lutte contre la souffrance. (p211)

Nombre d'adolescents y recourent comme à une forme de régulation de leurs tensions. Nul ne soupçonne leur comportement. Souvent ils n'en parlent à personne, continuant à éprouver un sentiment de honte d'avoir vécu une telle expérience, une situation relevée chez Maya.

Maya, imprégnée du sentiment de sa solitude, de son insignifiance, s'entaille le poignet en se faisant la promesse qu'un jour sa sœur guérira. Pacte de sang avec sa propre histoire, message lancé au-delà du temps, pour exorciser la souffrance d'être soi dans l'insignifiance et la solitude face aux limites de sœur autiste. L'entame est le prix à payer de l'échange symbolique avec la durée pour s'assurer d'un avenir meilleur pour sa sœur. Si on se fait soi-même du mal, on peut espérer que le sort relâche enfin son emprise. Maya dit à ce propos «حبيتها تبرا برك ماشي …à travers le fait de me couper .برك Je voulais trouver le point où je ne pouvais pas aller plus loin. Ces limites- là, je les ai cherchées dans le risque, le danger. Je me suis mise sans cesse dans des situations de déséquilibre. Je cherchais quelque chose qui allait me ramener là où j'étais en sécurité… vous comprenez.« ؟ :

Articulation du lien fraternel à l'adolescence avec l'enfant autiste:

» J'imagine, quand mes parents me regardent … ce qu'ils pensent de moi ?...hhh j'ai tellement grandis quand même» Maya dit à ce propos aussi « je grandis tellement vite … sans même me rendre compte … vous savez ? » ce discours met en écho la nécessité de contrôler un corps qui échappe. Maya cherche sa place, se demande qui elle est, où elle va. Elle s'interroge également sur la signification de son existence. Les épreuves qu'elle s'inflige avec une lucidité inégale sont une ritualisation d'un passage douloureux en cette période charnière de son développement.

Cependant, certains éléments semblent plus spécifiques comme, par exemple, la question de sa position parentale adoptée depuis son enfance,

position que son adolescence actuelle, ou son entrée, dans une pseudo vie d'adulte, réinterroge.

La dynamique fraternelle révèle également le rôle central pris par le sujet autiste dans l'organisation des liens familiaux. Envisager aussi une situation impliquant que la personne autiste n'est potentiellement pas capable, par identification, de se représenter la vie psychique de son frère et de se préoccuper de la souffrance qu'il pourrait ressentir.

Retenons ici les expressions repérés qui paraissent les plus représentatifs du discours de Maya ; les termes qui n'ont pas été induits par nos questions, comme le terme « adolescence », reviennent souvent dans son discours, « Contrainte », « Culpabilité.«

Sur le plan des expressions, il est à noter que « soulager les parents » est associé à l'idée de prendre le relais, a moi la place de mes parents. Maya dit à ce propos« suis-je sa maman ? non !, c'est juste que je lui assure une présence et une disponibilité, c'est ça … même si on ne me cède pas vraiment la place.«

Il y a dans ces phrases une sorte d'inversion des rôles, de statut de sœur à celui de parents, avec libre accès, qui laisse entendre que la contrainte provient du vécu parental transmis verticalement à l'aîné, une place occupée par Maya d'ailleurs dans sa fratrie.

La dynamique familiale face à l'enfant autiste:

Un Élément revient dans le discours de Maya ; sa sœur autiste organise l'ensemble de la dynamique familiale. Lorsque la violence qu'elle convoque ne peut être introduite et élaborée dans la relation, celle-ci revient sur elle sous la forme de dégressivité qui peut constituer une violence retournée contre soi.

Dans cette perspective, l'enfant autiste apparaît dans les représentations, comme un sujet potentiellement tout-puissant:

… »Je dois prendre soin d'elle … sinon je risque de la voire dans tous ses états » confie ainsi Maya, une variante à cette idée existe : c'est sa sœur autiste qui est le baromètre de l'état affectif du groupe familial ; elle a le pouvoir de mettre « la bonne humeur dans l'ensemble de la famille ». Cette perception de la place prise par sa sœur autiste laisse penser qu'elle est active dans la construction des échanges familiaux et des fantasmes qui circulent dans le groupe familial.

Ces dernières réflexions laissent supposer que la circulation des échanges familiaux est dépendante de la situation générée par l'autisme de sa sœur ; si un des maillons du cercle familial ainsi constitué vient à être défaillant (dépression, rupture du lien,…), c'est l'équilibre du groupe familial qui viendrait à être déstabilisé, incluant sa sœur autiste. Sur le plan théorique, cette hypothèse, selon laquelle, la fratrie, dans son mode de fonctionnement, peut être organisée défensivement contre un risque d'effondrement de l'appareil psychique familial; elle peut aussi constituer un espace de restauration et de mise en processus de la parentalité (Yahyaoui, 2003). La dimension d'étayage de la fonction parentale est en effet très prononcée dans le cas de Maya.

Dans cette organisation de la dynamique familiale, ne pas s'occuper de sa sœur autiste est souvent source de sentiment de trahison du pacte familial organisateur, et peut être une tentative d'individuation par rapport à la pression familiale exercée sur Maya. Cela pose alors la possibilité de choisir comment s'occuper désormais de sa sœur autiste. Continuer à s'en occuper, au moment de l'adolescence, serait une façon de rester dans le désir parental, incluant le souhait d'être et de rester le bon objet (d'amour) de ses parents.

Cependant la culpabilité se noue dans la relation aux parents pour Maya : laisser sa sœur autiste dans une structure psychopédagogique pour être prise en charge, signifie également laisser ses parents à leurs propres difficultés, c'est-à-dire dans une rencontre permanente avec leur fille autiste. Ceci dit, Maya a souvent pris en charge les moments où les parents ne pouvaient plus assurer l'aide à leur fille autiste, qu'il s'agisse de soins physiques ou de moments d'extrême lassitude psychologique. Les éléments œdipiens émergent alors, car s'occuper de sa sœur est une façon de séduire ou de se faire aimer par ses parents. Dans le cas contraire, se séparer des parents, faire sa propre vie, est associé à l'abandon de sa sœur autiste et des parents. Maya dit à ce propos : « hhh … je suis présente quand même … je ne n'y suis pour rien dans sa pathologie… je ne sais pas trop … mais je suis sûr que je serais toujours là pour elle.«

Conclusion:

L'autisme qui a éveillé le sentiment de culpabilité inconscient chez Maya n'a pas pour autant engager un processus de réparation qui puisse traduire la « chute » dans la position dépressive. Et si l'amorce de l'entame corporelle, comme ultime recours court-circuitant les processus de pensées, maintient le Moi de cette adolescente dans une position fragilisante, barrant les possibilités d'élaboration de son sentiment de culpabilité, il signe du même coup l'échec évident d'accès à la position dépressive.

Compte tenu des caractéristiques de l'organisation psychique de cette adolescente, qui confond des composantes assez structurées pour renforcer un fonctionnement névrotique adapté , l'indication thérapeutique devrait s'orienter vers le rétablissement de sa continuité historique, en favorisant un espace de parole libre, levant l'inhibition et ouvrant la voie à l''intégration progressive de la douleur narcissique, à l'élaboration de la culpabilité et du deuil face à l'autre nommé le fraternel. Ceci étant corollaire d'une possibilité de réanimer le désir de réparation des objets « détruits » et de leurs intériorisations en tant qu'objets « bons » mettant en place une sorte de niche affective suffisamment sécurisante.

Ce travail thérapeutique supposé relativement long, du fait de la vulnérabilité psychique relevée essentiellement à la rencontre avec cette adolescente, va permettre une restauration narcissique qui correspond à un processus d'appropriation de l'expérience subjective au fil de l'histoire personnelle, d'un corps qui lui échappe pendant une période dite charnière de son développement, ce qui pourrait d'ailleurs soutenir les identifications féminines, même si elles nous semble fragiles du fait du défaut d'intériorisation précoce d'une image maternelle comblant le narcissisme et le désir de séduction féminine marqué par son absence dans le discours de Maya.

Pour conclure, on peut dire avec les différents enseignements relevés aujourd'hui auprès de cette adolescente issu d'une fratrie confronté à l'autisme, que l'ensemble des éléments relevés nous indiquent qu'un suivi psychologique est essentiel non seulement pour sa famille qui est actuellement dans le vif besoin d'une écoute, mais également pour la fratrie qui souhaiterait asseoir une prise en charge

psychologique et une écoute bienveillante face à ce qui pourrait être imposé par l'autisme d'un enfant dans sa famille. En effet, ce serait une occasion unique pour tenter de les comprendre dans leur détresse.

Bibliographie :

1. BOURGUIGNON O. (1999). Le fraternel. Paris, Dunod.
2. BOURGUIGNON O. (2006). « Le lien fraternel », in C. Bert (éd.), La fratrie à l'épreuve du handicap, Ramonville Saint-Agne, Erès, 17-30.
3. DEBRY M. (1999). « La fratrie, activateur potentiel du développement psychique. » Bulletin de psychologie, 52 (4), 442, 409-415.
4. EIGUER A. (2004). L'inconscient de la maison. Paris : Dunod.
5. GUTTON PH. (2004). Souffrir… Pour se croire, Adolescence, 22 : 209-224.
6. KESTEMBERG E. (1962). L'identité et l'identification chez les adolescents. Psychiatrie de l'enfant, 2, 441-422.
7. MARTY F. (2009), «La méthode du cas », in Méthodologie de la recherche en psychologie clinique, sous la dir. de S. Ionescu, Paris, PUF, pp.53-75.
8. MONTREYRAUD V. et COSSART M. (1999). « Frères et sœurs autistes, un étranger dans la famille. » Enfances et Psy, 9, 84-88.
9. MUCCHELLI. R (1977). L'analyse de contenue des documents et des communications: connaissance du problème, 2e éditions, Paris, E. S.F.
10. SANDERS J.L. et MORGAN S. (1997). Family stress and adjustment as perceived by parents of children with autism or Down Syndrome: Implications for intervention. Child and Family Behavior Therapy,19, 15-32.
11. SCELLES R. (1998), « tutelles aux majeurs protégés et fratrie : la nécessité d'instaurer une réflexion sur la protection de la personne handicapée adulte », Cahiers du CTNERHI, 77, p. 58-76.
12. SCELLES R. (2001). « Le processus de résilience dans les familles ayant un enfant porteur d'un handicap », in F. Marty (éd.), Figures et traitements du traumatisme, Paris, Dunod.
13. SCELLES R. (2006). « Les adolescents et les adultes. Frères et soeurs face au handicap, de l'enfance à l'âge adulte », in C. Bert (éd.), La fratrie à l'épreuve du handicap, Ramonville Saint-Agne, Erès, 89-109.

14. SHENTOUB V., (1990), Manuel d'utilisation du TAT, Approche psychanalytique, Paris : Dunod.

15. VIVANTI D. (2001). « Vivre au quotidien avec des jumeaux autistes ». Sésame autisme, 140, 20- 24.

16. WINNICOTT D. W. (1974). La crainte de l'effondrement. Nouvelle Revue de Psychanalyse, 1975, 11 : 35-44.

17. WINTGENS A. et HAYEZ J.-Y. (2003). « Le vécu de la fratrie d'un enfant souffrant de handicap mental ou de troubles autistiques : Résilience, adaptation ou santé mentale Compromise ». Neuropsychiatrie de l'enfance et de l'adolescence, 51, 7, 377-384.

18. YAHYAOUI A., 2003. Fratrie en chantier : relations en souffrance et force du lien. Le divan familial, 10, pp107-123